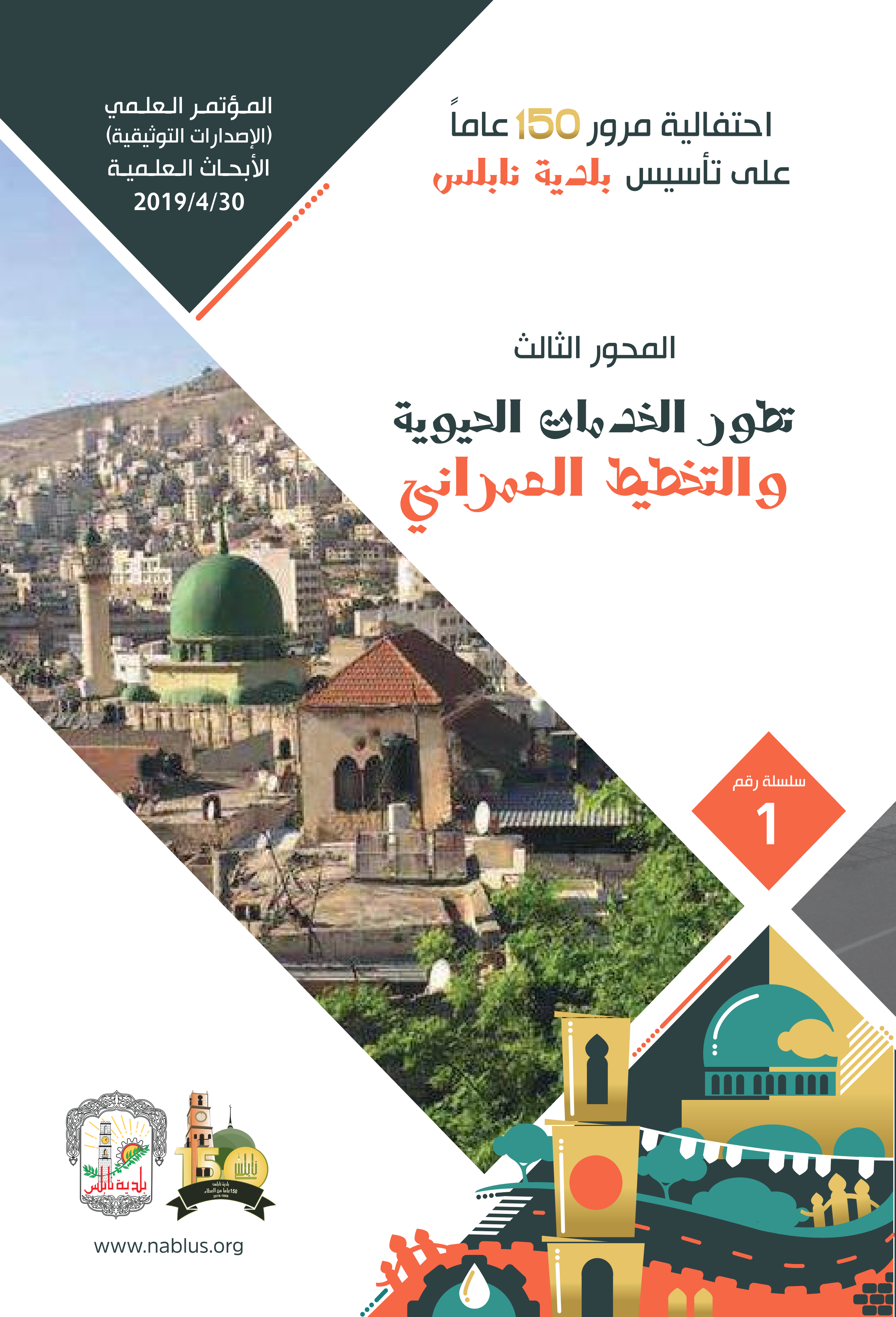


المؤتمر العلمي
(الإصدارات التوثيقية)
الأبحاث العلمية
2019/4/30

احتفالية مرور 150 عاماً
على تأسيس بلدية نابلس

المحور الثالث

تطور الخدمات الحيوية والتخطيط العمراني

سلسلة رقم
1

www.nablus.org

احتفالية مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس

المؤتمر العلمي

(الإصدارات التوثيقية)

الأبحاث العلمية

٢٠١٩/٤/٣٠م

المحور الثالث

(تطوّر الخدمات الحيوية والتخطيط العمراني)

بلدية نابلس

نابلس/ فلسطين - نيسان ٢٠١٩م

هذا الكتاب التوثيقي جزء من احتفالية مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس ويضم أعمال المؤتمر الذي نظمته بلدية نابلس في مدينة نابلس/ فلسطين في ٣٠ نيسان ٢٠١٩م بهذه المناسبة. وهي تحمل آراء ووجهات نظر عدة. وبالضرورة لا تعبر هذه الآراء عن آراء ووجهات نظر منظمي المؤتمر ورعاته ولجانه التحضيرية والعلمية والتحرير، بل بالتأكيد أنها تعبر عن آراء الباحثين المشاركين في المؤتمر.

أعضاء اللجنة التحضيرية لإصدارات مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس

خالد زواوي/ "رئيساً	وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
رجاء الطاهر/ مقرراً	بلدية نابلس
ضرار طوقان/ عضواً	بلدية نابلس، المكتبة العامة
زهير الدبعي/عضواً	وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ متقاعد
عدنان عودة/عضواً	مدير المركز الاجتماعي الخيري
أيمن الشكعة/عضواً	مركز تنمية موارد المجتمع
عماد كمال/عضواً	تجمع دواوين الديار النابلسية
غياث جازي/عضواً	محافظة نابلس

أعضاء اللجنة العلمية

لإصدارات مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس

د. أمين أبو بكر "رئيساً"	جامعة النجاح الوطنية
د. جوني منصور	مؤرخ ومحاضر/ حيفا
د. سعيد البيشاوي	جامعة القدس المفتوحة
د. محمود يزبك	مؤرخ ومحاضر/ الناصرة
د. عبد الرحمن المغربي	جامعة القدس المفتوحة
د. زهراء زواوي	جامعة النجاح
د. شامخ علاونة	جامعة القدس المفتوحة
د. سميح حمودة	جامعة بيرزيت
د. أيمن يوسف	الجامعة العربية الأمريكية
د. خالد صافي	جامعة الأقصى

أعضاء لجنة التوثيق لإصدارات مرور ١٥٠ عاما على تأسيس بلدية نابلس

بشار التمام/ رئيسا	بلدية نابلس، المكتبة العامة
ماهر الحنبلي/عضواً	بلدية نابلس/ متقاعد
محمود بيراوي/ عضواً	وزارة السياحة والآثار
سليم الكعكاني/عضواً	بلدية نابلس/ متقاعد
عبد الرحمن شرف/عضواً	بلدية نابلس، الدائرة الهندسية
الأستاذ بشير شرف/عضواً	وزارة التربية والتعليم/ متقاعد
نصير عرفات/عضواً	اللجنة الأهلية
ماجد عبد الله/عضواً	بلدية نابلس/ متقاعد
السادة جمعية عيبال الخيرية/عضواً	
حسني المصري/ عضواً	جامعة النجاح
بلال بانا/ عضواً	وكالة وفا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة سعادة المهندس عدلي يعيش

رئيس بلدية نابلس

في هذا العام ٢٠١٩م يمرُّ على تأسيس بلدية نابلس مئة وخمسون عاماً، فقد تأسس المجلس البلدي الأول في العام ١٨٦٩م في نهايات العهد العثماني، وتعتبر البلدية الثانية من الناحية التاريخية بعد بلدية مدينة القدس، وهذا يرجع لما للمدينة وقتها، في ظل الدولة العثمانية، من أهمية تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية تم تأسيسها على مدار تاريخ طويل من قيادة، وحكم ما كان يعرف تاريخياً "بجبل نابلس" والذي يشمل ما يعرف الآن بالمحافظات الشمالية للضفة الغربية.

تاريخ هذه البلدية، كما تاريخ مدينتها لم يكتب حتى الآن بالشكل الذي يتناسب وأهميتها، ودورها التاريخي سياسياً، واجتماعياً واقتصادياً ، الأمر الذي دفعنا في بلدية نابلس لاتخاذ قرار بالعمل بشكل جدي لكتابة هذا التاريخ بالاستناد إلى الوثائق من مصادرها الأساسية لنصوغ تاريخاً دقيقاً مبنياً على أسس علمية صحيحة تعطي للبلدية حقها، وتبرز أدوارها على مدار المراحل التي قطعتها خلال مسيرتها التاريخية.

وانطلاقاً من أن ما كتب عن تاريخ البلدية ومدينتها لا يعدو عن كونه مقتطفات لمراحل تاريخية محددة، أو تناول لمواضيع تختص بالمدينة سياسية أو اقتصادية أو دينية، أو مشاهدات لرحالة وقناصل كانت في الأعمِّ الأغلب سلبية ومنحازة، وطبعاً لا يمكن إنكار ما كتب من كتب، وأبحاث تاريخية تناولت نابلس وبلديتها فالجهد المبذول فيها كبير، الامر الذي يحتِّم كتابة التاريخ الكامل والدقيق لهذه المدينة، وبلديتها.

ولذا، وفي مناسبة حلول هذه الذكرى في العام الجاري ٢٠١٩م عمد المجلس الحالي على تشكيل لجان وطواقم تبحث في وضع مخطط تفصيلي للاحتفال يتجاوز ما يتعارف عليه في مثل هذه المناسبات ، وأصبح يتعلق بتنفيذ مشروع متكامل وشامل يتناول الجوانب الاحتفالية الاعتيادية كما هو معروف، إضافة إلى رؤية جديدة تتعامل مع التاريخ النابلسي بجوانبه كافه سواء منه ما يتعلق بتأسيس البلدية،

ونشـاطاتها؛ خدماتيـاً، واجتماعيـاً واقتصادياً وسياسـياً، أو غيرهـا مـن الجوانـب التـي عملت المجالس البلديـة المتلاحقـة عليهـا خدمـة للمواطـن النابلسـي أو خدمـة للأهـداف والـرؤى الوطنيـة العامـة، أو مـا عاصرهـا مـن عهـود سياسـية وهـي كثيـرة في الفتـرة الممتدة مـا بـين ١٨٦٩م وحتـى ٢٠١٩م العـام الحالـي عـام الاحتفـال بهـذه الذكـرى.

وقـد شـكل المجلس البلـدي عـدداً مـن اللجـان لإدارة هـذه الاحتفاليـة بجوانبهـا كافـة وهـي:

١. اللجنـة التحضيريـة العليـا لإدارة احتفاليـة ١٥٠ عـام علـى تأسـيس بلديـة نابلـس والتـي تتشـكل مـن عـدد مـن أعضـاء المجلس البلـدي وعـدد مـن مـدراء الدوائـر والأقسـام والمراكـز الثقافيـة.

٢. اللجنـة التحضيريـة لإصـدارات (١٥٠ عامـاً) علـى تأسـيس بلديـة نابلـس والتـي تتشـكل مـن عـدد مـن أبنـاء المدينـة الـذي يمتلكـون الخبـرة في إدارة هـذه الأمـر. وينبثـق عنهـا:

- اللجنـة العلميـة والتـي تتكـون مـن عـدد مـن الأكاديميـين في عـدد مـن التخصصـات ذات العلاقـة بطبيعـة الأبحـاث المطلوبـة كالتاريـخ، والهندسـة، والعلـوم السياسـية.
- لجنـة التوثيـق والتـي تتشـكل مـن عـدد مـن الشـخصيات النابلسـية الوازنـة والتـي تمتلـك مـن الخبـرة والتاريـخ مـا يؤهلهـا لتقـود هـذه اللجنـة وتديرهـا. وهـي تعنـى بتجميـع كل الوثائـق المتعلقـة بتاريـخ البلديـة والمدينـة سـواء في الفتـرة المذكـورة أو في الفتـرة التـي تسـبقها وتؤسـس لهـا.

كمـا قـام المجلس البلـدي باطـلاق صفحـة علـى موقـع الفيـس بـوك تعنـي بالترويـج لعـدد مـن النشـاطات والاجتماعـات والأخبـار التـي تختـص بالاحتفاليـة، بالإضافـة إلـى نشـر صـور لبعض الوثائـق الهامـة والتـي تنيـر جوانـب مـن تاريـخ البلديـة ونشـاطاتها منـذ التأسـيس، وقـد لاقـى نشـر هـذه الوثائـق اهتمامـا كبيـراً مـن قبـل المواطنـين.

ويمكـن تقسـيم هـذا المشـروع إلـى شـقين؛ الاحتفالـي وليـس هنـا مكانـه، والتوثيقـي وهـو مـا سـيتم عرضـه مـن خـلال هـذه الإصـدارات التوثيقيـة وفـق الآتـي:

الجانب التوثيقي:

لربما كان لهذا الجانب الاهتمام الأكبر في الاحتفالية الحالية، لما له من أهمية كبيرة في حفظ وتوثيق تاريخ البلدية، الأمر الذي يعني توثيق ستة مراحل تاريخية رافقت الوجود التاريخي والحالي للبلدية، والمدينة بكونها الحاضن الطبيعي والسياسي والتاريخي لها، علماً أن هذا المشروع لن يتوقف عند انتهاء الاحتفالية هذا العام وإنما ستكون له استمرارية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانتهاء أهداف هذا المشروع الرامية إلى توثيق كل ما يتعلق بالمدينة وحفظه كوثائق أو أبحاث لتوضع أمام الباحثين والمهتمين الراغبين باستخراج الكنوز التي تكمن فيها.

وتم تقسيم هذا الجانب إلى مراحل عدة تتمثل في:

المرحلة الأولى:

جمع الوثائق المتعلقة بتاريخ مدينة نابلس والمجلس البلدي (وهي في هذه المرحلة تتعلق بالفترة الزمنية من ١٨٦٩-٢٠١٩، على أن يتم العمل على جمع ما يتعلق بالفترات السابقة في المراحل القادمة ليكون هناك تحصيل، وتجميع لجميع تاريخ المدينة وبلديتها في كافة المراحل) من مصادرها وتوفيرها للباحثين لتكون أبحاثهم مبنية عليها، واعتبار الكتب التاريخية التي تناولت المدينة والمجلس كمصادر ثانوية تأتي لتفسير أمر، أو تحديده دون اعتمادها كمصدر رئيسي، وهذه الوثائق موجودة في:

١. وثائق الأرشيف العثماني من العام ١٨٦٨م وحتى ١٩١٨ (تم إنجازه وحصلنا على (٦٠٣٩) وثيقة خاصة بالبلدية، والمدينة تتعلق بالفترة المذكورة من الأرشيف العثماني.

٢. وثائق الانتداب البريطاني ١٩١٨ وحتى ١٩٤٨ (وقدمنا طلباً للقنصل البريطاني لتوفيرها ولا زلنا نتواصل معه للحصول عليها)

٣. وثائق الحكم الأردني. ١٩٥٠ وحتى ١٩٦٧ (حصلنا على جزء منها ولا زلنا نتواصل للحصول على بقيتها)

٤. وثائق الأرشيف الإسرائيلي. ١٩٦٧ وحتى ١٩٩٤ (نحاول أن نجد مخرجاً لآلية الحصول عليها بشكل صحيح)

٥. وثائق العائلات النابلسية التي شارك أعضاء منها في رئاسة وعضوية المجلس البلدي طيلة الفترة المذكورة وحتى العام الحالي، أو مارست دوراً ما (سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي....) خلال فترة الدراسة .

٦. وثائق العائلات الكبرى في المدينة، والتي كان لها دور فاعل في تاريخ المدينة وبلديتها طيلة الفترة الماضية (وهنا كان لنا تعاون مع تجمع دواوين عائلات الديار النابلسية للحديث مع العائلات ولازلنا نعمل على هذا الموضوع رغم صعوبته، خاصة في ظل تعامل بعض هذه العائلات مع وثائق أفراد عائلتها على مدار التاريخ المذكور كإرث عائلي خاص ولا يجب تعميمه).

٧. الاستفادة من ما كتب عن المدينة وبلديتها من كتب، أو رسائل أكاديمية باللغات كافة والحصول على نسخ منها إما أصلية أو مصورة أو حتى الكترونية لضمان وضعها في مكتبة بلدية نابلس الأمر الذي سيسهل على الباحثين في الوصول إلى ما كتب عن المدينة من مكان واحد.

٨. توثيق الصور التاريخية المتعلقة بمدينة نابلس ومدينتها سواء من المصادر العالمية أو المحلية (وقد تم الحصول على ما يقارب (٦٥٠٠ صورة) تشمل صوراً للمدينة أو لنشاطات البلدية).

المرحلة الثانية:

وهي مبنية على المرحلة الأولى، وتستند عليها من خلال تشكيل لجنة علمية من قبل أكاديميين مختصين أكفاء من جامعات الوطن للإشراف على لجنة الإصدارات العلمية التي تم تحديد محاورها عبر مراحل محددة تشمل المراحل التاريخية التي حكمت المدينة، وتم استكتاب عدد من الباحثين في الجامعات المختلفة من خلال مراسلة الجامعات نفسها أو من خلال استكتاب الباحث، وقد تناولت محاور النشرة الخاصة الآتي:

١. ما قبل تأسيس المجلس البلدي والتطورات السياسية والإدارية التي حدثت في جبل نابلس وأدت إلى تأسيس المجلس (ما بعد الحرب الأهلية، وانتهاء مرحلة شيوخ النواحي في العام ١٨٦٠، وانتهاء الحكم الداخلي لجبل نابلس، وابتداء مرحلة الحكام الخارجيين...)

٢. مرحلة تأسيس المجلس البلدي ١٨٦٨م وحتى ١٩١٧، العهد العثماني.

٣. مرحلة الانتداب البريطاني من العام ١٩١٧م وحتى ١٩٤٨.

٤. مرحلة الحكم العراقي من العام ١٩٤٨– ١٩٥٠م

٥. مرحلة الحكم الأردني ١٩٥٠ وحتى العام ١٩٦٧م.

٦. مرحلة الاحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٩٤

٧. مرحلة السلطة الوطنية الفلسطينية. ١٩٩٤ حتى العام ٢٠١٩.

وتمحور البحث في هذه المراحل في النواحي الخدماتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والوطنية والنضالية للمجالس البلدية المتعاقبة وبالتفصيل.

وهذه المرحلة الآن قد وصلت إلى نهايتها من خلال انتهاء كتابة الأبحاث التي شملت المحاور سالفة الذكر، وتم تحكيمها من قبل أعضاء اللجنة العلمية، وهي الآن بين أيديكم من خلال المجلدات التي أصدرت، في سلسلة من الإصدارات ستغطي المحاور كافة؛ بحيث يشمل كل كتاب محوراً من المحاور بأبحاثه وأوراقه العلمية.

هذه المجلدات التي تعتبر السلسة الأولى من هذه الإصدارات، لكوننا، وبناء على عظم هذا المشروع واتساعه، نحتاج إلى مزيد من الأبحاث والإصدارات إلى أن يكون هناك تغطية كاملة، أو قريبة من الكمال، للجوانب التي تتعلق بعمل البلدية ومجلسها منذ التأسيس وحتى الآن، وهو أمر نعي صعوبته، ومقدار الجهد اللازم لإنجازه، بما يحيط بهذه الفترة الطويلة تاريخياً، خاصة في ظل تعدد الجوانب التي عملت المجالس البلدية فيها سياسياً وخدماتياً، وثقافياً، واجتماعياً.

وقد أعطى المجلس البلدي قراره بالانعقاد الدائم للجنة العلمية ليتم إصدار بقية الأبحاث في إصدارات علمية تغطي الجوانب الأخرى التي لم يتم التطرق لها لقصر الوقت خلال الفترة القادمة.

إن دافعنا للاهتمام بتاريخ المدينة وبلديتها، إضافة لما ذكرناه أعلاه، يتعلق أيضاً برغبتنا الكبيرة والملحة لوضع هذا التاريخ العظيم بين يدي أبناء المدينة بهدف دفعهم جميعاً للعمل على إعادة تاريخ وأمجاد المدينة التي كانت قبلة علمية ووطنية وسياسية بارزة، وإن شئتم فاقرأوا تاريخها في القرن السابق (القرن العشرين) وحده لتروا عظم إنجازات رجالاتها في الترجمة والآداب والعلوم والسياسة، إضافة لدورهم الوطني في عقد المؤتمرات الوطنية والمشاركة في تأسيس الأحزاب التي كان لها الدور الكبير في العمل الوطني والسياسي، وهي فرصة لنا لإعادة التفكير في واقع هذه

المدينة وضرورة العمل بشكل حثيث لإرجاع دورها، طبعا دون بكاء على الأطلال، أو الاكتفاء بتذكر أمجاد زمن مضى.

إن معرفتنا بطبيعة مشروعنا هذا، وأهمية توحيد الجهود كافة؛ سواء في وضع المقترحات، أو المساعدة في التنفيذ وضعتنا أمام ضرورة الاستعانة بكافة مؤسساتنا الوطنية؛ رسمياً، وأهلياً، وهو الأمر الذي وضعناه موضع التنفيذ وكانت لنا عدة لقاءات خرجنا منها بالعديد من التوصيات التي كان لها أكبر الأثر في إنجاح عملنا ومشروعنا، فلهذه المؤسسات منا كل الشكر، كما نزجي شكراً للجان التحضيرية والعلمية والتوثيقية ولأبناء البلدية جميعاً والذين ساهموا معنا في إنجاح عملنا هذا.

كلمة اللجنة التحضيرية

خالد علي زواوي
رئيس اللجنة التحضيرية

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد؛

بمناسبة الاحتفالية بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس كلف الحاج عدلي يعيش رئيس بلدية نابلس اللجنة التحضيرية للإصدارات التوثيقية بالعمل على تشكيل اللجان والبدء بعملية التوثيق التي تشمل ما يتعلق بتاريخ البلدية منذ تأسيسها في العام ١٨٦٩م وحتى العام ٢٠١٩م، مراعين الأسس المنهجية والعلمية في عملية التوثيق.

وبناء على هذا التكليف تم تشكيل لجنتين وقع على عاتقهما عبء العمل العلمي والتوثيقي الأولى هي (اللجنة العلمية) التي يرأسها الدكتور أمين أبو بكر وتضم في عضويتها عدداً من الأكاديميين والمؤرخين الهامين، وفي تخصصات مختلفة تتناسب وتنوع عمل بلدية نابلس. والثانية (لجنة التوثيق) التي وقع على عاتقها عبء العمل على حصر وحفظ وتصوير الوثائق والصور والخرائط والمخطوطات الخاصة بهذا التاريخ الذي يشمل عهوداً تاريخية ستة.

ونحن في اللجنة التحضيرية وبعد عمل قارب تسعة أشهر من عمل اللجنة العلمية، نضع بين أيديكم الجهد الأولي (السلسلة الأولى) من الأبحاث التي تنتظر إكمالاً في الفترات القادمة؛ فهذا المشروع مستمر ولن يكتمل إلا بالإحاطة بكل ما يتعلق بتاريخ البلدية ودورها الخدماتي والسياسي والوطني، الأمر الذي يقتضي متابعة مستمرة وجهداً لن يقف عند هذه الإصدارات.

إن العمل الموجود بين أيديكم، وقد حمل عنوان (احتفالية مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس/ الإصدارات التوثيقية العلمية) ويضم بين دفتيه الأوراق العلمية، وأوراق العمل التي اختارتها لجنة المؤتمر العلمية من بين أوراق عمل وبحوث كثيرة قدمت للجنة العلمية. ويبلغ عدد هذه الأوراق اثنين وعشرين ورقة عمل وبحث رشحتهم لجنة المؤتمر العلمية للطباعة ضمن هذا المجلد توزعت على محاوره الخمسة التي غطت جوانب هامة تاريخية، وسياسية، وخدماتية، وعمرانية، إضافة

إلى خطط وأدوار تتعلق ببلدية نابلس وعملها طيلة العهود التاريخية التي حكمت نابلس وسيطرت عليها.

وبمناسبة نشر هذا العمل، تؤكد اللجنة التحضيرية بكل محبة على ما يلي:

لقد تم اختيار المناسب من البحوث العلمية وأوراق العمل المقدمة للمؤتمر وفق المعايير والضوابط التي وضعتها اللجنة العلمية لغايات النشر والعرض في المؤتمر.

إن الأوراق العلمية المنشورة في هذا الإصدار محكمة تحكيماً أكاديمياً وفق معايير وأسس البحث العلمي المعمول بها في الجامعات، وتم اختيارها وقبولها وفق أسس علمية تناسب عرض أعمال المؤتمر ونشرها بعد تحريرها.

البحوث المنشورة لا تعبر عن رأي بلدية نابلس أو سياستها، أو رأي أية لجنة من لجان المؤتمر سواء كانت لجنة احتفالية مرور ١٥٠ عاماً على تأسيس بلدية نابلس، أو اللجنة التحضيرية أو اللجنة العلمية، وإنما هي تعبير عن رأي كتابها.

بلدية نابلس، واللجنة العلمية والتحضيرية غير مسؤولين عن الإخلال بقواعد البحث العلمي وأخلاقياته، خاصة من حيث عدم النزاهة والأمانة في النقل والتوثيق، بل هي منشورة على ذمة أصحابها ومسؤوليتهم.

وختاماً، نغتنم فرصة هذا الإصدار الأولي من هذا العمل لنزجي شكرنا للجنة العلمية، ولجنة التوثيق و لكافة الباحثين الذين ساهموا في إنجاحه، داعين أشخاصهم قبل غيرهم أن يتقوا الله عند الإفادة من الأعمال المنشورة على الشبكة العنكبوتية، لتأصيل الإفادة عنها وفق ما يتوافق مع أسس ومنهج البحث العلمي الذي ساهم بصياغته أجدادنا وفق معطياتهم الحضارية. كما تغتنم فرصة شكرها الخاص لكافة المسؤولين الذين اضطلعوا بالمؤتمر وتشجيعهم لعمل اللجان ما استطاعوا، آملين في توفير الأجواء اللازمة للحرية الفكرية والعلمية؛ طمعاً بتقوى الله، وبتعزيز المصداقية وإشاعة الثقة.

والله من وراء القصد

المحور الثالث

تطوّر الخدمات الحيوية والتخطيط العمراني

بلدية نابلس ١٨٦٨-١٩١٤

"دراسة حالة": مشاريع تطوير وخدمات

محمود يزبك[١]

ادعّت العديد من الأبحاث الإستشراقية أن إنشاء المجالس البلدية، في المدن العثمانية، أو الإسلامية، في منتصف القرن التاسع عشر، يعود إلى ضغوط مارستها الجاليات الأوروبية التي سكنت في هذه المدن، والتي تزايدت أعدادها منذ تلك الفترة، ولم تجد هذه الجاليات، في المدن الإسلامية، أياً من الخدمات البلدية التي عادةً ما توفرّها المدن الأوروبية لسكانها،[٢]وأضافت النظرية الإستشراقية أنه لولا هذا التواجد الأوروبي، لبقت المدن الاسلامية دون هيئات إدارية وخدمات عامة. وقد عللت هذا الأمر بأن "الإدارة الإسلامية، لم توفر للمدينة لا هوية تشاركية، ولا منظومة بلدية محددة الوظائف والمعالم"،[٣] وأشارت هذه النظرية، كذلك إلى: غياب "نواة أصيلة للحكم المحلّي في المدن الإسلامية ، والتي كان ممكن أن تتطور لتصبح مؤسسات بلدية "،[٤]وتضيف هذه النظرية أنه" وعلى الرغم من أن الإسلام الكلاسيكي السلفي أساسه وفي كثير من نواحيه حضارة مدنية، إلا أن منظومة التشريع الإسلامي التقليدي، وأحكامه لا تعير نظم إدارة المدينة سوى إهتمام قليل جداً، ولم تكن في المجتمع الإسلامي مدينة، بل كانت هناك فقط تجمعّات لعائلات، وأحياء، وتنظيمات حرفية، لكل منها زعماؤها ورؤساؤها".[٥] وتتوصل النظرية الاستشراقية لإستنتاج شامل مفاده أن: "الهيمنة الدينية على النظام الاجتماعي الإسلامي أسفرت عن افتقار تام لأي مصلحة سياسية في المجتمع نفسه".[٦]وكما هو الحال في كثير من الأحيان، فقد صوّر الغرب اختراقه واستعماره، الإيديولوجي،

(١) مؤرخ ومحاضر في التاريخ/ الناصرة

(2) Gabriel Baer, “The Beginnings of Municipal Government”, in idem (ed.), Studies in the Social History of Modern Egypt (Chicago and London, 1969), pp. 190-192; William L. Cleveland, “The Municipal Council of Tunis, 1858-1870: A History in Urban Institutional Change”, International Journal of Middle East Studies, 9 (1978), pp. 33-39; Steven T. Rosenthal, The Politics of Dependency, Urban Reform in Istanbul (Connecticut, 1980), pp. 29-43; idem, “Foreigners and Municipal Reform in Istanbul: 1855-1865”, International Journal of Middle East Studies, 2 (1988), pp. 227-245; Ruth Kark, “The Jerusalem Municipality at the End of the Ottoman Rule”, Asian and African Studies, 14 (1980), pp. ١١٧-١٤١. عبد الحميد الارقش"المؤسسة البلدية: الهياكل العمرانية الجديدة والتبعية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، ٤٧-٤٨ (كانون ثاني ١٩٨٧)، ص. ١٥-٢٧.

(3) Rosenthal, “Foreigners”, p. 230.

(4) Baer, “The Beginnings”, p. 191.

(5) Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, The Second edition (London, Oxford and New York, 1968), p. 393.

(6) Ruth Kark, “The Traditional Middle Eastern City, The Cases of Jerusalem and Jaffa During the Nineteenth Century”, Zeitschrift des DeutschenPalastinaVereins (1981), p. 94.

أو السياسي، أو الاقتصادي للمجتمعات الشرقية، كعامل مكوّن في إعادة تشكيل الهياكل والمؤسسات الاجتماعية في الشرق الأوسط، وهذا التوّجه يشير ضمناً إلى أن المجتمعات الإسلامية افتقرت لقوة ذاتية ضرورية لإجراء تغيير سياسي، واقتصادي لينقلها إلى عصر الحداثة.

صحيح أن المدن الإسلامية لم تمتلك حتى منتصف القرن التاسع عشر، إدارة بلدية. من النوع الرائج في أوروبا، ولكن هل يعني هذا أن المدن الإسلامية افتقرت لأشكال أخرى من النظم المدينية؟ على سبيل المثال، وعلى مر العصور، شارك في إدارة المدن الاسلامية مجموعة من الإدارات والإداريين والموظفين، مثل المحتسب، والتنظيمات الحرفية، والقاضي وغيرهم.

ولم تقتصر مهمات هؤلاء فقط على تزويد المدينة بالمواد الغذائية الكافية، ومراقبة جودتها، والتحكم في أسعارها[٧]، وقد تكون بعض المؤسسات الإدارية الرسمية، بمفهومها الغربي، قد غابت محلياً ، ولكن هل يعني هذا بالضرورة أن سكان المدن الإسلامية افتقروا أيضاً للمبادرة لإنشاء منظمات وتنظيمات احتاجوها لضمان تلبية احتياجاتهم المجتمعية؟ واستناداً إلى نتائج بحثية جادة من الجزائر العاصمة، والقاهرة، ودمشق، وحلب، أوضح أندريه ريمون، في أواخر سبعينيات القرن العشرين، أن "تنظيم المدينة الإسلامية كان متقدماً ومتطوراً نسبياً، لذا علينا الاّ نقبل ما كُتب تعميماً عن إدارة المدن العثمانية دون فحص معمّق"[٨]. وعلينا أن نتفكّر "أسبلة الماء العديدة التي شيّدتها هيئات القاهرة الإدارية في جميع انحاء المدينة بين القرن السادس عشر، والقرن الثامن عشر، وإنشاء المحلاّت (الحارات)، والشوارع الفخمة في مدينة حلب؛ وتعمير قنوات المياه، ونظام توزيع المياه في مدينة الجزائر، فهذه المرافق العامة خير دليل على الاهتمام الحقيقي لإدارات المدن العثمانية بسكانها"[٩]، وخلُص ريمون أن الأمر يستحق مزيداً من الدراسة[١٠].

وحتى أربعينيات القرن التاسع عشر، لم يكن هناك وجود غربي ملموس في فلسطين باستثناء المدن الساحلية والقدس، وأما في المدن الداخلية، مثل نابلس، لم يُلمس تأثير غربيّ قبل نهاية الحكم العثماني.

(7) Ira M. Lapidus, Muslim Cities in the Later Middle Ages (Cambridge, 1984).

(8) Andre Raymond, "The Ottoman Conquest and the Development of the Great Arab Towns", International Journal of Turkish Studies, 1/1 (1979-1980), p. 91.

(٩) نفس المصدر السابق، ص. ٩٨

(١٠) نفس المصدر السابق، ص. ٩٨؛

وحيث أن مدينة نابلس وقعت في واد ضيق في جبال فلسطين الوسطى (جبل نابلس)، لم يُشكل موقعها عامل جذب لمؤسسات التجارة الدولية. ولبعدها عن الساحل فإنها لم تستفد مباشرة من التجارة المزدهرة مع أوروبا، كما لم يُشكل موقعها نقطة ربط على أي من الطرق البرية الدولية[١١]. ونادراً ما التقت شخصيات بارزة وقيادية، ناهيك عن الطبقات الأوسع لسكان البلدة. بالأوروبيين. وبقى أهالي نابلس، إلى حد كبير، بعيدين عن الأفكار والعادات الأوروبية المعاصرة التي كانت مألوفة أكثر في القدس، ودمشق، من خلال البعثات المسيحية، أو القناصل الأوروبيين، الذين زاد عددهم بعد عام ١٨٣٨م. كما شكل غير المسلمين أقلية ضئيلة من سكان المدينة، وكانت التجارة محلية وإقليمية، وحتى عندما بدأت أوروبا باستيراد الحبوب من المنطقة في خمسينات القرن التاسع عشر، كانت الصفقات تتم في الغالب عن طريق وكلاء ووسطاء من مدن يافا، وحيفا، وعكا. وكما بيّن بشارة دوماني في دراسته عن مدينة نابلس، فلربما كان هناك انعكاساً غير مباشر للتأثير الأوروبي، الاّ ان التغيّرات المحدودة التي طرأت على البنية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للمدينة، حدثت في أعقاب التنظيمات وسياسات الإصلاح في إسطنبول التي أحدثها فرمان الإصلاحات عام ١٨٩٣م، المعروف باسم كلخانه.[١٢]وهكذا، فان دراسة بلدية نابلس تشكل "دراسة حالة" مثالية لمن يرغب في تتبع بدايات عمل المجالس البلدية وفهمها في الدولة العثمانية عامة، وفي فلسطين خاصة، ومجالات عملها، ونجاحاتها، بعيداً عن التدخل أو التأثير الأوروبي.

سنّ العثمانيون عام ١٨٦٤م، "قانون الولايات" كجزء من حملة إدارية شاملة نحو تحقيق منظومة حكم مركزي متكامل، ولتحقيق المركزية قام المشرّع العثماني بإعادة تنظيم الهيكل الإداري لولايات الإمبراطورية، وفي عام ١٨٧١م، تمّ تعديل هذا القانون وفصّل "وظائف أصحاب المناصب في المجالس الإدارية، والبلديات، وإدارة النواحي".[١٣] وظهرت المجالس البلدية كمنظومة إدارية ذات مجموعة قوانين خاصة بإدارة مجلسها، ومجالات عملها، لأول مرّة، في قانون الولايات المعدّل لعام ١٨٧١م.

وحيث أن البلدية، والمجلس البلدي شكّلا جزءاً من قانون الولايات، فهذا يؤكد ان الدولة العثمانية سعت، من خلال هذه المؤسسة، إلى توسيع مجالات سيطرتها على الإدارة المحلية في الولايات، ودعم سياسات المركزية، ويتضّح هذا التوجه حين نجد

(11) Bishara B. Doumani, "Merchants, Socioeconomic change and the State in Ottoman Palestine: The Nablus Region, 1800-1860", Ph.D. Thesis, Washington University (Washington, D.C., 1990), p. 32.

(12) Bishara B. Doumani, Rediscovering Ottoman Palestine, Merchants and Peasants in Jabal Nablus, 1700-1900 (Berkeley and Los Angeles, 1995), pp. 9, 23, 68, 73-74, 107; Butrus Abu Manneh, "The Islamic Roots of the Gulhane Rescript", Die Welt des Islams 34 (1994).

(١٣) الدستورترجمه نوفل نوفل (بيروت، ١٣٠١ هـ)، مجلد ١،ص. ٣٩٦

أن قانون الولايات شرّع لانتخاب أعضاء المجلس البلدي مباشرة من قبل أصحاب حق الاقتراع في المدينة، إلا أن رئيس البلدية تمّ تعيينه من قبل المتصرّف (حاكم القضاء) الذي كان بدوره تابعاً مباشرة لسلطة والي الولاية.

تأسست أول بلدية في فلسطين في عام ١٨٦٣م في القدس(١٤)، وبعد القدس، وفي عام ١٨٦٨م أُنشئت بلدية نابلس(١٥)، أما باقي بلديات المدن الفلسطينية فأنشئت لاحقاً. ليس من الواضح لماذا اختارت الإدارة العثمانية مدينة نابلس من بين المدن الفلسطينية لإقامة ثاني بلدية فيها، قد يكون هذا القرار متعلقاً بالتغييرات الإدارية الإقليمية حيث تحولت مدينة نابلس في عام١٨٦٨م، لمركز متصرفية شملت منطقة جبل نابلس والبلقاء، في الضفة الشرقية للأردن، والتي شكلت جزءاً من ولاية سوريا بدلاً من سنجق القدس(١٦)، وكان عدد سكان المدينة، في ذلك الحين، أكثر من ٢٠٠٠٠(١٧)، وأدار أعيان نابلس مدينتهم منذ أربعينيات القرن التاسع عشر، بوساطة "المجلس الاستشاري"، الذي سبق إقامة "مجلس الإدارة".(١٨)

وحسب معلومات استقيناها من سجّلات محكمة القدس الشرعية، في القرن السابع عشر، فقد عمل أفراد "طائفة حرفية"، عُرفت بطائفة الزبّالين في تنظيف شوارع المدينة يومياً.(١٩)وأورد نُعيسة إحصاءات ل ٢٩٤ طائفة حرفية عاملة في دمشق في القرن الثامن عشر، ومن بينها تخصصت اثنتان في تقديم خدمات عامة، وهما "طائفة الشعّالين"، المسؤولة عن إضاءة قناديل المدينة، و"طائفة الزبّالين" المسؤولة عن جمع القمامة في المدينة(٢٠). وأما في مدينة نابلس فقد قرر "مجلس الشورى" عام ١٨٤٨م استخدام شخصين، ومفتشين لجمع نفايات الأسواق يومياً(٢١)، ومعنى هذا أن الخدمات العامّة، في مدينة نابلس، سبقت إنشاء البلديات على الأقل بعقدين.

(14) Yasemin Avci and Vincent Lemire, “De la modernité administrative à la modernization urbaine: Une réévaluation de a municipalitéottomane de Jérusalem (1867–1917),” in Municipalitésméditerranéennes, ed. Nora Lafi (Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 2005), 73–138.Yasmin Avci, Vincent Lemire, FalestinNaili, “Publishing Jerusalem’s Ottoman municipal Archives (1892-1917): A Turning point for the City’s Historiography,” Jerusalem Quarterly, 60, pp. 110-119.

(١٥) حسب ما ورد في أمر من مجلس عمومي الولاية ونشرت من قبل المتصرف، انظر احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء (نابلس، د.ت)، مجلد ٣، ص. ٢٦؛ بلدية نابلس، الكتاب السنوي (نابلس، ١٩٧٢)، ص. ٢٠؛ وانظر الدستور، مجلد ١، ص. ٤١٨؛ مجلد ٢، ص. ٤٤٣–٤٤٠.

(١٦) اكرم الراميني، "نابلس في القرن التاسع عشر"، أطروحة ماجستير، الجامعة الأردنية (عمان، ١٩٧٧)، ص. ٢٦

(17) Beshara B. Doumani, “The Political Economy of Population Counts in Ottoman Palestine: Nablus Circa 1850”, International Journal of Middle East Studies, 1/26 (1994), p. 1.

(١٨) انظر سجلات مجلس شورى نابلس، مجلد ١.

(١٩) سجل محكمة القدس الشرعية، مجلد ٨٤، ص. ٥٣٨.

(٢٠) يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ١٧٧٢–١٨٤٠ (طلاس: دمشق، ١٩٨٦)، مجلد ١، ص. ٢٨٤–٢٨٥.

(٢١) سجلات مجلس شورى نابلس، مجلد ١ ، ص. ٥٥.

وفي الصفحات التالية، سأستعرض بشكل سريع، بعض التطورات السياسية التي تشكلت في فلسطين في القرن التاسع عشر، وذلك لفهم الأهداف العثمانية في تطبيق سياسة الإصلاحات "التنظيمات"، وسياسات المركزية من خلال إعادة هيكلة مؤسسات حكومية قائمة، أو إنشاء مؤسسات إدارية جديدة، وكان المجلس البلدي من أهم المؤسسات الجديدة، وبعدها تتعرض هذه الدراسة بالتفصيل، للخدمات التي وقعت ضمن صلاحيات المجلس البلدي: الأمن، والصحّة، وجمع القمامة، وإنارة الشوارع، وتنظيم السير، وإدارة مالية البلدية. ومن ثمّ تبحث الدراسة في مدى نفوذ المجلس البلدي ودوائر تأثيره.

كما تبحث الدراسة أيضاً في مدى كيفية تأثير المجلس البلدي على تمدُّن المدينة، وتغيُّر بناها الاجتماعية، وفي ردود فعل المجتمع المحلّي للتجديدات الحاصلة في الإدارة المحلية. وتعتمد الدراسة بمعظمها، على سجلّات بلدية نابلس التي حفظتها دائرة محفوظات البلدية حتى اليوم. وحسب معلوماتنا، تعتبر هذه السجلّات فريدة، حيث لم تُحفظ مثلها في أي من المدن الفلسطينية الأخرى. وهكذا، وللمرة الأولى، نستطيع إلقاء نظرة نادرة لكيفية عقد جلسات المجلس البلدي، وكيفية إجراء المداولات أثناء جلسات المجلس البلدي، وكيفية انتخاب أعضاء المجلس، وكيفية إتخاذ القرارات، ونوع العلاقات التي تطورت بين المجلس البلدي وباقي مؤسسات الحكم في المدينة، وعلاقة المجلس البلدي بسكان المدينة، وما هي مجالات عمل المجلس، كما وتزودنا سجلّات مجلس بلدية نابلس بمعلومات مهمة عن الضرائب البلدية، والنفقات ومصادر الدخل، والميزانية والمشاريع.

المصادر

لقد حافظت مؤسسات مدينة نابلس وعائلاتها على العديد من الأوراق والمصادر أكثر من باقي المدن الفلسطينية الأخرى، لعدم تعرّضها للغزو الإسرائيلي المباشر في عام النكبة، الذي أدى لتدمير البنية الأرشيفية لغالب التجمعّات الفلسطينية التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨م، واحتفظت العديد من العائلات النابلسية ذات الماضي العريق بالحكم، والإدارة، والاقتصاد، والمراكز الدينية بمجموعات مهمة من الوثائق التي تروي قصّة المجتمع والمدينة.[٢٢] ويحوي الأرشيف المحلي لمدينة نابلس، مجموعة شبه كاملة لسجلّات المحكمة الشرعية منذ القرن

(٢٢) انظر مثلا محمود عطاالله، فهرس مخطوطات آل تفاحة (نابلس، ١٩٩٣)، وانظر كذلك مخطوطات آل الجقّة المحفوظة في مكتبة جامعة النجاح.

السادس عشر، وحتى نهاية الحكم العثماني، وقام فريق من جامعة النجاح بتصويرها وحفظها في مكتبة الجامعة.

ويحوي أرشيف بلدية نابلس من الفترة العثمانية على أكثر من ثمانين مجلداً تتعلق بالإدارة البلدية، وضمنها مجلدان يتعلقان بانتخابات المجلس البلدي، وتحوي هذه المجموعة خمسة وأربعين مجلداً تتعلق بميزانيات البلدية، وهنالك سبعة عشر مجلداً تحوي قرارات ومناقشات المجلس البلدي، إضافة إلى ستة عشر مجلداً تحوي أموراً متفرقة.

ويحتفظ أرشيف مكتبة بلدية نابلس بهذه المجموعات الأصلية، وقامت جامعة النجاح بتصويرها، ويحتفظ كذلك قسم دراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية بنسخة مشابهة، وتشكّل هذه المجلدات المصدر الأساسي لدراسة بلدية نابلس، من حيث الإدارة، والمجتمع خلال الفترة العثمانية.

شملت بلدية نابلس حين انشائها، في نطاق صلاحيتها مدينة نابلس، وكذلك باقي مدن اللواء. واستمر هذا حتى أواخر عام ١٨٨٢م، وحتى ذلك الحين، أشارت الوثائق الرسمية لرئيس البلدية كونه "رئيس مجلس بلدي لواء البلقاء". ومنذ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٢م، أشارت الوثائق له بصفته "رئيس بلدية نابلس".

إن دراسة سجلّات بلدية نابلس، وخاصة مجموعات المضابط، والقرارات، والمراسلات، تُظهر أن قرارات البلدية تمّ تسجيلها بالتسلسل، وشمل كل مجلد حوالي أربعمائة قرار سنوياً، وتم تسجيل قرارات المجلس البلدي باللغة العربية، وتشمل هذه السجلّات مئات الرسائل والأنظمة والأوامر التي أرسلتها دوائر حكومية تابعة للولاية، أو من دوائر حكومية في استانبول، وعادةً يتم تسلم هذه المواد باللغة العثمانية (التركية)، ويتمّ نسخها في سجلّات البلدية دون ترجمتها. وأما مراسلات البلدية للمكاتب الحكومية، في مركز الولاية، أو في استانبول، فقد تمّ إعدادها باللغة العثمانية (التركية).

النُخب الاجتماعية: بين القديم والحديث

حكمت فلسطين، في بدايات القرن التاسع عشر، زعامات محلية عرف الواحد منهم بالمتسلّم. وفي الغالب، كان المتسلّمون من أهالي المدن، أو ممن سكنوا قريباً من المدينة. ومارس المتسلّمون سيطرة مباشرة على فلاّحي المناطق الريفية المحيطة

بمناطقهم.[٢٣] وقام المتسلّمون بملء وظائف إدارية رفيعة، كجباية الضرائب، وعملوا على تنفيذ الأوامر السلطانية القادمة من استانبول. ونبعت قوتهم من مقدرتهم على تجنيد ميليشياتهم الخاصّة من بين السكان واستعمالهم في خدمة مناوراتهم وأهدافهم، وساد هذا الواقع على نحو خاص جبال وسط فلسطين، وجنوبها أي: جبال نابلس، والخليل، والقدس[٢٤].حيث أن الدولة العثمانية لم تملك القوة العسكرية الكافية لفرض سلطتها، فلم يكن أمام السلطان بدٌّ من قبول هذا الواقع، حتى تتبدل الأحوال. وهكذا، قام المتسلمون بدور الوسطاء بنجاح بين الحكومة المركزية، والسكان المحليين، وحماية السكان من تعسّف ممثلي السلطة المركزية، كما أظهروا لباقة بتعاملهم مع استانبول. ولدعم هيمنتهم، وصد المنافسين المحليين، فقد طوّر هؤلاء المتسلمون منظومة من التحالفات الحمائلية، مما حدا ببعض الصراعات لتصبح مناوشات مسلحة بين الأطراف المتحالفة، وحافظت الحكومة المركزية على قدر ما من النفوذ على المتسلمين، بسبب إرتباط مصادر ثروتهم (جباية الضرائب) بالحكومة.[٢٥]

وحين غزا إبراهيم باشا فلسطين عام ١٨٣١م، سعى لتغيير الوضع أعلاه، وفرض حكم مباشر، كما فعل والده في مصر، ولكنه فشل في ذلك، واكتشف سريعاً بأن عليه أن يتعاون مع الزعامات المحلية لبسط سيطرته في المنطقة. فأعاد إبراهيم باشا العديد من المتسلمين لمناصبهم، بعد أن غزا البلاد، وهو من أصدر كتب تعيينهم. وحين حاول إبراهيم باشا تعميق سيطرته على السكان، وتطبيق سياسة الاحتكار الاقتصادي واضافة أنواع جديدة من الضرائب ومحاولة جمع الأسلحة من الناس وتجنيد الفلاحين لجيشه، عارضه الفلاحون مما أسفر عن ثورة ١٨٣٤م.[٢٦]

وتمشياً مع التنظيمات، بدأ العثمانيون، عندما استأنفوا السلطة على فلسطين، تنفيذ سياسة المركزية الخاصة بهم، حيث بذلت جهود للحد من الحكم الذاتي المحلي، وزيادة الإيرادات، وتوسيع الحكم المباشر العثماني إلى المناطق الريفية. وفي جبل نابلس عادت الأوضاع كما كانت قبل الاحتلال المصري، واستمر الصراع بين العائلات المتنفذة على الهيمنة في المدينة والمناطق الريفية، كما كان قبل الاحتلال المصري. ومع ذلك، فقد دخل حلبة الصراع، بين القيادات المحلية عائلات جديدة

(23) Doumani, Merchants, p. 127.

(٢٤) عبد الكريم رافق، "القوى المحلية في فلسطين"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، مجلد ٢ (بيروت، ١٩٩٠)، ص. ٨٩٥-٩٠٦.

(٢٥) للتوسع في وساطة الاعيان وتدخلاتهم انظر دراسة البرت حوراني الهامة: Albert Hourani, "Ottoman Reform and the Politics of Notables", in idem, The Emergence of the Modern Middle East (Oxford, 1981), pp. 36-66.

(26) AfafLutfi al-SayyidMarsot, Egypt in the Reign of Mohammad Ali (London and New York, 1984), pp. 233-235.

اكتسبت مكانة بارزة خلال فترة الحكم المصري، أو ممن عينتهم ودعمتهم الحكومة المركزية العثمانية بعد عودتها لحكم فلسطين عام ١٨٤٠م، ونتيجة لهذه الصراعات، بين مراكز القوى المحلية، تفجّرت خلال أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر حرب أهلية بين حلف آل طوقان، وحلف آل عبد الهادي الذين أصبحوا قوة فاعلة في مدينة نابلس خلال الحكم المصري.(٢٧) أمّا رجال الدين (العلماء) والتجّار الذين لم يتبعوا أي من الحلفين، فقد لعبوا دوراً سياسياً هامشياً في المدينة وريفها، وحصل تغيّر جذري في هذه الحالة، منذ عام ١٨٥٩م، حينما قام الجيش العثماني وهاجم قرية عرابة، المقر الحصين لآل عبد الهادي، وأنهى بذلك ليس فقط الحرب الاهلية في جبل نابلس، بل قضى كذلك على القوى المحلية المتنفذة، ومنذ ذلك الحين وحتى نهاية الحكم العثماني حكم جبل نابلس حكّامٌ عينتهم استانبول مباشرة(٢٨). وهذا التحوّل الإداري والسيطرة العثمانية المباشرة، إضافة لربط المنطقة بالاقتصاد العالمي أديا تدريجياً لمحو الحدود بين مركبّات النُخَب السياسية، والدينية، والتجارية. وحيث تمكن التجّار، ورجال الدين المشاركة في الانتخابات، والترشّح للمناصب الإدارية، في مجالس الإدارة، والمجالس البلدية، والمحاكم النظامية، واللجان الإدارية المختلفة، كما فُتحت أمامهم مصادر قوة جديدة، وشكّلوا قوة مهمة في النخبة السياسية والاقتصادية في نابلس(٢٩). وانعكست هذه التغيّرات بوضوح في انتخابات المجلس البلدي.

انتخابات المجلس البلدي وظهور "الجمعيّات" المحلية

حدد قانون البلديات العثماني أصحاب حق الاقتراع فقط لمن لديه ملكية عقارية ومقدرة اقتصادية، وقد أعطي حق الاقتراع أفقط للذكور، الذين تجاوزت أعمارهم خمسة وعشرين عاماً، والذين دفعوا ضريبة أملاك تجاوزت خمسين قرشاً سنوياً، وأمّا حق الترشّح لعضوية المجلس البلدي، فقد أعطيت لمن لا تشوبه شائبة جنائية، وصاحب أملاك ويزيد دخله منها عن ٥٠٠٠ قرشاً، ويدفع ضريبة أملاك لا تقل عن مئة قرش(٣٠). وشكّل جمهور الناخبين، وأصحاب حق الترشُّح قلة من بين سكان

(27) Miiriam Hoexter, “Egyptian Involvement in the Politics of Notables in Palestine: Ibrahim Pasha in Jabal Nablus”, in Egypt and Palestine: A Millennium of Association (868-1948), Amnon Cohen and Gabriel Baer (eds.) (New York, 1984); idem “The Role of Qays and Yaman Factions in Local Political Divisions: Jabal Nablus Compared with Judean Hills in the First Half of the Nineteenth Century”, Asian and African Studies, 9/3 (1973), pp. 249-311.

(٢٨) الراميني، "نابلس في القرن التاسع عشر"، ص. ٢١٨.

(٢٩) سمح قانون الانتخاب العثماني فقط لأصحاب الأملاك والذين دفعوا ضرائب عن املاكهم بالمشاركة بالانتخاب، انظر سالنامة ولايت سورية، ١٣٠٠ هـ، ص. ٢٣٦،الدستور، مجلد ١، ص، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٩.

(٣٠) أرشيف بلدية نابلس، القسم الرابع، مجلد ٣ ، قضية رقم ٦٤.

المدينة. وقد كان عدد سكان نابلس الإجمالي عام ١٨٦٤م حوالي ال ٣٠,٠٠٠، وبلغ عدد الذكور الذين تجاوزت أعمارهم الخامسة والعشرين ٦٢١٦ ذكراً،[٣١] وحقّ فقط ل ٣٠٤ أشخاص الاقتراع حسب محددات القانون، وحقّ ل ١١٤ شخصاً من هؤلاء الترشّح لعضوية المجلس البلدي.[٣٢]

وقبل بدء عملية الانتخاب، قامت سلطة الويركو (الأملاك العامة) بنشر قوائم أصحاب حق الاقتراع وأصحاب حق الترشّح، في الأماكن العامة[٣٣]. وعشيّة الانتخابات شكّلت السلطة العثمانية لجنة انتخابات برئاسة رئيس البلدية، إضافة إلى شخصين "من معتبري الأهالي"، وممثلين لأحياء (محلات) المدينة تمّ اختيارهم من قبل مخاتير وائمة المدينة لمراقبة وإدارة عملية الاقتراع[٣٤]. وحيث جرت الانتخابات مرة كل أربع سنوات، انتخب المقترعون ضعفي عدد أعضاء المجلس البلدي: وخدم نصفهم في الدورة الأولى للمجلس البلدي، والنصف الآخر خدموا في الدورة الثانية.[٣٥] وحيث أناط القانون بلجنة الانتخابات المحلية كذلك اختيار من يخدم في الدورة الأولى (لمدة سنتين) في المجلس البلدي، والباقون في الدورة الثانية، فقام أصحاب المصالح بالضغط على المخاتير والائمة لتفضيل مقربيهم وممثليهم للدورة الأولى.[٣٦] وفي واقع الحال فقد عكس أعضاء اللجنة ميزان القوى في المدينة، وعلى الرغم من أن عضوية المجلس البلدي كباقي المؤسسات الإدارية المنتخبة لم تكن مقابل أجر، لكن اعتبرها الأعضاء المنتخبون، والمجتمع عامة كاعتراف بمكانتهم الاجتماعية المرموقة كونهم "نائلين القدر لهم والاعتبار بين أقرانهم".[٣٧] والانتخاب لعضوية المجلس البلدي فتح الطريق أمام الشخص للمشاركة بمؤسسات إدارية أخرى في مدينتهم. وتسنّى لأعضاء البلدية حيث كان متعارفاً أن يخدم الأعضاء المنتخبين للمجلس البلدي كذلك في مجالس إدارة البنك الزراعي، محكمة البداية ومجلس إدارة صندوق الأيتام، ومجلس إدارة المعارف، ومجلس إدارة مجلس المواصلات وغيرها من المجالس الإدارية.[٣٨] وإلى جانب الاحترام والرفعة التي نالها العضو المنتخب، فقد وفرت العضوية في مجالس

(٣١) نفس المصدر، القسم السادس، مجلد ١، ص.١٤.
(٣٢) احسان النمر، مجلد ٣، ص.٣٠.
(٣٣) أرشيف بلدية نابلس، القسم الرابع، مجلد ١ ، قضية رقم ٣٦٤.
(٣٤) نفس المصدر، القسم الخامس، مجلد ٣ ، قضية رقم ٣١.
(٣٥) نفس المصدر، القسم السادس، مجلد ٢، أوراق متفرقة، ٩ نيسان ١٣٣٠ (مالية).
(٣٦) نفس المصدر، القسم السادس،
(٣٧) سجلات مجلس شورى نابلس، مجلد ١، قضية رقم ٨٠.
(٣٨) أرشيف بلدية نابلس، القسم الخامس، مجلد ٢، قضية رقم١٦٩: القسم الرابع، المجلد الأول ، رقم ٤٠٦.

إدارات المؤسسات الحكومية المحلية لعضو المجلس البلدي المنتخب فرصة حقيقة للتأثير في قرارات المجلس، وحماية مصالحه، ومصالح داعميه، ومصالح التحالف الذي مثّله. وقد تنافست شخصيّات نابلسية بارزة بشدة للفوز بهذه المناصب، مما أدى إلى تشكيل نواة "حزبية"، أو كما أطلق عليها النابلسيون "الجمعيّات".[٣٩] وكانت هذه عبارة عن تحالفات بين شخصيات بارزة، وعائلات نابلسية تعاونت فيما بينها، للفوز بالمناصب الإدارية، وللتنافس للفوز بمناقصات الالتزام التي عرضتها البلدية والحكومة المحلية، وبرزت من بين هذه الجمعيات الجمعية العباسية التي عرفت لاحقاً باسم الجمعية الهاشمية، وكانت من أقوى جمعيات المجتمع النابلسي.[٤٠] وحين استعاد العثمانيون حكمهم في فلسطين حاول أفراد النُخب العريقة، كعائلة طوقان وحلفائهم، استعادة مناصبهم التي خسروها أثناء الحكم المصري في مدينة نابلس، وفي جبال نابلس عامة. وحين إنشاء مجلس الشورى في المدينة في أواخر اربعينيات القرن التاسع عشر، عمل كل من التحالفين البازين لإدخال مقربيه لعضوية هذا المجلس. وحيث وعت زعامة آل عبد الهادي، والحلف الذي قادته بتغيّر قواعد السلطة والسيطرة من الاعتماد على النسب والحسب للاعتماد على الثروة، قاموا بتقوية صلاتهم وعلاقاتهم بتجّار نابلس وبالعلماء الذين حظوا بتمثيل واسع في مجلس الإدارة. ومعنى هذا أن من ربح ثروته من التجارة وجد الطريق مفتوحاً أمامه في هذه الفترة لإدارة المدينة، والتحكم بفائض الإنتاج القروي، ومنذ هذه الفترة وما بعدها، فرض العلماء، والتجار، والعائلات العريقة الذين لاءموا أوضاعهم للمتغيّرات، إرادتهم وتمثيلهم على المؤسسات الإدارية الجديدة في المدينة وضمنها المجلس البلدي.

وتشير معطيات جمعناها من سجلّات بلدية نابلس عن ٤٣ عضواً في المجلس البلدي، وتسعة رؤساء بلدية بين الأعوام ١٨٦٨م و١٩١٤م، أن إمكانية الفوز بعضوية، أو رئاسة المجلس البلدي انحصرت داخل مجموعة محدودة من عائلات المدينة، وانتمى رؤساء البلدية للعائلات التالية: إثنان من عائلة عبد الهادي، وإثنان من عائلة طوقان، وواحد من عائلة تفاحة، وواحد من عائلة عبده، وواحد من عائلة عاشور، وواحد من عائلة حماد، وواحد كان من خارج نابلس.

---

(٣٩) احسان النمر، مجلد ٣ ، ص.٥٦-٦٥ ،محمد عزت دروزة، مذكرات وتسجيلات، مجلد ١ ، ص. ١٧٧-١٨٠: محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، مجلد ١ (بيروت، ١٩٨٧)، ص. ١٣٢-١٣٤.

(٤٠) الجمعية العباسية: أسسها الشيخ عبّاس الخمّاش خلال سبعينات القرن التاسع عشر بدعم من حلفائه أمثال آل عبد الهادي وكبار التجّار والعلماء. للاستزادة في هذا الموضوع انظر، Mahmoud Yazbak, “Nabulsi Ulama in the Late Ottoman Period, 1864-1914”,International Journal of Middle East Studies, 29 (1997), pp. 83-84,

وحيث تمّ تعيين رؤساء البلدية من قبل المتصرف، أي ممثل الحكومة المركزية، فقد عكس هؤلاء مصالح الحكومة المركزية في السياسة المحلية، وتعيين الشيخ محمد تفاحة عام ١٨٦٨م أول رئيس لبلدية نابلس، والذي عُيّن عام ١٨٧٥م نقيباً لأشراف نابلس، عكس قوة المتصرف ومدى تدخل الحكومة المركزية في السياسة المحلية، وعكس كذلك التغييرات التي حصلت في صفوف مراكز القوى المحلية واصطفافاتها السياسية، وحتى ذلك الحين انتمى زعماء عائلة تفاحة لطبقة العلماء من الدرجة الثانية في المدينة، وقد سيطر زعماء آل الحنبلي، ولقرون عدة على منصب نقيب الأشراف، وربطتهم مع آل طوقان علاقات نسب، وانتقلت وظيفة الإفتاء بين عائلتي الخماش والجوهري، وأما منصب القضاء الشرعي (النائب) فانتقل عادة بين عائلات آل التميمي، أو البسطامي، أو الخماش، وظهرت آثار سياسة التنظيمات العثمانية المركزية منذ عام ١٨٥٨م بإزاحة العائلات التقليدية ذات النفوذ السياسي عن المناصب الإدارية الرئيسية. ولم يعيّن منذ عام ١٨٥٨م لمنصب المتصرّف أي من الزعامات المحلية، على الرغم من كون جميع المتسلّمين، حتى ذلك العام، كانوا من الزعامات المحلية من عائلتي النمر، وطوقان، ولاحقاً كذلك من أبناء عبد الهادي، وعلى ما يبدو فإن الدولة العثمانية سعت لتطبيق هذه السياسة على رئاسة البلدية، وهو أيضاً المنصب الأكثر أهمية بعد المتصرف، وهذا بدا واضحاً حين عُيّن عبد الرحمن النقشبندي، الأناضولي الأصل، لرئاسة بلدية نابلس عام ١٨٧١م.[٤١] وعندما تبيّن للعائلات المتنفذة أن الحصول على منصب حكومي رفيع منوط بموافقة ممثل الحكم المركزي، تنافست هذه العائلات فيما بينها، للحصول على تأييده ولتثبيت قوتهم السياسية والاقتصادية. وبعد أن حصل آل عبد الهادي على دعم آل الخمّاش، وآل الجوهري وتأييد كبار التجار وأصحاب المصابن، مثل آل الطاهر، وزيد، وكمال، وكنعان وغيرهم، نجحوا عام ١٩٧٣م بتعيين حسن عبد الهادي لرئاسة البلدية.[٤٢] ومن ناحية أخرى، خدمت هذه التحالفات مصالح المتصرفين، الذين قاموا بتغيير رؤساء البلدية، للحفاظ على التوازن السياسي بين الأحلاف المختلفة في المدينة، وبعد سنة ١٨٧٣م تم تعيين رؤساء البلديات فقط من بين الأعضاء المنتخبين للمجلس البلدي، وأما التعيين نفسه لرئاسة البلدية فلم يقرره عدد الأصوات التي نالها العضو في الانتخابات البلدية، فقد كان للمتصرف الحق باختيار من شاء من بين أعضاء البلدية ليصبح رئيساً. وقد عكس قرار المتصرف قوة التحالف ومدى الضغط الذي

(٤١) سجلّ محكمة نابلس الشرعيّة، مجلد ١٧ ، ص. ٧٣٩.

(٤٢) نفس المصدر السابق، مجلد ٢٤ ، ص. ٢.

يستطيع مزاولته. وعلى الرغم من أن عبد اللطيف عبد الهادي حصل على أقل عدد من الأصوات مقارنة مع باقي الأعضاء المنتخبين، خلال الانتخابات البلدية لعام ١٩٠٨م، إلا أن المتصرف اختاره وعيّنه لرئاسة بلدية نابلس في تلك السنة.(٤٣) وأما في الانتخابات البلدية التي جرت عام ١٩١٢م، فقد تم تعيين حيدر طوقان لهذا المنصب، رغم حصول ثمانية أعضاء آخرين على عدد أصوات أكثر منه.(٤٤) وخلال الفترة بين ١٩٧٣م و١٩١٤م، بدّل المتصرف منصب رئاسة البلدية ما بين أبناء عائلة طوقان وأبناء عائلة عبد الهادي، الذين قادوا الحلفين العائليين المتنافسين في المدينة. وأما أبناء العائلات الأخرى فقد عيّنوا لهذا المنصب لمدة قصيرة، أو استثنائية خلال الفترة المذكورة. فكان عبد الفتاح النمر رئيساً للبلدية بين ١٨٧٦م-١٨٧٨م، وبدوي عاشور (١٨٩٦م)، وتوفيق حمّاد رئيساً للبلدية عام ١٩٠٥م وعام ١٩١٣م،(٤٥) ومحمد عبده (١٩٠٨م)(٤٦)، ومثل هؤلاء جميعاً واحداً من الحلفين المتنافسين.

وخلال حوالي خمسة عقود (١٨٧٠م-١٩١٧م) تشكّل المجلس البلدي من تركيبات شملت ٤٣ عضواً انتموا لتسعة وعشرين عائلة، ومعنى هذا أن بعض الأعضاء انتخبوا عدة مرات ولعدة دورات، وأن بعض العائلات نجحت في إيصال أكثر من ابن واحد لعضوية هذا المجلس. فمثلاً خدم علاء زيد في عضوية المجلس البلدي ثلاث دورات متتاليات، وبعده جاء قريبه فريد، أما أبناء النمر فقد حصلوا على تمثيل في عضوية المجلس في جميع دوراته، ومثلهم نجح أبناء عائلة كمال، والجوهري، والشافعي، وكنعان، وعبده، وقد انتمى أعضاء مجلس إدارة البلدية الثلاثة والأربعين للعائلات التالية: فخر الدين، وزيد، وتميمي، وخمّاش، وشافعي، وكنعان، وشرابي، والنمر، والطاهر، وجوهري، وعرفات، وعبده، وصمادي، وهاشم (حنبلي)، وكمال، وعاشور، وطوقان، ونابلسي، وخيّاط، وحجّاوي، وعنبتاوي، وشكعة، وزعيتر، وسايح، وقناديلو، وأبو غزالة، وعمد، والعكر. وعند تحليل أصول ومصادر النفوذ المادي لعائلات أعضاء المجلس البلدي تظهر الصورة التالية: لقد حصل أبناء آل طوقان وعبد الهادي على تمثيل دائم في المجلس البلدي خلال فترة الدراسة دون انقطاع، وحتى حينما خسروا الرئاسة حافظوا على عضوية المجلس البلدي، واضافة للمجلس البلدي، فقد حافظت عائلتا طوقان وعبد الهادي على تمثيل شبه دائم في مجلس

(٤٣) أرشيف بلدية نابلس، قسم ٤ ، قضية ٤٢١.

(٤٤) احسان النمر، مجلد ٣، ص. ٣١.

(٤٥) أرشيف بلدية نابلس، قسم ٥ ، مجلد ١ ، قضية ٣٤٩.

(٤٦) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٤ ، قضية ٤٢١.

إدارة المتصرفية. وحيث ترأس أبناء طوقان وعبد الهادي حلفين كبيرين، (جمعيّات عائلية) فقد ساعدوا أعضاء التحالف لانتخابهم لعضوية المجلس البلدي أو تعيينهم في مؤسسات إدارية مختلفة. وشملت "جمعية" (تحالف) آل عبد الهادي، والتي انتقلت زعامتها لاحقاً إلى آل الخمّاش، كلاً من آل التميمي، والخمّاش، والجوهري الذين كانوا من أعرق عائلات العلماء (رجال الدين) في مدينة نابلس. وخلال النصف الأول، من القرن التاسع عشر، انخرط العديد من أبناء هذه العائلات بالتجارة، وامتلكوا العديد من مصابن المدينة. وأما عائلات عاشور، وكنعان، وخيّاط، والشكعة، وزعيتر فكانوا من بين تجّار المدينة المعروفين، وممن تخصصوا بصناعة وتجارة الصابون. أما عائلات طاهر، وزيد، والعنبتاوي فكانوا من أصول ريفية وممن استفادوا من التجارة الزراعية. أما "جمعية" (تحالف) آل طوقان، الذي انتقلت زعامته لاحقاً لآل عبده، فقد ضمّ آل الحنبلي (آل هاشم) من أعرق عائلات العلماء في نابلس، وممن شغلوا منصب نقيب الأشراف لأكثر من قرنين، وحصلوا على دعم من آل النمر والشافعي، أبناء النخبة الحاكمة القديمة، الذين عانوا من ضعف متواصل لمركزهم القيادي ولثروتهم المادية. وأما عائلات التجّار وأصحاب المصابن مثل السايح، والنابلسي، وعبده، والشرابي فقد حصلوا على دعم آل طوقان.

ومما ذكر أعلاه يتضح ان التحالفين المتنافسين استندا على اغنى تجّار المدينة الذين بحثوا بدورهم عن مدخل للمناصب الإدارية، ليضمنوا مركزهم الاجتماعي ومصالحهم الاقتصادية، ولكونهم من الأغنياء، ولوجودهم داخل المؤسسات الحاكمة فقد استطاع هؤلاء من السيطرة على التزام الضرائب في المناطق الريفية وفي المدينة.[٤٧]

وعلى الرغم من مشاركة الأثرياء وحدهم في الانتخابات البلدية، إلا أن الانتخابات البلدية شكّلت أهم الأدوات التي أكّد من خلالها أفراد النخبة النابلسية موقعهم الاجتماعي، ومع تغيّر قواعد القوة والنفوذ وجعل الثروة العامل الأبرز لارتقاء النخبة الاجتماعية في سلّم الهياكل الاجتماعية، أصبحت الانتخابات السبيل الأهم أمام المتنفذين، ولا سيما التجار، للمشاركة في إدارة مدينتهم، أما القوى الاجتماعية التقليدية، كالنخبة الحاكمة القديمة والعلماء، والذين شغلوا مناصبهم بالتوارث، فقد خسروا مواقعهم ما لم يمتلكوا الوسائل اللازمة لتراكم الثروة: مساحات كبيرة من الأرض، والتجارة، والتزام الضرائب. ومقابل هؤلاء، فقد دخلت لدائرة النخبة الاجتماعية والسياسية مجموعة من الأغنياء الجدد كعائلات النابلسي، والشكعة،

(٤٧) تميمي وبهجت، مجلد ١ ، ص. ٢٣٢.

وكمال وغيرهم ممن شقّوا طريقهم نحو المواقع الإدارية وأثّروا في التغيّرات السياسية في المدينة.

البلدية والخدمات العامة

قبل أربعينيات القرن التاسع عشر لم تشهد فلسطين حضوراً أوروبياً مكثفاً، ما عدا بعض القناصل وممثليهم في مدن الشاطئ والقدس. وأما في مدن الداخل الفلسطيني، مثل نابلس، فلم يشعر السكان بتأثير الأجانب قبل انتهاء الحكم العثماني. وعلى الرغم من غياب التأثير الغربي، وقبل فترة التنظيمات فقد شهدت هذه المدن تغييرات عميقة في المباني المجتمعية والسياسية.[٤٨] وتقدم نابلس حالة دراسة مثالية لدراسة كيفية إنشاء المجالس البلدية وممارساتها اليومية بعيداً عن التأثيرات والتدخلات الأوروبية.

لقد أقيمت بعض البلديات في فلسطين، قبل قانون الولايات للعام ١٨٧١م، والذي أشار للمرة الأولى إلى إنشاء البلديات في الدولة العثمانية. وعبّر هذا القانون عن استراتيجية الدولة العثمانية لاستعمال المؤسسة البلدية لفرض سياساتها المركزية. وفي الواقع، وبينما تمّ انتخاب أعضاء المجلس البلدي، فقد عُيّن رئيس البلدية من قبل المتصرّف والذي مثّل سلطة الوالي.

وتشير أوراق مجلس شورى نابلس من أربعينيات القرن التاسع عشر، والذي قدّم خدمات عامة للمدينة قبل إنشاء البلديات، أن نفايات المدينة جُمعت يومياً، وأشار أعضاء المجلس إلى أهمية نظافة المدينة كشرط للحفاظ على صحة السكان.[٤٩] أي أن مدينة نابلس قد حظيت بخدمات عامة على الأقل قبل إنشاء البلدية بعقدين، وأشار هنري ترسترام خلال زيارته لنابلس في عام ١٨٦٣م، أن الجهود الكبيرة التي بذلها أعضاء مجلس شورى نابلس منذ أربعينيات القرن التاسع عشر، جعلت شوارع نابلس تبدو أكثر نظافة من شوارع القدس.[٥٠]وبعد إنشاء البلديات، توسعت الخدمات العامة وقُدمت للسكان بشكل متواصل.

لقد أنيطت مسألة الأمن بالمدينة بيد المجلس البلدي.[٥١]وبالإضافة للقوات الضابطة، وقوات الشرطة التي كانت تحت تصرف المتصرّف فقد عملت في المدينة

(48) Douman, Rediscovering Palestine, p. 9, 23, 68, 73-74; Abu Manneh, "Islamic Roots".

(٤٩) سجلات مجلس شورى نابلس، مجلد ١ ، ص. ٥٥ (هذه السجلات محفوظة في مكتبة جامعة النجاح في نابلس).

(50) Henry B. Tristram, The Land of Israel: A Journal of Travels in Palestine (London, 1882), p. ١٠٦.

(٥١) الدستور، مجلد ١ ، ص. ٤١٨.

قوّات أمن بلدية عُرفت باسم الجاويشية التي تمّ توظيف أفرادها من قبل البلدية، وطاف أفراد الجاويشية شوارع المدينة وأسواقها يومياً،[٥٢] وفرضوا غرامات مالية على من يخالف التعاليم البلدية.[٥٣] وإضافة لهؤلاء، فقد عيّنت البلدية مجموعة من الحراس لحراسة أسواق المدينة ليلاً، وقد تمّ دفع مرتباتهم من صندوق البلدية، وذلك من خلال فرض رسم خاص على التجار المستفيدين من هذه الخدمة.[٥٤]

وفي عام ١٨٥٤م، ألغت الدولة العثمانية وظيفة "المحتسب" الذي كان مسؤولاً عن مراقبة ما يجري في الأسواق، ونُقلت مهماته للمجلس البلدي.[٥٥] وقام المجلس البلدي بتوظيف مراقبين للطواف يومياً في شوارع المدينة وأسواقها لمراقبة الحوانيت والأسواق والمعامل. وقد راقبوا الأسعار ومواصفات البضائع التي تُنتج وتُباع في المدينة. وغرّم المراقبون مُخالفي التعليمات والأسعار. وشكّلت الغرامات التي جبتها البلدية مصدر دخل مهم لخزينة البلدية.

إن مراقبة مواصفات وأسعار المواد الاستهلاكية الأساسية، مثل: الخبز، والطحين، والقمح، والفحم، واللحم كانت تنفّذ يومياً ودون هوادة. ومن خالف التعليمات المشددة في هذا المجال كان يعرّض نفسه لغرامات عالية فاقت بكثير الغرامات التي فُرضت على باقي البضائع. وخصّص المجلس البلدي لموضوع تقرير الأسعار ومواصفات البضائع جلسات عدة وطويلة ومتتالية.

ولما كانت نابلس مركزاً تجارياً متوسطاً لمنطقة قروية واسعة، تطلّب هذا من المجلس البلدي جهوداً كبيرة لحفظ النظام والتعليمات في أزقّة وأسواق المدينة. ويظهر من سجلات البلدية، أن المجلس البلدي بذل جهداً متواصلاً لمنع التجّار والبائعين إغلاق تلك الأزقة بمعروضاتهم خارج محلاتهم، وعلى ما يبدو كانت تلك العادة متأصلة بين التجار فلم يحصل تغير سريع بها.[٥٦] وحينما تبين أن جولات المراقبين لم تنفع، قرر أعضاء المجلس البلدي التواجد بأنفسهم في أسواق المدينة ليشرحوا للناس أهمية وضرورة المحافظة على إخلاء الطرق من المعروضات.[٥٧] وحتى تتم عملية المراقبة بنجاعة أكبر، أحيت بلدية نابلس "الطوائف الحرفية"،[٥٨] حتى

(٥٢) أرشيف بلدية نابلس، قسم ٤ ، مجلد ٢ ، قضية ٧٥.

(٥٣) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٦ ، قضية ١٨٤.

(٥٤) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٢٠١.

(55) Encyclopedia of Islam, New Edition, vol. 1, p. 489.

(٥٦) أرشيف بلدية نابلس، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ١٦٣.

(٥٧) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٤ ، قضية ٢٩١.

(٥٨) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٢٢١ ، ٣٧٥.

يقـوم شـيخ كل طائفـة بمراقبـة أسـعار ومواصفـات مـا ينتجـه أعضـاء الحرفـة، وبنـاءً على مدى تنفيـذ تعليمـات شـيخ الحرفـة، تم منـح أو منـع عضـو الحرفـة رخصـة مزاولـة العمل.[٥٩] وتشـمل سـجلات البلديـة تعيينـات لخمسـة مـن هـؤلاء المشـايخ[٦٠]، واحـداً لـكل مـن الكعكجيـة، والخبازيـن، والكندرجيـة، والمكارجيـة، والحمّالـين.

واهتـم مراقبـو البلديـة بمراقبـة بائعـي الأطعمـة، وراقبـوا الجزّاريـن بشـدة. وأقيـم في نابلس مسـلخ بلـدي منـذ سـبعينيات القـرن التاسـع عشـر، حيث تمّ فحص الحيوانـات قبـل ذبحهـا مـن قبـل طبيـب بيطـري.[٦١] وفي سـنة ١٩٠٣م تمّ بنـاء مسـلخ جديـد خـارج المنطقـة السـكنية، وفُرضـت غرامـات عاليـة علـى كل مـن خالـف التعليمـات، وصـدرت التعليمـات للجزّاريـن بتغطيـة اللحـوم المعروضـة للبيـع بشاشـات نظيفـة.[٦٢]

واهتـمّ المجلـس البلـدي بنظافـة المدينـة، ومنـذ إنشـاء المجلـس البلـدي أولـى أعضـاء بلديـة نابلـس هـذا الموضـوع اهتمامـاً كبيـراً، وللحفـاظ علـى نظافـة المدينـة قُسـمت المدينـة إلـى خمـس دوائـر، وتم توظيـف خمسـة متعهديـن وبرفقتهـم خمسـة عشـر حمـاراً جالـوا شـوارع المدينـة يوميـاً لجمـع النفايـات، وبالإضافـة لهـؤلاء قـام أربعـة متعهديـن يوميـاً بـرش الشـوارع بالمـاء.[٦٣] وأوصـت "جمعيـة الصحـة" التابعـة لبلديـة نابلـس عـام ١٨٩٢م بمنـع وضـع النفايـات خـارج البيـوت خـلال سـاعات النهـار، بـل سُـمح بذلـك فقـط في سـاعات المسـاء حتـى يقـوم عمـال النظافـة بجمعهـا في سـاعات الصبـاح الباكـر، وفي عـام ١٩٠٥م، تأسسـت "الجمعيـة البلديـة لنظافـة المدينـة"، برئاسـة عضـو مـن المجلـس البلـدي، وطبيـب البلديـة، ومفتـش البلديـة، وأحـد افـراد الشـرطة التـي قامـت بأعمـال جمّـة لتثقيـف النـاس بموضـوع الصحّـة العامـة. وفي عـام ١٩١٢م، وضعـت البلديـة مسـتودعات كبيـرة لجمـع النفايـات في مراكـز الأحيـاء كمـا زودت البيـوت بأوعيـة خاصـة لوضـع النفايـات فيهـا.[٦٤]

واسـتثمر المجلـس البلـدي كثيـراً في سـبيل منـع ميـاه الصـرف الصحـي مـن الجريـان في قنـوات مفتوحـة، وتـم في ثمانينيـات القـرن التاسـع عشـر حفـر قنـوات صـرف مغلقـة

(٥٩) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٣٧٥.

(٦٠) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٢٢١.

(٦١) نفس المصدر السابق، قسم ٥ ، مجلد ٢ ، قضية ٢٧٠.

(٦٢) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٨ ، قضية ٢٨٠.

(٦٣) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ١٦٢.

(٦٤) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٥ ، قضية ١٤٤١.

في معظم أحياء المدينة.[٦٥] وقد تمّ توجيه المياه العادمة إلى وادي التفاح غربي المدينة، أما تكاليف مشروع المجاري وصيانته فقد جُبيت من المقتدرين من سكان المدينة.[٦٦]

وحسبما معروف، فقد اشتهرت مدينة نابلس بكثرة مصانع الصابون، وحيث أن مخلفات تلك المصانع شكّلت خطراً على الصحة العامة، فقد قام المجلس البلدي بمراقبة تلك المصانع للتأكد من التقيد بتعليمات النظافة. ولم تتردد البلدية في مصادرة المعدّات غير الصالحة ومخالفة كل من لم يتقيد بتعليمات النظافة.[٦٧]

كما اهتم المجلس البلدي بإنارة الشوارع، وأزقة المدينة، واعتاد سكان مدينة نابلس حتى بداية القرن العشرين على تعليق القناديل خارج بيوتهم وعلى نفقتهم الخاصة، وراقب مخاتير الحارات وجود هذه القناديل خاصة في الأماكن المظلمة.[٦٨] وبدأت البلدية في عام ١٩٠٢م مشروعاً كبيراً لإنارة شوارع المدينة الرئيسية، واشترت مائة وثلاثة وخمسين قنديلاً تضاء بالكاز، وعلّقتها بشوارع المدينة. أما المسؤولية عن هذه القناديل، وعن الكاز فقد أنيطت بأصحاب البيوت.[٦٩] وحيث لم يلق المشروع نجاحاً، قررت البلدية عام ١٩٠٣م تبّني مشروع الانارة كاملاً. وعينّت أربعة "شعّالين" لإنارة جميع القناديل، وزوّدت البلدية الشعّالين بالوقود على كلفتها.[٧٠] وتدريجياً أضافت البلدية قناديل جديدة وفي عام ١٩٠٧م، قامت بإنارة جميع أزقّة المدينة. واشترت البلدية عام ١٩٠٨م، مصابيح (لوكسات) ذات قوّة إنارة عالية لإنارة الساحات العامّة.[٧١] ومع ذلك، لم تتغير تعليمات البلدية بإلزام كل من يخرج ليلاً إلى الشوارع بأن يحمل قنديلاً، وذلك من أجل الحفاظ على النظام العام.[٧٢]

وبدأت البلدية سنة ١٩١١م، بدراسة إمكانات تزويد المدينة بالكهرباء. وتم استدعاء مهندسين من يافا لدراسة الإمكانات لإنتاج الكهرباء من ينبوع رأس العين، أو من وادي الباذان.[٧٣] وبعد أن اثبتت الدراسات أن قوّة الماء غير كافية لهذا الغرض، استدعت البلدية عام ١٩١٤م شركة بيروتية لتقديم عروضٍ لإنارة المدينة بالكهرباء

(٦٥) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٦ ، قضية ٢٤٣ ، ٢٦٧.
(٦٦) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٦ ، قضية ٦٣.
(٦٧) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٧ ، قضية ٦٣٣.
(٦٨) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٣٦٥.
(٦٩) احسان النمر، مجلد ٣ ، ص. ٣٤.
(٧٠) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٢ ، قضية ٢٩٤.
(٧١) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٣ ، قضية ٣٢٣.
(٧٢) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٤ ، قضية ١٧١.
(٧٣) نفس المصدر السابق،قسم ٤ ، مجلد ٤ ، قضية ٤٩٨.

بوساطة المولّدات، وذلك "من أجل تطوير المدينة، وزيادة دخل البلدية".(٧٤). وقدّرت الشركة تكاليف المشروع بثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك فرنسي. وقرر المجلس البلدي هذا العرض "لأهميته في تطوير المدينة مادياً واقتصادياً"، وحيث لم تمتلك البلدية المال الكافي، فقد خوّل المجلس البلدي رئيس البلدية باستدانة ذلك المبلغ من التجّار أو من البنوك ورهن أملاكاً للبلدية مقابل ذلك القرض(٧٥)، وتوقف المشروع بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى. وفي سنة ١٩٢٠م تمّ بحث فكرة إنارة المدينة بالكهرباء مجدداً ولكن لم ينفّذ ذلك إلا في ثلاثينيات القرن العشرين(٧٦).

تخطيط مدينة نابلس

حتى نهاية القرن التاسع عشر، استثمر المجلس البلدي جهوداً كبيرة في تنظيم أسواق المدينة. وحيث أن الأسواق تواجدت داخل القصبة (المدينة القديمة) ذات الشوارع الضيّقة، والتي دخلتها الحيوانات المحمّلة بالبضائع لمحلّات التجّار، فقد بذل المجلس البلدي جهوداً لتحسين الأوضاع الحياتية، والنشاط التجاري في أسواق المدينة، وفي تسعينيات القرن التاسع عشر طبّق المجلس البلدي التعليمات القاضية بمنع الباعة المتجولين وأصحاب المحلّات من إعاقة حركة المرور، وعرض بضائعهم على الأرصفة، أو في الشوارع الضيقة.(٧٧) إلا أن الغرامات والإعلانات المتكررة بهذا الشأن لم تساعد إلا قليلاً في حل هذه المشكلة، وفي سنة ١٩٠٣م قام المجلس البلدي بتخصيص ساحات خارج سوق المدينة للباعة المتجولين والبضائع القادمة لتجّار المدينة، ومنع المجلس البلدي حيوانات النقل بدخول أسواق المدينة في ساعات النهار.(٧٨) ولكن لم يرتدع الباعة والتجّار من استغلال الأرصفة لعرض بضائعهم.

ونتيجة للزيادة السكانية في القصبة، وبحثاً عن ظروف سكنيّة أكثر راحة بدأت تظهر منذ سبعينيات القرن التاسع عشر أحياء جديدة خارج القصبة.(٧٩) ومن بين تلك الأحياء ظهر حي الشويترة في غربي المدينة، حيث انتقلت اليه عائلات التجّار والأغنياء، وقد عملت البلدية منذ انشاء هذا الحي على ألّا يقل عرض الشارع فيه عن ثمانية أمتار.(٨٠)

(٧٤) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٤ ، قضية ٥٠٤ ، ٥٥٩.

(٧٥) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٨ ، قضية ٢٥٨.

(٧٦) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٧ ، قضية ٤٨٧.

(٧٧) نفس المصدر السابق، قسم ١ ، مجلد ٧ ، قضية ٢٥.

(٧٨) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٢ ، قضية ٣٣.

(٧٩) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ١٦٠.

(٨٠) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٢٧٤.

ورغم معارضة الحكومة لإقامة حيّ سكني على أرض الشويترة، لكونها أرضاً أميرية، إلا أن العائلات الغنية أخذت بالسيطرة على هذه الأراضي جاعلة إياها ملكية خاصة.[٨١] وحيث تكوّن المجلس البلدي من أبناء العائلات المتنفذة فقد استطاع ممارسة الضغط على متصرف المدينة مدعياً بأن مشروع بناء البيوت الخاصّة على الأرض الأميرية سيفيد صندوق البلدية بسبب جباية ضرائب الويركو التي دفعها الناس للبلدية. كما وأكّد أصحاب البيوت أن الحي الجديد سيحل مشاكل الاكتظاظ والضائقة السكانية التي عانت منها المدينة.[٨٢] وفي نهاية الأمر عيّنت البلدية مهندسين لإعداد خرائط لتنظيم هذه المنطقة، ولتخطيط شوارع المدينة بأكملها، وأنشأت البلدية في منطقة الشويترة أول حديقة عامة في المدينة، وأنشأت عام ١٩١١م أول مسرح بلدي.[٨٣] وزرعت أشجار الزينة على أطراف شوارع الشويترة والتي كان يجوبها عمال النظافة يومياً.[٨٤]

واستمرت العائلات الغنية بالانتقال من المدينة القديمة إلى حي الشويترة الجديد والعصري، وباستمرار توسعت المنطقة العمرانية باتجاه الغرب. وارتفعت أسعار الأراضي باستمرار، وحينما اقتربت حدود الشويترة من حدود قرية رفيديا المجاورة، قامت البلدية عام ١٩١٤م بواحد من أكبر مشاريع الشوارع لربط رفيديا بنابلس لتصبح جزءاً من المدينة.[٨٥]

ومنذ بداية القرن العشرين أعدّ المجلس البلدي خططاً تطويرية لتحسين مظهر المدينة، وبادر لإنشاء مشاريع مهمة مثل دار البادية، وبناء برج الساعة،[٨٦] الذي بني احتفاء بالعيد الفضي لجلوس السلطان عبد الحميد. وقد تمّ تمويل هذا المشروع من تبرعات سكان نابلس، وسكان القرى المجاورة. كما تم توسيع الشوارع والاستمرار بزيادة مصابيح الانارة، وبدء بمشروع المجاري العامة، وببناء المستشفى البلدي، وإنشاء الحديقة البلدية، والمسرح البلدي.[٨٧]

(٨١) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٤٢٦.
(٨٢) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ١ ، قضية ٢٧٤.
(٨٣) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٨ ، قضية ٢٨٥.
(٨٤) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٥ ، قضية ٣٥.
(٨٥) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٥ ، قضية ١١٤١.
(٨٦) نفس المصدر السابق، قسم ٢ ، مجلد ٥ ، قضية ٧٧.
(٨٧) نفس المصدر السابق، قسم ٤ ، مجلد ٧ ، قضية ١٠٠٥.

الخلاصة

لـم تُسـهم الحكومـة المركزيـة بإقامـة بنيـة تحتيـة في المدينـة العثمانيـة، لقـد كانـت هـذه مهمـة السـكان المحليـين أنفسـهم. وهكـذا، فـإن الخدمـات البلديـة، مثـل: الإنـارة، والنظافـة التـي قُدمـت لجميـع السـكان، وتمّ تمويلهـا مـن قبـل المقتدريـن ماديـاً، قـد أكـدت مـن جديـد الروابـط الاجتماعيـة بـين سـكان المدينـة. فـإن المسـاهمة الماديـة للمقتدريـن مـن أجـل مصلحـة الجميـع، ومـن ضمنهـم غيـر المقتدريـن، كان مـن أسـس المجتمـع الإسـلامي التقليـدي الـذي شـجّع عمـل الخيـر والتبـرع لمصلحـة الجميـع. وبهـذه الطريقـة تمّ تنفيـذ معظـم مشـاريع البلديـة التطويريـة.

ورغـم عـدم وجـود أوروبيـين في نابلـس، فقـد نجـح المجلـس البلـدي في معالجـة قضايـا تطويـر المدينـة بكفـاءة عاليـة.

دور بلدية نابلس في إنارة المدينة إبان الانتداب البريطاني (١٩٢٢م-١٩٤٨م)

مقبولة حسن خليل يحيى[١]

ملخص

يسعى البحث إلى توضيح الدور المهم الذي قامت به بلدية نابلس في إنارة المدينة، إبان الانتداب البريطاني، عن طريق ملفات بلدية نابلس الخاصة بهذا الأمر، ودراسة التطورات والمعطيات المتعلقة بالإنارة منذ أواخر العهد العثماني، وحتى نهاية الانتداب البريطاني؛ ليتسنى المقارنة، وربط الأمور، ورصد النتائج، والحقيقة أن إنارة نابلس، في تلك الفترة، لم تنل اهتمام الباحثين، ولم تجذب المؤلفين، ربما لشح المصادر، وصعوبة الوصول إليها، أو لنقل المراجع بعضها عن بعض دون التجديد والتغيير. ولتحقيق أهداف البحث، كان لا بد من الاستعانة بالمنهج الوصفي، مع التحليلي، والتاريخي. واستخدام الوثائق الصادرة عن البلدية ((ملفات إنارة بلدية نابلس) كمخطوطات مرجعية أساسية في بحث الإنارة، وقد تضمنت ملفات البلدية مهام الموظفين، وآليات عملهم، وعلاقة البلدية بالولايات، وأثر الانتداب البغيض على أداء البلدية، وتحدي الأخيرة، وتفانيها في خدمة سكان نابلس، واثبات الوجود والقدرة على الإدارة والتطور. وبعد دراسة الإنارة، وما يتعلق بها، توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها :غنى ملفات نابلس بالمعلومات والحقائق النادرة التي قلما نجد شبيها لها في المصادر الأخرى، واستحواذ إنارة نابلس على اهتمام القائمين على البلدية وعنايتهم، مما انعكس إيجاباً على التطور الحضاري للمدينة، وأسهم بالتالي، في استتباب الأمن والاستقرار، وازدهار الفترات اللاحقة، ولكون الإنارة من بواكير الأعمال وسوابق الانجازات.

كلمات مفتاحية:بلدية نابلس، إنارة، تعهد، قناديل، لوكسات، باش ملاحظ.

(١) محاضرة في التاريخ

Abstract

My aims of this study was to focus on the activities, of Nablus municipality specially in electricity through British Mandate. Moreover.

Researchers, have not paid enough attention to the life of the city. I have tried my best to cover all aspects of the electricity using primary sources and document from the Nablus municipality documents, and also covers tasked of Staffa d work of municipality mechanisms. And its relation with the governor . Conclusion :The Municipality of Nablus provided great services to the inhabitants of the city

جغرافية وطبوغرافيا نابلس

تتمتع مدينة نابلس بموقع جغرافي آخاذ سحر العيون، وصبا الأفئدة؛ فهي تقبع بين جبلين[٢] عيبال الذي يرتفع ٩٤٠م فوق سطح البحر وجرزيم٨٨١م، بعرض قدره٤٥ ميلاً (٧٢كم) وطول ٥٤ميلاً(٨٦كم) تقريباً[٣]، وتتوسط المرتفعات الفلسطينية عامة، وجبال نابلس خاصة، وتقع ضمن خط تقسيم المياه الممتد من الشمال إلى الجنوب، وعلى الطريق السالك من صفد والناصرة شمالاً حتى الخليل جنوباً[٤].

تبعد عن القدس شمالاً٦٩ كم، وعن البحر المتوسط شرقاً٤٢كم[٥]، ويحدها من الشمال قضاء حيفا إلى قفزة الناصرة، حتى سهول بيسان الجنوبية، ومن الجنوب نهر العوجا إلى سلفيت، حيث جبال القدس التي تسير نحو الغور حتى أريحا، أما الحدود الشرقية، فتبدو تارة نحو نهر الأردن، وتارة أخرى تجتاز النهر لتخترق البلقاء والكرك، إضافة إلى عجلون حتى حوران، والمدينة كتلة جبلية وسطى[٦] مستطيلة الشكل[٧]، تتصل بجبال القدس فتحيط بها غرباً سهول بني صعب، وشمالاً مرج بن عامر وبيسان، ثم تنحدر شرقاً نحو الأغوار، حتى تصل نهر الأردن، وهناك سهول صغيرة تحتضنها المدينة كسهول عسكر، ورامين، وجبع، وصانور، كما تضم

---

(٢) اليعقوبي. أحمد بن اسحاق، (ت ٢٧٨هـ)كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩٠م، ص١١٦. الحموي. ياقوت، (ت٦٢٦هـ)معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ١٩٧٧م، م٥، ص٢٤٨، القزويني. زكريا بن محمد(ت٦٨٢هـ)آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر-بيروت، ص٢٧٧

(٣)الدباغ. مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الهدى -كفر قرع، ٢٠٠٦م، ج ١، ق١، ص٥٣، ج٢ق٢، ص١٧، ٢٢-٢٣

(٤) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، م٤، ط١، ١٩٨٤ م، ص ٤١٥

(٥) السجدي. آمال عزت، بلدة نابلس القديمة في صور، عمان، ٢٠٠٢م، ص١٢

(٦) النمر. احسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ط٢، ١٩٧٥م، ج١، ص٤٢-٤٣

(٧) ياقوت، معجم، م٥، ص٢٤٨، القزويني، آثار، ص٢٧٧

بعض الأودية كالباذان، والفارعة، ونابلس، ودعوق، وعزون، وقانه[٨]، كما تتواجد فيها الينابيع كرأس العين، والقريون[٩] والمستنقعات، لاسيما في بعض المناطق السهلية[١٠].

وتبدو المدينة في بطن وادي ضيق يصل أقصى عرض له حوالي١٢٠٠م، ويمتد نحو الشرق والغرب بانحدارين، يبلغ الشرقي منه أقل من١٠٪ بينما يبلغ الغربي حوالي ٢٠٪، أما جانبا الوادي فهما السفح الجنوبي لجبل عيبال من الشمال، والسفح الشمالي لجبل جرزيم من الجنوب، وتتميز تلك السفوح بنسبة انحدار تزيد على ٤٠٪[١١].

مما سبق يتضح أن نابلس تحتل قلب فلسطين، فتصل شمالها بجنوبها، وشرقها بغربها، وكان لإحاطتها بسفحين منحدرين، من الجهة الشمالية والجنوبية، الدور الكبير في اكتسابها حصانة وحماية طبيعية، وامتدادها بشكل موازٍ مع المناطق قليلة الانحدار، وتوسع شمالي وجنوبي بنسب شبه متساوية، وفي الاستفادة من سهولها، وينابيعها، وتربتها الخصبة زراعياً، واستغلال صخورها للبناء، وتحكمها في الطرق التجارية والعسكرية في المنطقة[١٢] .

تخطيط نابلس (المحلات والسكان)

قسمت مدينة نابلس قسمين شمالي وجنوبي، وقد ضم الجنوبي أحياء(قيسارية، والعقبة، والقريون، والياسمينة)، بينما كانت محلات القسم الشمالي تتكون من(الحبلة والغرب) [١٣]، والواقع أن هناك تشابهاً كبيراً بين تلك المحلات[١٤] التي ذكرت في أواخر العهد العثماني[١٥]، وكانت على النحو الآتي:

المحلة	الموقع
الحبلة(أكبر المحلات)	شمال شرق القصبة
القيسارية[١٦]	جنوب شرق القصبة

(٨) النمر، تاريخ، ج١، ص٤٣، الدباغ، بلادنا، ج٢، ق٢، ص٢٧-٢٨، ٤٤،

(٩) التميمي.محمد رفيق ومحمد بهجت الكاتب، ولاية بيروت، لواء نابلس، ج١، ص٨٨

(١٠) النمر، تاريخ، ج١، ص٤٣

(١١) عمران. عمار عادل، الامتداد العمراني لمدينة نابلس والعوامل المؤثرة فيه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٨، ص٢٢

(١٢) عمران، الامتداد، ص١٧، ٢٠، ٦٧، وللمزيد٣١وانظر كذلك: المصري، رأفت محمد رائف، نابلس عش العلماء وموطن الأصفياء، ط١، دار الفاروق-عمان، ٢٠١٢م، ص٣٧-٣٨، عارف، عبد الله، مدينة نابلس دراسة إقليمية، جامعة دمشق، ١٩٦٣- ١٩٦٤ص ٧١طوقان، صبحي سعيد، جبل النار، نابلس، ١٩٦٩، ص٢٧.

(١٣) دروزه، محمد عزة، مذكرات محمد عزت دروزة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م، م١، ص٤٨.

(١٤) انظر حولها بتوسع، العزيزي، هاني عبد الرحيم، نابلس(أسامي ومعاني وأغاني) ط٢، عمان ، ٢٠٠٦، ص١٤-١٥.

(١٥) التميمي، ولاية بيروت، ج١، ص٨٦

(١٦) كان المؤلف المعروف محمد عزت دروزة يعيش في هذه المحلة، مذكرات، م١، ص١٣٤.

العقبة	جنوب القصبة
القريون (حبس الدم)[١٧]	وسط القصبة
الياسمينة	جنوب غرب القصبة
الشويترة[١٨]	غرب وشمال غرب القصبة

أما سكان نابلس، فقد بلغ تعدادهم عام ١٨٨٢م نحو(٨،٠٠٠) نسمة أغلبهم من المسلمين، وفي عام ١٨٩٤م وصلوا إلى(٩،٠٠٠) نسمة منهم ٦٥٠ من المسيحيين، و٢٠٠ من السامريين.

وفي مطلع القرن العشرين بلغ عددهم حوالي (١٩،٢٠٠) نسمة، في حين وصل مجموع السكان سنة ١٩١١م قرابة (٢١،٠٧٢)نسمة، والمنازل قرابة (٥،٠٠٠)منزل. ويبدو أن بعض سكان نابلس قد تخلى عنها قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، وتعرض قسم آخر منهم للمجاعات، والأمراض فانخفض تعدادهم، وفي فترة الانتداب البريطاني ارتفع عدد السكان فيها نتيجة الزيادة الطبيعية من جهة، والهجرة خارج المدينة من جهة أخرى، فأصبح مجموعهم عام (١٩٣١م) ما يربو على (١٧،٤٦٨) في(٥،٨٩٤) بيتاً[١٩]. وكانت معظم بيوت نابلس حتى أوائل الأربعينيات تتجمع في وادي نابلس، وعند أسفل جبل عيبال، ومع حلول عام(١٩٤٥م) زاد سكان المنطقة زيادة ملحوظة قدرت ب(٢٣،٢٥٠) نسمة، أقام معظمهم في بيوت المدينة القديمة التي امتدت على طول (وادي نابلس وفوق سفوح الجبال، وقد عرفت نابلس القديمة حتى ذلك الوقت بأزقتها المعتمة، وأسواقها الضيقة، وأبنيتها المتلاصقة، ومن اللافت أن حركة البناء فيها زادت بعد الحرب العالمية الأولى.فعلى سبيل المثال لا الحصر قامت بلدية نابلس عام(١٩٤٤م) بمنح (٧٢٨) رخصة بناء. ونتج عن ذلك زحف المباني على طول الوادي، وعلى بعض أجزاء منحدرات جبلي عيبال و(جرزيم) المطلة على وسط المدينة، والواقع أن بعض السكان بدأوا يشيدون منازلهم على الجبال خارج المدينة القديمة منذ عام (١٩٣٠م) وعلى أثر زلزال عام (١٩٢٧م)، كما اتسعت المدينة حتى أصبحت مساحتها نحو ٥،٥٨١ دونماً عام(١٩٤٥م)[٢٠].

(١٧) المرجع السابق، م١، ص٥٧.

(١٨) لم أجد في ملفات إنارة بلدية نابلس ما يشير إلى هذه التسمية في حين وجدت التسمية عند محمد عزت دروزة، مذكرات، م١، ص٤٨

(١٩) الموسوعة، القسم العام، م٤، ص٤١٨

(٢٠) الموسوعة، القسم العام، م٤، ص٤١٨، طوقان، جبل النار، ص٣٠

التقسيمات الإدارية لفلسطين في العهد العثماني وإبان الانتداب البريطاني

سيطر العثمانيون على الشام بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق (١٥١٦م)[٢١]، وأبقوا التقسيمات الإدارية على ما كانت عليه باستثناء اتخاذ الوحدة الإدارية العثمانية (اللواء) أساساً للتقسيم بدلاً من وحدة الإدارة المملوكية (النيابة)، ورفع شأن بعض المدن، ومن بينها القدس، بتحويلها مراكز إدارية، وتعيين حكام أتراك عليها[٢٢]، وبعد ذلك وضع نظام جديد لإدارة بلاد الشام هدفه تقوية السلطة العثمانية، فقسمت بلاد الشام ثلاث باشويات أو إيالات (ولايات): إيالة دمشق، إيالة حلب، إيالة طرابلس. وألحقت بكل إيالة من هذه الإيالات الثلاث وحدات إدارية كثيرة تسمت ب -سناجق- فكانت فلسطين تضم سناجق نابلس، وغزة، والقدس، واللجون، وصفد وتتبع إيالة دمشق[٢٣].

ووضعت كل إيالة تحت سلطة زعيم، ووضعت الوحدات الإدارية الملحقة بالإيالة بدورها تحت سلطة أحد الزعماء[٢٤].

استمر التقسيم الإداري لبلاد الشام إلى ثلاث إيالات، قائماً حتى سنة (١٦٦٠م)، حين أحدثت إيالة صيدا المكونة من أجزاء من إيالتي طرابلس ودمشق، بعدما تم فصلها عن بلاد الشام، وأضيف سنجقا صفد وصيدا إلى بيروت[٢٥].

ويبدو أن تغير الأقسام الإدارية وتبدلها، بين فينة وأخرى، يعود لأسباب أمنية كتوطيد النفوذ، وإحكام السيطرة، واستتباب الأمن، أو لإعانة القبائل الصغيرة على القبائل البدوية الكبرى، أو لضرورات جغرافية كاختلاف طبيعة المنطقة وتنوع تضاريسها ما بين سهول، وجبال، وأودية، أو لتكثيف المواقع والمراكز الإدارية؛ بسبب مواسم الحج، والزيارة إلى القدس، والخليل[٢٦]، ومجمل القول، فإن فلسطين بقيت، حتى مطلع القرن الثامن عشر تابعة لإيالة دمشق (الشام)، ولم تشكل وحدة إدارية مستقلة بذاتها، وفيما بعد أصبح بعضها تابعاً لإيالة صيدا (ولاية بيروت لاحقاً)، وبعضها الآخر تابعاً لولاية سورية، إلى جانب لواء القدس الذي غدا يُعرف بمتصرفية

(٢١) رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، ص٦٩٧

(٢٢) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط٥، مكتبة الأندلس-القدس، ١٩٩٩م، ج ١، ص٣١٠، عوض. عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(١٨٦٤-١٩١٤)، دار المعارف-مصر، ١٩٦٩م، ص٦١.

(٢٣) رافق، فلسطين، ق٢، ص٦٩٨-٦٩٩، الدباغ، بلادنا، ج٢ق٢، ص٩-١٠، عوض، الادارة، ص٦٢-٦٣

(٢٤) الموسوعة الفلسطينية، التقسيمات الإدارية، حرف التاء بحث Google

(٢٥) عوض، الإدارة، ص٦٣، رافق، فلسطين، ق٢، ص٧٠٠

(٢٦) رافق، فلسطين، ق٢، ص٧٠٠-٧٠١

القدس، وتم نقل مركز إيالة صيدا عام (١٧٧٧م) من صيدا إلى عكا(١٨٣١م)، كما أصبح لواء القدس تابعاً لإيالة صيدا[٢٧].

ولما استولى الحكم المصري - إبراهيم باشا ووالده محمد علي- على بلاد الشام (١٨٣١م - ١٨٤٠م) غير التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة، فأصبحت بلاد الشام في عام (١٨٣٢م) وحدة إدارية بذاتها، يديرها حاكم عام يسمى(حكمدار)، مقره دمشق.

ثم جرى تعديل آخر أضحت فيه الشام مؤلفة من ست إيالات، بعد أن ظهرت للوجود إيالة حيفا التي تبعتها عكا(بعد فصلها عن إيالة صيدا) والقدس[٢٨].

لم يهنأ الحكم المصري بامتلاكه الشام، فما لبثت الدولة العثمانية أن استعادت دولها مرة ثانية عام (١٨٤٠م)، كما أعادت تقسيماتها الإدارية، فربطت لواء القدس وأقضيته السبعة بإيالة صيدا، ولواء عكا بأقضيتة الأحد عشر، ولواء البلقاء (نابلس) فيما بعد بأقضيته التسعة[٢٩].

ثم شرعت، بعد هذا التاريخ، وتحديداً عام(١٨٤١م) في اتخاذ جملة من التدابير تحت مسمى التنظيمات، أو الإصلاحات، فدمجت ولايتي صيدا وطرابلس في إيالة واحدة، ونقلت مركزها إلى بيروت، وجزئت فلسطين إلى سنجق القدس الخاص الذي يشرف عليه والي بيروت[٣٠].

وفي عام(١٨٦٤م) أُصدر نظام إدارة الولايات الجديد، وبموجبه قسمت البلاد العثمانية إلى ثلاثين ولاية، تتألف كل واحدة منها من لواء يرأسه متصرف، وتتألف الألوية من أقضية يرأسها قائمقام، والأقضية من نواح يرأسها مدير[٣١].

رافق إصدار القوانين والتنظيمات اعتماد الدولة سياسة الشدة على ولاياتها باستخدام النظام المركزي القائم على تقييد الأجهزة الإدارية، وربطها مباشرة بالباب العالي، وتقسيم أو فصل بعض الألوية أو فصلها عن مركزها وتسميتها بالمتصرفيات، وهذا ما حدث مع بلاد الشام، فقد قسمت إلى ولايتين هما : سورية، وحلب، وضمت إيالة صيدا، بما فيها ألوية القدس، وعكا، والبلقاء، إلى ولاية سورية،

(٢٧) الموسوعة الفلسطينية، التقسيمات الإدارية، حرف التاء بحث Google، قارن بعارف، المفصل، ج١، ص٣١٠

(٢٨) الموسوعة الفلسطينية، التقسيمات الإدارية، حرف التاء بحث Googl قارن ب عوض، الإدارة، ص٦٣-٦٤

(٢٩) الموسوعة الفلسطينية، التقسيمات الإدارية، حرف التاء بحث Google

(٣٠) عوض. الإدارة، ص٦٧ ، ٧٠-٧١انظر، يزبك، محمود، بلدية نابلس في العهد العثماني، ندوة نابلس بين الماضي والحاضر، جامعة النجاح، ١٩٩٩م، ص٤٧

(٣١) التميمي، ولاية بيروت، ج١، ص١٣، عارف، المفصل، ج١، ص٣١٠، الموسوعة، تقسيمات

وفصل عام (١٨٧٤م) لواء القدس عن ولاية سورية، وأعلن متصرفية مستقلة[٣٢].

تمتع متصرف القدس بنفوذ ومنزلة خاصة قادته للتدخل في شؤون لواء نابلس، رغم انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس وإلحاقه بوالي صيدا أو بوالي الشام، وكنا قد أشرنا آنفاً إلى المكانة الخاصة التي احتلتها متصرفية القدس بحيث كانت تتصل في أمورها الإدارية بالباب العالي مباشرة، في حين كان لواء البلقاء، ومركزه نابلس، يتبع ولاية بيروت التي أنشئت (١٨٨٧م)[٣٣].

تطورت الأوضاع الإدارية تطوراً ملحوظاً في فلسطين بعد سيطرة القوات البريطانية عليها بين الأعوام(١٩١٨م –١٩٢٠م): فقد أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء، على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكري في القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة، ثم خفض العدد إلى عشرة عام (١٩١٩م) وبعد ذلك تحولت إدارة الانتداب من إدارة عسكرية إلى إدارة مدنية سميت بـِ "حكومة فلسطين"[٣٤]، وأصبح الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني على فلسطين[٣٥]، أما عن إدارة الولايات، فقد خفض عدد الألوية العشرة، التي كانت في عهد الإدارة العسكرية، إلى سبعة عام (١٩٢٠م)، ثم إلى أربعة، ثم صدر في عام (١٩٢٢م) منشور التشكيلات الإدارية (المادة ١١ من مرسوم دستور فلسطين)[٣٦]، فقسمت فلسطين إلى ثلاثة ألوية:

- لواء القدس: قاعدته القدس، ويضم أقضية بيت لحم، والخليل، والقدس، وأريحا، ورام الله.
- اللواء الشمالي: قاعدته حيفا، ويضم أقضية عكا، وبيسان، وجنين، ونابلس، والناصرة، وصفد، وطبرية، وطولكرم.
- اللواء الجنوبي: قاعدته يافا، ويضم أقضية بئر السبع، وغزة، ويافا، والرملة[٣٧].

كان يدير شؤون كل لواء مسؤول بريطاني أطلق عليه اسم –حاكم اللواء–، يستمد سلطته من المندوب السامي، وقد قسم كل لواء إلى عدد من الأقضية يترأس الإدارة

(٣٢) عوض، الإدارة، ص٧١، قارن بعارف، المفصل، ج١، ص٣١١، الموسوعة، تقسيمات.

(٣٣) علي، محمد كرد، خطط الشام، مكتبة النوري–دمشق، ط. ١٩٨٣م٣، ص٢٢٨، عوض، الإدارة، ص٧٢

(٣٤) الدباغ، بلادنا، ج٢، ق٢، ص١٢–١٣، عارف، المفصل، ج١، ص٣٨٧

(٣٥) علي، خطط، م٣، ص٢١٤

(٣٦) الدباغ، بلادنا، ج١، ق١، ص١٤١، ج٢، ق٢، ص١٣–١٤،

(٣٧) علي، خطط، م٣، ص٢٢٩، الدباغ، بلادنا، ج٢، ق٢، ص١٤، عارف، المفصل، ج١، ص٤١٥–٤١٦

في كل منها موظف كبير من أهل البلاد، أطلق عليه اسم -قائمقام-، يمثل السلطة الرسمية في القضاء.

وفي كل مدينة مجلس بلدي له رئيس ينتخبه سكان المدينة، ويشرف رئيس البلدية على المرافق والخدمات العامة داخل حدود منطقة البلدية، أما القرى الكبرى فلها مجالس قروية تدير شؤونها، وفي القرى وأحياء المدن أفراد ذوو مناصب شبه رسمية، وهم -المخاتير-[٣٨].

وجد في فلسطين عام (١٩٣٧م) ثلاثة حكام للألوية، واثنا عشر مساعداً لحكام الألوية كلهم من الموظفين البريطانيين، وسبعة وثلاثون قائمقام، وقد زيدت ألوية فلسطين إلى ستة ألوية في عام (١٩٣٩م) وهي ألوية: الجليل، وحيفا، ونابلس، والقدس، واللد، وغزة. وظل هذا التقسيم قائماً حتى نهاية الانتداب عام (١٩٤٨م).

وكان لواء نابلس، ومركزه مدينة نابلس، يتألف من ثلاثة أقضية هي: نابلس، وجنين، وطولكرم [٣٩].

بلدية نابلس منذ النشأة وحتى نهاية الانتداب البريطاني

نشأت البلديات في فلسطين في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد صدور قانون الولايات عام (١٨٥٦م)، ونظام الولايات (التشكيلات الإدارية) عام (١٨٦٤م) ونظام إدارة الولايات عام (١٨٧١م) الذي نص على تشكيل ما يسمى "مجلس اختيارية القرية"، لكن رغم هذه القوانين، إلا أن القانون الصادر عن البرلمان العثماني عام (١٨٧٧م) يعد الأساس في تكوين المجالس البلدية، وعمل البلديات البالغ عددها، مع نهاية الحكم العثماني لفلسطين، (٢٢) بلدية، وقد أنشئت أول بلدية في فلسطين في القدس عام (١٨٦٣م)، وتلتها بلدية نابلس، والخليل، ثم جنين، فطولكرم[٤٠].

تأسست بلدية نابلس عام (١٨٦٩م) بعد تشكل المتصرفية، وكانت البلديات انتخابية الشكل يتولاها الرئيس والأعضاء لمدة محددة، ثم يتجدد الانتخاب من قبل المقتدرين من دافعي ضرائب البلدية (ضرائب: الشوارع، والإنارة، والتنظيفات،

(٣٨) الدباغ، بلادنا، ج١، ق١، ص١٤١-١٤٢، الزاملي، إبراهيم سالم، فلسطين في التقارير البريطانية(١٩١٧-١٩٤٨م)، دار ابن رشد-القاهرة، ٢٠١٦، ص١٣٩

(٣٩) علي، خطط، م٣، ص٢٢٩، الزاملي، فلسطين، ص١٣٩، الموسوعة، التقسيمات، الدباغ، بلادنا، ج١، ق١، ص١٤٢، ج٢، ق٢ص١٣-١٤

(٤٠) اشتية، محمد، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية مادة(البلديات)، ط٢، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ٢٠٠٩م، ص١١٦-١١٧، يزبك، بلدية، ص٤٧

والحراسة، والماء، وغيرها)، وهذه الضرائب تختلف عن ضرائب الحكومة المفروضة على الرعايا بغض النظر عن أجناسهم وأعمارهم، وغني عن القول فقد شهدت رئاسة بلدية نابلس تنافساً بين المرشحين طمعاً في الوجاهة، والمكاسب المادية إن لم نبالغ[٤١].

ويورد إحسان النمر، في معرض حديثه عن بداية تشكيل البلديات، مرسوماً بتعيين الشيخ محمد تفاحة الحسيني (١٨٦٩م-١٨٧٢م)[٤٢]، رئيساً للمجلس البلدي فيقول: "فخر العلماء الكرام ذوي السادات الفخام مودت لو محمد أفندي الحسيني المنصوب الآن رئيساً للمجلس البلدي في نابلس مركز متصرفية لواء البلقاء زيد فخره"، ويحدد المرسوم صلاحيات البلدية بإعمال طهارة المدينة، ونظافتها، وتعديل أسعار الأرزاق، وتحسين العمران حسب تعليمات متصرفية لواء البلقاء[٤٣].

ومن البدهي أن تتخذ البدايات سمة تعدد الصلاحيات، وتشابك الاختصاصات والمهام كحال بلدية نابلس، إضافة إلى جملة من التحديات والصعوبات، كالتأثر من قريب، أو بعيد بسياسة الدولة العثمانية عامة، وبلواء البلقاء، فبيروت والألوية الأخرى خاصة، ورغم ذلك لم تقف عوامل النشأة والتكوين، وتشعب والمهام اتساعها عائقاً أمام التطور الحضاري والعمراني للمدينة، فقد تم فيها سنة(١٨٧٠م)، إنشاء دائرة للبريد، كما مد إليها خط البرق[٤٤].

بعد ذلك عمدت الدولة العثمانية إلى تنظيم ولاياتها، فقامت باستصدار نظام إدارة الولايات العمومية في عام(١٨٧١م)، حيث نصت المادة(١١١) من النظام على تشكيل مجلس بلدي للنظر في أمور البلدية في المدينة أو القصبة التي تكون مركز الولاية أو اللواء أو القضاء[٤٥]، ومما جاء في المادة :

- يتألف المجلس البلدي من رئيس واحد، ومعاون، وستة أعضاء، وعدد آخر من الأعضاء الاستشاريين، ومن بين هؤلاء طبيب المدينة، ومهندسها، إضافة إلى كاتب وأمين صندوق.
- ينتخب رئيس وأعضاء المجلس البلدي على غرار مجالس الولايات.

(٤١) دروزة، مذكرات م١، ص١٤٣، النمر، تاريخ، ج٣، ص٢٥-٢٧

(٤٢) انظر عنه: التمام، بشار سعيد، بلدية نابلس في العهد العثماني(١٨٦٩-١٩١٨م)ط١، نابلس، ٢٠١٢، ص٣٩، ٤١

(٤٣) النمر، تاريخ، ج٣، ص٢٦-٢٧

(٤٤) النمر، تاريخ، ج٣، ص٤٣

(٤٥) عوض، الإدارة، ص١٠٩

- مدة انتخاب رئيس وأعضاء المجلس البلدي سنتان، ويجري تغيير نصفهم في كل سنة ويستثنى، من العضوية المحكومون، أو من كانت أعمارهم تقل عن عشرين عاماً.

- لا يتقاضى رئيس المجلس والأعضاء مرتبات، وواردات البلدية تكون من الرسوم والحكومة، ومن المستفيدين من خدمات البلدية، وحاصلات الجزاء النقدي، وقيود العقود، والإعانات، والهبات.

- على المجلس البلدي تخصيص دفتر؛ لتوضيح ميزانية كل شهر، ويرفع الدفتر إلى مجلس إدارة اللواء ثم لمجلس إدارة الولاية للمصادقة.

- يعقد مجلس البلدية اجتماعين في الأسبوع، ويدير الاجتماع رئيس المجلس، أو معاونه إن غاب، وفي حالة غياب الإثنين تكون الرئاسة لأكبر الأعضاء سناً.

- تتلخص مهام مجلس البلدية في: الإشراف على كافة الأبنية، ومصالح المياه، وأعمال النقل والمرور، ونظافة المدينة، والمقاييس والأوزان، والأسعار، والجزاء النقدي لمخالفي تعليمات وأنظمة البلدية(٤٦).

أعقب تشكيل المجلس البلدي عام(١٨٧٣م) تعديلاً على رئاسة البلدية في نابلس، أوجب تعيين الرئيس من بين الأعضاء المنتخبين دون اشتراط الحصول على أعلى الأصوات من بينهم، كما جرى تعديل آخر عام(١٨٧٥م)، تضمن زيادة عدد أعضاء المجلس البلدي من سبعة إلى اثني عشر عضواً، وسمات من يرشح نفسه للانتخابات، ومن يجوز له التصويت، إضافة إلى الشروط المالية التي تسهل وصول المتنافسين للعضوية، أو الرئاسة في المجلس البلدي، وتنطبق غالباً على الأعيان، والتجار، والأغنياء(٤٧).

ويذكر إحسان النمر تحت عنوان (نظام انتخاب المجلس البلدي) آلية الانتخاب، فيبين أنهم في أواخر عهد دولة آل عثمان، وفي لواء نابلس تحديداً، استخدموا لفظ (رأي) بدلاً من صوت، وعليه يحق لكل شخص نابلسي يدفع ضريبة "٥٠ قرشاً "الانتخاب، باعتباره صاحب رأي، في حين لا يحق الترشح، إلا اذا كان الدخل السنوي للمرشح (٢٥٠٠ قرشاً) فأكثر، تم تبدل الأمر فعد من يدفع ضريبة (١٠٠قرش) فما فوق مؤهلاً للترشح(٤٨).

(٤٦) المرجع السابق، ص١٠٩-١١٠

(٤٧) التمام، بلدية، ص٥٧

(٤٨) النمر، تاريخ، ج٣، ص٢٩-٣٠، يزبك، بلدية، ص٥٠.

ويجري الانتخاب كل أربع سنوات، وبعد سنتين يقترع على نصف الأعضاء فيبدل النصف بغيرهم ممن يأتون بعدهم بالدرجة، والانتخاب لا يتم إلا بوجود لجنة انتخابات تتكون من مخاتير ورؤساء الحارات، أو المحلات الستة، فيقدم هؤلاء اثنين من الوجهاء عن كل محلة، ثم يقترعون فتنتهي النتائج إلى اعتماد سبعة، تعد (كلجنة انتخابات) لمعاونة الرئيس والمجلس الموجود، فتقوم بالانتخاب والاقتراع في منتصف الدورة[٤٩].

ولما تنتهي المجالس البلدية من الانتخابات، وما يتعلق بها، يبدأ الأعضاء ممارسة صلاحياتهم، وقد وقع على عاتق مجلس نابلس، في أواخر العهد العثماني، مهام جسام امتدت وتشعبت لإثبات قدرة المجلس والأعضاء، واستحقاقهم ثقة سكان نابلس والآخرين-الحكومة، الولايات -، فإلى جانب الصحة والنظافة، وما يتعلق بهما، تولى المجلس الأشغال العامة كالإشراف على المباني.

وبناء دور السلط، وبني صعب وجنين، والمدارس والأعمال الزراعية، والاشتراك في المعارض الدولية، ومراقبة التجار والباعة والحرفيين والمصابن والمعاصر والأفران والأوزان والحمامات والآداب العامة، زد على ذلك تقديم المساعدات للجيش عند مروره من المنطقة، وتجهيز الاحتفالات والمهرجانات لدى زيارة أركان الدولة ورجالاتها[٥٠].

ويبدو الاختلاف بيناً بعض الشيء بين موارد مجلس بلدي نابلس، وموارد نظام إدارة الولايات العمومية الصادر عام (١٨٧١م)، فقد اعتمد مجلس نابلس على الذبيحة كأهم مورد، ثم رسوم أنوال القطن، فرسوم بيع اللحوم والفواكه وغيرها[٥١]، في حين أشار نظام إدارة الولايات إلى اعتبار الرسوم والمبالغ الحكومية مورداً رئيسياً بالدرجة الأولى[٥٢]؛ وربما يعود الاختلاف إلى الضائقة المالية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية في آخر عهدها بالمنطقة العربية؛ مما ألجأ مجلس بلدي نابلس إلى عدم الاعتماد الكلي على هذا المصدر، والاستعاضة عنه بموارد اللواء بمختلف أشكالها.

ولكن رغم شح الأموال التي كان يتلقاها مجلس بلدية نابلس، إلا أنه لم يأل جهداً في خدمة الدولة العثمانية؛ فقد زود جيشها بحاجياتهم التموينية والأمنية

(٤٩) النمر، تاريخ، ج٣، ص٣٠

(٥٠) المرجع السابق ج٣، ص٣٢-٣٣

(٥١) المرجع السابق، ج٣، ص٣٤-٣٥

(٥٢) عوض، الإدارة، ص١١٠

بالتنسيق مع تجار اللواء، وعاون الدولة العلية في إنجاح انتخابات مجلس المبعوثان سنة (١٩٠٨م)، وفي الاحتفالات التي جرت بعد افتتاح مجلس المبعوثان العثماني، وفي غيرها من المناسبات والاحتفالات[٥٣].

وقد ظهر الوهن والضعف في دولة العثمانيين بعد خوضهم الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) وهزيمتهم، وألمانيا أمام الحلفاء- بريطانيا، فرنسا-، وقد انعكس الحال على ولاياتهم فكانت المجالس البلدية صورة لأحوال الحكومة العثمانية في ضعفها وقوتها، وفي ازدهارها وتراجعها[٥٤].

وقد أسفرت الحرب العالمية الأولى عن نتائج خطرة، أبرزها استيلاء بريطانيا على فلسطين منذ٩/١٢/١٩١٧م، وحتى حزيران (١٩٢٠م) وحكمها عسكرياً ثم مدنياً، وتعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً ممثلاً لبريطانيا على إدارة فلسطين.

وكانت بريطانيا قد وافقت أمام مجلس الحلفاء على قبول انتدابها على فلسطين، وتم تنفيذ الانتداب بصورة عملية بتاريخ ٤/٧/١٩٢٢م.[٥٥]

وقد نصت المادة الثانية والثالثة من صك الانتداب البريطاني[٥٦]، على ضرورة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتشجيع الاستقلال وفقاً للظروف والمعطيات، فكان إنشاء البلديات الصورة المعبرة عن الاستقلال المحلي، واتبعت الدولة المنتدبة، في هذا الشأن، ما كان في الدولة العثمانية غالباً[٥٧]، فكان أعضاء البلديات يعينون تعييناً حتى (١٩٢٦م). حيث جرت الانتخابات البلدية، لأول مرة، وتحددت غاية وجود البلديات المختلفة طبقاً للتقرير السنوي الأول لإدارة فلسطين عام (١٩٢٠م) وهو: ممارسة الحكم المحلي في المدن، والقيام بالخدمات التي تتطلبها الجماعات التابعة لها، ولذا عد كل حاكم لواء مسئولاً عن عمل السلطات المحلية الواقعة في لوائه، وفي كانون الثاني (١٩٣٤م) وضع قانون البلديات موضع التنفيذ، وأجريت بموجبه الانتخابات لعشرين مجلساً بلدياً[٥٨].

ويبين قانون عام(١٩٣٤م) طريقة السير بأعمال البلديات، وسلطات المجالس البلدية ووظائفها، والحد الأعلى للعوائد، والرسوم التي تفرضها، والخدمات التي

(٥٣) النمر، تاريخ، ج٣، ص٣٣، التمام، بلدية، ص٦٢-٦٣

(٥٤) انظر تفاصيل ذلك، التمام، بلدية، ص١٠٩-١١١

(٥٥) جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، ط١، دار الشروق-رام الله، ص١٢٣، ١٢٥

(٥٦) انظر العارف، عارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود(١٩٤٧-١٩٥٢م)، دار الهدى، ج١، ص٣١، علي، خطط، م٣، ص٢٥١-٢٥٢

(٥٧) اشتيه، موسوعة، ص١١٧

(٥٨) الموسوعة، التقسيمات، اشتيه، موسوعة، ص١١٧

تقدمها، والموظفين الذين يجوز أن تعينهم، وبموجب هذا القانون جعلت مشاريع الميزانية السنوية للبلديات، ومشاريع القروض خاضعة لموافقة حاكم اللواء، واشترط أن يدقق حساباتها موظف حسابات تعينه الحكومة، واشترط القانون أيضاً ضرورة وجود هيئة من موظفي البلدية يؤدون أعمالهم، كما نص على تعيين عدد من الموظفين المحليين، كمدير للإدارة ومهندس وطبيب وغيرهم، لكن هذا لم يطبق إلا في حيفا ويافا والقدس، أما معظم المدن العربية فلم تكن تستطيع أن تتحمل نفقات أكثر من موظف واحد[٥٩].

وقد أشار تقرير اللجنة الملكية (لجنة بيل) عام (١٩٣٧م) إلى أن الخدمات العامة التي تؤديها البلديات (عدا المجاري، والطرق، وتوزيع المياه، وإنشاء المسالخ، وتنظيم الأسواق) قليلة بسبب نقص موظفيها المدنيين، وبسبب سيطرة إدارة اللواء، والإدارة المركزية الشديدة على هذه البلديات، ومشاريع ميزانيات البلديات السنوية، وعدم كفاية المنح المالية التي تقدمها الإدارة المركزية، وسياسة الحكومة بمنح الامتيازات لشركات خصوصية، وتمركز الدوائر الرئيسة، كالمعارف والصحة العامة، في القدس، واحتكار الحكومة لبعض الخدمات العامة.

واعترفت اللجنة الملكية بأن هذه العوامل هي السبب في عدم اهتمام سكان المدن بالمجالس البلدية، بدليل قلة عدد الأصوات في الانتخابات البلدية، مما يشير إلى إخفاق المجالس البلدية في الفوز بثقة الرأي العام، وأن المجالس التي قصد بها أن تكون تجربة في الحكم الذاتي، لم تملك السلطة التي تخولها أن تكون هيئة فعالة[٦٠].

قسمت إدارة الانتداب فلسطين، منذ تموز ١٩٣٩م، إلى ستة ألوية أحدها لواء نابلس، ومركزه مدينة نابلس، ويتألف من ثلاثة أقضية هي: نابلس، وجنين، وطولكرم[٦١]، ومساحته نحو ٣,٢٦٢,٢٩٢ دونماً امتلك اليهود منه ١٤٥,٦٢٧ دونماً، أو نحو ٤,٤٪ من مجموع أراضي اللواء، وقد بلغ عدد سكان اللواء ٢٣٢,٢٢٠ نسمة منهم ٢١٧,٣٢٠ عربياً، أو ٩٣,٦٪ من مجموع السكان، أما اليهود فكانوا أقلية لم يزد عددهم على ١٤,٩٠٠ نسمة، أو ٦,٤٪ من جملة السكان[٦٢].

(٥٩) الموسوعة، التقسيمات.

(٦٠) الموسوعة، التقسيمات.

(٦١) علي، خطط، م٣، ص٢٢٩، الزاملي، فلسطين، ص١٣٩، الموسوعة، التقسيمات، الدباغ، بلادنا، ج١، ق١، ص١٤٢، ج٢، ق٢، ص١٣-١٤

(٦٢) الموسوعة، التقسيمات.

*دور بلديـة نابلـس في إنـارة المدينـة في أواخـر العهـد العثمانـي وإبـان الانتـداب البريطانـي (١٩٢٢م-١٩٤٨م)

* دور بلدية نابلس في إنارة المدينة في أواخر العهد العثماني

تتميز أخبار إنارة بلدية نابلس، في أواخر العهد العثماني، بالقلة والندرة، فالتواريخ والإشارات تتناول أعمال مجلس بلدي نابلس بشكل عام، لكن الإنارة بشكل خاص وموسع لم تفصل، فهناك حديث مقتضب عن بدايات الإنارة، وردت لدى كل من سجلات بلدية نابلس (غير المنشورة)، ومحمد عزت دروزة، وإحسان النمر، كمصادر مهمة في تاريخ نابلس الحديث، وماعدا ذلك فالأخبار إما منقولة أو افتراضية الآراء.

كانت نابلس، في أواخر العهد العثماني، تعتمد على نوعين من الإنارة، إنارة البيوت النابلسية، التي تميزت بالبساطة، واستخدام القناديل والسرج الزجاجية المصنوعة من الفخار، ويتم وضعها في تجويفات الغرف، فتضاء بوساطة زيت الزيتون الذي يعلوه الماء، ويتم إشعاله بفتيل قطني، وكلما ازدادت الأسرة غنى ومالاً زاد عدد قناديلها وسرجها، كما أشعلوا الشمع أيضاً بجانب القناديل، وما كان في البيوت امتد ليشمل المساجد.

تطورت الإضاءة بحيث لم تعد المصابيح الزجاجية والمعدنية، تحتكر زوايا المنزل، بل صارت تعتلي الخزائن، والشبابيك العالية، فالصناديق بأشكال وألوان وغايات متعددة، ثم ظهرت النجفات، أو الثُريّات التي علقت في أسقف الغرف، ولا سيما في بيوت الميسورين، ثم تطور الحال فاستخدمت اللوكسات، وهي أجهزة معدنية توضع في فتحاتها أغلفة تسمى (قمصاناً) وبها مفتاح ينفخ به، فيرتفع الكاز بقوة الضغط إلى القمصان فينتشر الضوء[٦٣]، وتكاد شوارع المدينة إنارة - وهي النوع الثاني من الإنارة-، تشابه البيوت إلى حد بعيد، فالقناديل المصنوعة من الزجاج داخل أوعية التنك هي الأدوات الأكثر رواجاً من بين غيرها، لكنها كانت تعبأ بالنفط (الكاز)[٦٤]بدلاً من الزيت، ويتم تعليقها في الشوارع والمحلات، وفي حالات خاصة، وعند زيارة أو قدوم أحد الوجهاء والأغنياء لمكان ما، ولأسباب مختلفة يتولى خدمهم حمل القناديل المضاءة فتقودهم للمقصد والمراد بسهولة وأريحية، ويبدو أن فعل ذلك عائد لقلة القناديل ونقصها في بعض الأماكن، وانتشار الظلام[٦٥]، مع العلم ان البلدية كانت قد وفرت للمدينة (١٥٣) قنديلاً عام (١٩٠٢م)، كما أنارت جميع أزقة

---

(٦٣) دروزه، مذكرات، م١، ص٥٦

(٦٤) كان يجلب الكاز من أمريكا وأوروبا، والذي من أوروبا يأتي من روسيا ورومانيا في تنكات مختومة عليها ماركات يقدر وزنها بخمسة أرطال وتباع بعشرة قروش من تجار مال القبان انظر :المرجع السابق، م١، ص٩٩-١٠٠

(٦٥) المرجع السابق ج١،، ص٥٦

نابلس عام (١٩٠٧م)، واشترت مصابيح ذات اضاءة عالية عام (١٩٠٨م)[٦٦].

أولت بلدية نابلس الإنارة جل اهتمامها لضمان أمن القصبة واستقرارها، في وقت شاعت فيه الفوضى، وانتشرت فيها الحوادث، فمن مظاهر اعتنائها، وضع معايير محددة لاستمرار الإنارة بالقناديل واللوكسات على أكمل وجه، كتفقد الأجهزة من إضاءة ونظافة من قبل مأموري الإنارة، وإلزام الشعالة بأداء أدوارهم المفروضة في توخي الدقة والنظام في إشعال القناديل[٦٧]، وفي حالة عدم قيام فريق الإنارة-مأمور الإنارة، الشعال- بأعمالهم كانت البلدية تستخدم إجراءات عديدة منها:

* تغريم مأمور الإنارة بخصم نسبة من معاشه.

*تنبيه الشعالة وإجبارهم على شراء ما ينكسر من القناديل إذا كان سبب الكسر الإهمال[٦٨].

وقد ارتأت البلدية، زيادةً في حرصها على إنارة المدينة، أن تعين شاويشاً لمراقبة التنويرات، كما عينت لكل محلة مأمور إنارة، وكلفت الفنيين لصيانة القناديل غير الصالحة، كما قامت بتأمين لوازم القناديل من طرابيش، ومصافي وإبر فتيل، وكبريت، وسلالم لإصلاح القناديل وإشعالها[٦٩].

ولم يقف طموح البلدية عند هذا الحد، بل سعت، في خطوة جريئة، إلى إنارة المدينة بالكهرباء عام (١٩١١م) باستخدام رأس العين ووادي الباذان[٧٠].

وبعد دراسة الموضوع، من كافة الجوانب، ومخاطبة أصحاب الشأن[٧١]، تلقت البلدية في عام(١٩١٤م) مذكرة من بيروت تفيد بإمكانية تنوير نابلس عن طريق المحرك الكهربائي-الدينامو- ، فقررت البلدية إدخال نابلس في مشروع التنوير الكهربائي، ولو تطلب الأمر اللجوء إلى الاستدانة لتغطية تكاليف المشروع[٧٢].

---

(٦٦) سمودي، نورة نصوح أحمد، الحركة العمرانية في مدينة نابلس إبان الانتداب البريطاني، ١٩٢٢-١٩٤٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٦، ص١٣، سعادة، سعادة علي، بلدية نابلس ابان الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٤، ص٣٥

(٦٧) سجلات بلدية نابلس(غير منشورة)، سجل٢٧/٤رقم الوثيقة يمينا١٤٩، يسار٣٨٧، التمام، بلدية، ص٨٧

(٦٨) سجل٢٧ /٤ ، ١٨٦، ٤٩٩ ، التمام، بلديةص٨٧

(٦٩) سجل٢٧/ ٨، ١٨٥، ٩٣٣ ، ٢٧ /١١٩، ٤٩٠، ٢٧/١، ٤٩، ١١٩ ، ٢٧/٧، ١٥٠، ٤٩٢، ٢٧/٦، ٣٥، ٧٦٣، ٢٧/٨، ١٧٥، ٧٨٦ التمام، بلدية، ص٨٨

(٧٠)سجل٢٧/٧ ١٦١، ٦٦٠، التمام، بلدية، ص٨٨-٨٩ قارن ب٧/١، ٩، ٢٤ ، ١١/حزيران/١٩٢٠، سعادة، بلدية، ص٣٥ ١٣

(٧١) تم الاستعانة بمهندسين من يافا، فوجد هؤلاء أن قوة الماء غير كافية لتزويد المدينة بالكهرباء، فكان البديل إنارة المدينة بوساطة المولدات، يزبك، بلدية، ص٦٤

(٧٢) سجل٢٧/ ٩ ، ١١١، ٤٨٧التمام بلدية، ص٨٩، يزبك، بلدية، ص٦٤، سعادة، بلدية، ص٣٦

* دور بلدية نابلس في إنارة المدينة إبان الانتداب البريطاني (١٩٢٢م-١٩٤٨م)

يقع مقر بلدية نابلس في سراي -مجمع دوائر الحكومة- مطلع حارة القريون وسط المدينة، ويتكون المبنى من طابقين: الأول يحوي غرفاً للبوليس، وللدرك، وللمسجونين، وللموقوفين، أما الطابق الثاني ففيه دائرة محاكم البداية والصلح، وبعدها دائرة بلدية نابلس، حيث يتوسطها مكتب رئيس البلدية، وتعقد في المكتب جلسات المجلس البلدي، وبقربه غرفة جلاوزة البلدية-شرطة غير نظامية تتبع رئيس البلدية[٧٣]-، وتليها غرفة صندوق البلدية وكتابها[٧٤].

خضعت فلسطين، بما فيها نابلس، كما أسلفنا القول، للانتداب البريطاني، وبدأت المدينة مع بلديتها تخوض معركة شرسة مع الكائن الغريب من جهة، ومع التحديات التي رافقت نموه من جهة أخرى، وقد شهد المكان - بسجلاته- الذي جمع رئيس البلدية وكادره، على انجازات وأعمال البلدية ومنها الإنارة، ومن الإنصاف والحكمة القول، إن الانجازات والأعمال لم تكن وليدة الانتداب، بل وجدت قبل ذلك، أي في أواخر العهد العثماني، فمنذ أن تولى عمر حسن زعيتر (ت١٩٢٤م)[٧٥]، رئاسة بلدية نابلس، وتحديداً عام(١٩٢٠م) قام بتكليف مهندس البلدية بإعداد خريطة لقصبة نابلس[٧٦]، وتقرير خاص بمساحة المدينة، وأطوال شوارعها، وسكانها، والقناديل التي تناسبها، وكان يتابع الأمر بشكل مستمر؛ فيستفسر، بين الحين والآخر، عن تطورات العمل، الذي يبدو أنه كان شاقاً ومُتعباً، بدليل شكوى المهندس وتذمره من عبء المسؤوليات وتشعب الأعمال وضيق الوقت[٧٧].

أنهى مهندس البلدية عمله بتقرير رفعه لرئيس البلدية يبين فيه: أن مساحة المدينة (٥٠٠كم٢) تقريباً، وعدد سكانها(٢٠٠٠٠) وأطوال شوارعها(٨٩٢٠م)، وعدد القناديل اللازمة لها(١٥٠)[٧٨]، ولما توافرت تلك الحقائق لدى زعيتر، أخذ بمراسلة متعهدي الإنارة، كمتعهد لواء الإسكندرية (Alex Gabbah اليكس جبة)[٧٩] وشركة ب.كيششيان في القدس[٨٠].

(٧٣) انظر معنى جلاوزة، الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٩٦م، ص١٢٥

(٧٤) دروزة، مذكرات، م١، ص١٣٩، ١٤١

(٧٥) انظر عنه مفصلاً: دروزة، مذكرات، م١، ص١٢٣، ٥٨٦

(٧٦) تفيد سجلات بلدية نابلس بعدم وجود خريطة للقصبة قبل هذا التاريخ، سجل١/٧ ، ١٩٢٠/٦/١٤م.

(٧٧) (١/٧، ٧ظناً، ١٩٢٠/٦/١٤م.

(٧٨) سجل١/٧، ٦، ٢٦/حزيران/١٩٢٠م.

(٧٩) سجل٧/ ١، ١، ٥/مايو-أيار-١٩٢٠م

(٨٠) سجل٧/ ١، ١، ٥/مايو-أيار-١٩٢٠م

ويظهر أن الأمور بين المتعهدين والبلدية لم تكن بالسهولة، ولا الكيفية التي نتوقعها، فموضوع الإنارة أخذ إبعاداً وأسقفاً لم تكن بالحسبان حسب ملفات بلدية نابلس، فقد بدأ عادياً بمراسلات بين الطرفين، تضمنت أسعار القناديل، وعددها، وآلية تعهدها، ومدة التعهد، والجزاءات[٨١]، ثم أخذ منحى آخر لما تعارض مع ميزانية البلدية، و إنارة القدس مقارنة بإنارة نابلس كتبرير ارتفاع أسعار الإنارة لدى الأخيرة[٨٢]، كما أدخل موضوع تعهد إنارة نابلس البلدية في مسائلات إدارية من قبل حاكم لواء السامرة[٨٣]، وفي خلافات وإحراج مع خواجات شركة كيششان[٨٤]، وزاد الطين بلة لما تلا تنبيه البلدية، تشديد حاكم لواء السامرة على بلدية نابلس التعامل فقط مع الشركات والمشاريع التي تحددها[٨٥].

ثم أعقب ذلك قرار آخر صدر من دار الحكومة بالقدس، إلى حاكم لواء السامرة، يلزم إنارة البلدية التعامل فقط مع المستر روتنبرغ في موضوع الكهرباء، وعدم إعطاء مستر جوانيدس امتياز المشروع إلا بقبول مستر روتنبرغ، ويجوز تقديم اقتراحات مستر جوانيدس بالتفصيل ومناقشتها عند عودة روتنبرغ إلى فلسطين[٨٦].

وفي نهاية الأمر، استقر الرأي على موافقة دار حكومة القدس، ممثلة بحاكم لواء السامرة، على قرار إنارة نابلس عن طريق مشروع جوانيدس في ١٩٢٢/٢/٢٨ [٨٧]، ويبدو بعد تلك المستجدات شروع بلدية نابلس في حل مشكلة الإنارة داخلياً أو محلياً، بمعنى اعتماد متعهدين من المدينة نفسها، وقد أسهمت الظروف السياسية في اتخاذها هذا الإجراء، فأوضاع الانتداب، وما يتعلق به من عدم الاستقرار، وفقدان الأمن، وقلق المحتل، ومقاومة الوطنيين، وإرضاء الصهاينة، كانت مصائب كبيرة، حلت على رأس بريطانيا، وشغلتها عن أمور البلديات الصغيرة، والحقيقة أن سجلات بلدية نابلس بعد تاريخ (١٩٢٢م)، نراها تغفل عن ذكر المتعهدين مباشرة [٨٨] باستثناء تعهد شركة كيششان وإخوانه التي تعد أولى وأساس الاتفاقيات التي صارت على منوالها التعهدات اللاحقة، وقد جاء في بنود المعاهدة:

---

(٨١) انظر :سجل٧ / ١، ١١، ١٢، ١٣، ١٨، ٥مايو، ١٩٢٢م، ٢٧/حزيران/١٩٢٠م للمزيد سجل ٤/٧ ،، ١٨،، ١٧/أيلول/ ١٩٢٢م، ١٣، ٢٠/ أيلول/١٩٢٢

(٨٢) سجل ٧ /٤، ١٦، ١٨–، ١٧/أيلول/١٩٢٢

(٨٣) سجل ١/٧ ، ٤، ، ٢٨/كانون ثاني/١٩٢٢م.و ٥ ، ١٩٢٢/١/٢٧م.

(٨٤) سجل٧ / ٤، ٦ ، ٢١/كانون الأول، ١٩٢٢

(٨٥) سجل٧/٣، ١، ١٩٢٢/٢/٢م.

(٨٦) سجل٧/ ٣ ، ٧٥٧/١، ٢٣/شباط/١٩٢٢

(٨٧) سجل ١/٧، ٣ ، ١٩٢٢/٢/٢٨م.

(٨٨) من خلال احدى الوريقات تم استنتاج قيام السيد مسعود عاشور بتعهد إنارة اللوكسات طوال الفترة التي سبقت تاريخ١٩٢٩/١٢/٣١واستلام السيد نظمي التميمي تعهد إنارة المدينة بعد ذلك.سجل٧/١٠، ١٠٥، ٢٩/١/٢/١٢، ١٩٢٩/١٢/٣١م

- لوكسات الكهرباء ملك لشركة كيششان وليست للبلدية.
- مدة التعهد ستة أشهر ونصف، اعتباراً من ليلة ١٦ ايلول ١٩٢٢م ولغاية٣١ مارس ١٩٢٣م، وعند نهاية مدة التعهد تنظر البلدية في تجديد التعهد أو عدمه، وليس للمتعهد حق بطلب التعويض إذا لم يتجدد التعهد.
- ثمن الكاز، ومصروف تعمير اللوكسات، وتنويرهم، والتعاليق، واللوازم يعود على المتعهد، والبلدية ليست مسؤولة عن شيء قط .
- قوة اللوكسات ٥٠٠ شمعة، والتنوير حسب العادة من المساء إلى الصباح.
- البلدية تدفع الأجرة، التي يحصل الاتفاق عليها، بختام كل شهر بدون تأخير.
- إذا عجز المتعهد عن التنوير في تلك المدة أو انطفئ أحد القناديل في إحدى الليالي قبل الصباح ولم يعد تنويره في تلك الليلة، أو نقص تنوير قسم من القناديل، عندها تخصم البلدية ضعف الأجرة المتفق عليها عن كل قنديل، ولا يقبل للمتعهد عذر أبداً، وليس له حق بالتعلل، وإذا تم القبول، فعلى المتعهد تحديد آخر سعر(٨٩).

كانت البلدية حريصة أشد الحرص على إتقان عملها في مجال الإنارة، تارة بالمراقبة والمتابعة(٩٠)، وتارة أخرى بمحاسبة الكادر الإناري، الذي يأتي على رأسه المتعهد؛ فبالإضافة للشروط التي وضعتها في تعهد الإنارة، قامت بتتبع عمل المتعهد والتزامه بالاتفاقية، وفي حالة خروجه أو إخلاله ببنود العهد تقوم بخصم أجرة القناديل(٩١)، أو بحجز جزء من مخصصاته كتأمين في صندوق البلدية، لحين تنفيذ الشروط الموقع عليها(٩٢).

ويلاحظ، عند دراسة تلك الفترة، أن البلدية، في أغلب خطاباتها، غفلت عن ذكر اسم أو لقب رئيس بلدية نابلس مما يقودنا إلى ترجيح انخراطه في قضايا الوطن، أو مرضه، أو تشعب أعماله، ولكن مهما تعددت المبررات والأسباب، فالحقائق الواردة بين تواريخ م٣١/٥/١٩٢٣-١/١٠/١٩٢٣م، تشير إلى ازدياد صلاحيات نائب رئيس البلدية والمجلس البلدي، ورئيس الحراس(٩٣)، وشاويش البلدية-باشجاويش-،

(٨٩) سجل ٨/٧، ١ ،، ٢١/أيلول ترجيحاً /١٩٢٢م

(٩٠) سجل ٤/٧ ، ٢٦ ، ١/٧/١٩٢٢م.

(٩١) سجل٣/٧ ، ٣ ، ٣١/كانون ثاني/١٩٢٢م سجل ٨/٧ . ٢٩ ، ٣٠/٧/١٩٢٦م.

(٩٢) سجل٨/٧، ١٧، ٢١/١٠/١٩٢٦م.

(٩٣) سجل٢/٧، ٤، ٢٦/كانون الأول/١٩٢١م.

[٩٤]وفخرنجي البلدية[٩٥]، كما تشير في أكثر من موضع إلى عدم استخدام مسمى رئيس بلدية، والاكتفاء بمخاطبته إما برئيس المجلس البلدي أو [٩٦] ب(حضرة الفاضل الشيخ عمر أفندي)[٩٧]، ومع حلول عام(١٩٢٤م) تبدو صورة الإنارة أكثر وضوحاً ورؤية، فقد أوردت إحدى وريقات سجلات نابلس، على لسان مهندس البلدية، الطريقة الصحيحة لوضع ماكنات الكهرباء، فلا يمكن وضع ماكنة الإنارة على الحجر مباشرة وطبلتها حديد صب؛ لأن كثرة الضغط الناتج عن البرم، مع تكرار الاستخدام، يؤدي إلى الكسر، بل يجب تركيب لوح خشب على الجدار قبل تثبيت الماكنة، أما شريط الحديد الذي يصل الماكنة مع البكرة فينبغي اختيار الأجود منه، والتوباني[٩٨] العادي لا يستقيم أكثر من ثلاث سنوات، بحسب مدة الاستعمال والموقع، ويحدد المهندس أسباب تردي أحوال الإنارة وإصابة الدواليب والبكر بالصدأ؛ بقلة اعتناء المتعهد بعمله، وإهماله تزييت ماكنات الكهرباء، والاستعجال في تشغيلها[٩٩]، أوردت سجلات البلدية الأدوات واللوازم التي يحتاجها تركيب اللوكسات من تعاليق، وبكرات، وماكنات، وأشرطة، وأعمدة، وقد تكلفت بتأمينها للمتعهد على أن يلتزم بإعادتها عامرة فور انتهاء تعهده[١٠٠]، وإطفائها، وكميات الكاز.

كما اشترطت البلدية في اتفاقيات التعهد ان تكون قوة اللوكسات ٥٠٠ شمعة[١٠١] لا اقل، وإشعال اللوكسات بعد المغرب إلى طلوع شمس اليوم التالي، ومقدار الكاز لكل قنديل ٣٠ وقية (٥٠درهم)[١٠٢]، وفي حالة تجاوز المتعهد شروط العهد، كانت البلدية تتخذ إجراءات عدة بحقه كالإنذار والخصم، وكان المتعهد بدوره يبذل قصارى جهده في إتقان عمله، وإكماله على أحسن وجه ، فلا يغيب دون بديل، ولا يتحمل عبء دون شريك وكفيل[١٠٣]، ولا يستسلم لقرار دون حجة ودليل[١٠٤].

(٩٤) سجل٥/٧، -، ١، ١٨٧، ١١/ايلول/١٩٢٣م، ١١، ١/تموز/١٩٢٣م.، صبري، بهجت، ملفات وأوراق بلدية نابلس(١٩١٨-١٩٤٨)ط١، نابلس، ١٩٨٦م، ص١١٢

(٩٥) سجل٥/٧، ١٠ ، ١٩٢٣/٨/٢٩م

(٩٦) انظر على سبيل المثال جميع وثائق سجل ٥/٧

(٩٧) سجل ١/٧، ١٠، ١١، ١٢، ٥/مايو، ١٩٢٠م.

(٩٨) هناك شارع يأخذ هذا المسمى هو شارع التوباني بالمحلة الغربية سجل١٠/٧، ١٠٣، ١٩٣٠/١/١م

(٩٩) سجل٦/٧، ٥١، ٢٦/تموز/ ١٩٢٤م.

(١٠٠) سجل٦/٧، ٥ ، ٢/حزيران/١٩٢٥م

(١٠١) قارن بسجل ٨/٧، ١٨، ١٩٢٦/١٠/١٨م. كان المتعهدين إذا أرادوا مخالفة شروط التعهد يستخدمون ٢٥٠او ٣٥٠شمعة للوكسات، سجل٨/٧، ٣٩، ١٩٢٦/٥/٢٠م.

(١٠٢) سجل٨/٧، ٤٥، ١٩٢٦/٤/١٠م.، ١٨، ١٩٢٦/١٠/١٨م.

(١٠٣) سجل٨/٧، ٤، ٦/كانون ثاني/١٩٢٧م، ٢٤، ١٩٢٦/٩/١٢

(١٠٤) سجل٦/٧، ١٤، ٢٦/مارس/١٩٥٢م.

ويظهـر في الملفـات، بشـكل واضـح وصريـح، اسـم مسـعود إبراهيـم عاشـور متعهـد نابلـس عـام (١٩٢٥م)، كمـا يجلـو دور مهنـدس البلديـة ورئيـس الكُتـاب والبـاش ملاحـظ[١٠٥].

ومـن الأمـور التطويريـة، التـي نفذتهـا البلديـة، اسـتحداث قانـون القسـم المالـي في البلديـة[١٠٦]، في ١٩٢٥/٣/٢٤م[١٠٧]، مـع التنويـه أن السـنة كانـت تبـدأ بـأول نيسـان[١٠٨]. وتنتهـي ب٣١ مـارس المقبـل[١٠٩].

وتبـين السـجلات مـدى أهميـة الإنـارة للقصبـة مـن حيـث اسـتتباب الأمـن والأمـان، ومنـع السـرقات، وتجنـب حـوادث الانـزلاق والوقـوع، وتسـهيل نقـل الميـاه عبـر السـبل والآبـار ليـلاً[١١٠]، وأداء العَجَـزة للصلـوات في الجوامـع[١١١]، واللافـت للنظـر، في الفتـرة ذاتهـا، ومـن بـاب تفانـي البلديـة في خدمـة القصبـة، وحرصهـا علـى تحسـين أدائهـا، أنهـا اسـتعانت، عـن طريـق أحـد كتبتهـا، ببلديـة الرملـة، فيمـا يتعلـق بالإجـراءات والتعليمـات المتعلقـة بأصحـاب القـرار في موضـوع الإنـارة[١١٢].

وارتـأت البلديـة خـلال فتـرة(١٩٢٤-١٩٢٩م) عدم زيادة أعداد القناديل أو اللوكسـات عـن (٢٠٠) الا للضـرورة[١١٣] . وحفاظـاً علـى ميزانيـة البلديـة، وتجنبـاً للطامعـين المرضـى قلوبهـم بكسـب مالهـا، واسـتغلال كرمهـا، كمـا قامـت بتغييـر المتعهـد، فبـدلاً مـن مسـعود عاشـور، صرنـا نقـرأ أسـد مسـمار[١١٤] وآخرين معـه[١١٥] وغيرهـم[١١٦].

كمـا قامـت بحجـز جـزء مـن مخصصـات المتعهـد كتأمـين في صنـدوق البلديـة، لحـين تنفيـذ شـروط التعهـد[١١٧].

---

(١٠٥) سجل٧ / ٨ ، ١٠، ١٩٢٦/١٢/٨م او ملاحظ القناديل، سجل ٦/٧، ٦، ١٩٢٥/٥/١١م. ٧/ ٦ ، ٧ ١٩٢٥/٥/٢٥م.، صبري، ملفات، ص١١٢

(١٠٦) كان قبل استحداث هذا القسم، لجنة تقوم بتدقيق الحسابات، ويبدو أن عملها كان مرهقا، وطويلاً مما دعى الأعضاء إلى وصل الليل بالنهار لإتمام عملهم وفي احدى المرات استأجروا قناديل من المتعهدين للقيام بالعمل ليلاً وقد بدأعملهم١٩٢٤/١٢/١م وانتهى في ١٩٢٤/١٢/٣١م، وقامت البلدية بدفع مبلغ ثلاثة قروش ونصف القرش عن كل ليلة للمتعهد انظر:سجل٧/ ٦ ،، ٢٢ /١٩٢٥/١م.

(١٠٧) سجل ٦/٧، ١٦، ١٩٢٥/٣/٢٤م. انظر أيضا ٦٢٢/١٦، الوثيقة التالية التي تتحدث عن الموضوع نفسه

(١٠٨) سجل ٦/٧، ١٥، ٦٢٠، ٢٤/مارس/١٩٢٥

(١٠٩) انظر على سبيل المثال سجل١٥/٧، ١، ١٩٣٨/٣/٥م.، ١٥/٧، ٢٤

(١١٠) سجل١٠/٧، ١٠٦، ١٩٢٩/١٢/٣م.

(١١١) سجل٦/٧، ٩ ٣ /كانون الأول/١٩٢٤م

(١١٢) سجل ١/٧، ١، ١٩٢٥/٧/١٥م اعتقاداً.

(١١٣) سجل١٠/٧، ١٢٤، ١٩٢٩/٤/٣٠م، ٣١، ٢٩/١/٢٦.، ١٣٥، ١٠٣، ١٩٢٨/١١/٢٦م.

(١١٤) سجل٨/٧، ١١، ٥٠، ١٩٢٦/١٠/١٨م.

(١١٥) سجل٧/ ٨، ٣٠، ١٩٢٦/٨/١١، ١٩، ١٩٢٦/٩/١٨م.، ٢٤، ١٦٢٦/٩/١٢م

(١١٦) ظهر في السجلات المتعهد محمد حموضة وعبد الفتاح الشافعي واسعد ملحس، سجل٧/ ٨ ٣٩، ١٩٢٦/٥/٢٨م، ٤، ٢، ١٩٢٦/٥/٤م

(١١٧) سجل٧/ ٨، ، ١٧، ١٩٢٦/١٠/٢١م، ٣٠، ١٩٢٦/٨/١١م

كذلك استحدثت مسميات ومهام جديدة الى كادر الإنارة كمهندس البلدية رمزي عرفات-[١١٨]، وملاحظ التنوير[١١٩]، وملاحظ إنارة القناديل[١٢٠]، وخبراء الإنارة كالسيد إسماعيل الهموز، ومحمود فطوم[١٢١].

وبتنا نستشعر حضور حاكم اللواء أو نائبه[١٢٢] والقائمقام[١٢٣] والبوليس[١٢٤]-سواء ما كان منه للواء الشمالي، أو ما كان في قصبة نابلس-، في حيثيات الإنارة .

ولما تقدم الزمن، وحلت سنوات ١٩٣٠م-١٩٣٩م، خطت بلدية نابلس خطوات واضحة نحو تطوير إنارة المدينة، فاقترحت زيادة اللوكسات والقناديل، من ٤٧ لوكساً إلى ٥٠ ومن٢١٦ قنديلاً إلى [١٢٥]٢٥٠، إلا أنها تراجعت عن قرارها بسبب العجز المالي، وعدم وجود مخصصات مالية، أو ميزانية، تغطي تكاليف الزيادة[١٢٦].

وشكل وجود البريطانيين تحدياً صارخاً لأعمال البلدية، فقد عاثوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، حيث قام أفراد جيشهم بإطلاق الرصاص على اللوكسات[١٢٧]، كما منعوا تجول السكان وكادر الإنارة[١٢٨]، وكانوا يتملصون من المسؤولية الأمنية، فلا يعبؤون بلوكسات أو قناديل، ويهملون الأمن، ولاسيما قرب نقاط تمركزهم[١٢٩]، فهم كالحاضر الغائب!

وبدافع الوطنية، وبُغض المحتل، قامت البلدية باتخاذ الخطوات الإقليمية، والمحلية التالية لمواجهة الانتداب:

- رفض إنارة نابلس بوساطة مشروع روتنبرغ على الإطلاق، وعدم التفكير في هذا الأمر أصلاً[١٣٠].

---

(١١٨) سجل ٨/٧، ٤٢، ١٩٢٦/٥/٢٤م.

(١١٩) سجل ٨/٧،، ٩، ١٩٢٧/١/٢م

(١٢٠) سجل٧/ ٨ ، ٣، ١٩٢٧/٧/٣١م، ٢، ١٩٢٦/٨/٨م،

(١٢١) سجل، ٨/٧، ، ٤٠، ٢٤/١/إشغال البلدية، ٢٠/مارس/١٩٢٦م

(١٢٢) سجل ١/٧، ٤، ٢٨/كانون الثاني/١٩٢٢م.)سجل٧/١٠، ٦٧، ١٩٣١/٥/٨م، ٦٦، رقم٢٨/١١٦، ٣٠/١٢/٢٦، ١٩٣٠/١٢/٢٣، ٣٠/١/١/١٢/٧٦، ١٩٣٠/١٢/٢٣م

(١٢٣) سجل٧/١٠، ٦، ٣١/٢/١/١٢، ١٩٣١/٥/١٧م

(١٢٤) سجل٧/٨، ٣٥ ٢٠، /١٩٢٦/١١م. ٤٦، ١٩٢٦/٥/٢٤م.

(١٢٥) سجل ٧/١٠، ٦، ٧/٦/ ١٩٣٠م.

(١٢٦) سجل٧/١٠، ٩٠، ٣٠/٢/١/١٢، ١٩٣٠/٦/٧م ، ٦١، ١٩٣١/٦/١م، .نوهت الوثائق العديدة إلى ضعف الميزانية وضيق الحال لدى بلدية نابلس

(١٢٧) سجل ٧/١١، ٦١، ١٩٣٩/٥/١٦م.

(١٢٨) سجل ٧/١١، ٦٠، ١٩٣٩/١/١٤م.

(١٢٩) سجل٧/١٠، ٧٠، ٣١/١/١/١٢، ١٩٣١/١/٣م٧/١١، ٧٧، ١٩٣٩/٦/٢٩م.٧/١١، ٨٩، ١٩٣٩/٣/٢٠م.

(١٣٠) انظر جواب رئيس البلدية للمهندس أحمد وجيه أفندي (يافا)عن هذا الموضوع سجل٧/١٠، رقم١٢ /٣٢/٦/١، ٤٧، ١٩٣٢/٨/١٠م، ١٩٣٢/٨/١٤م.

- مُساءلة الأمن والبوليس عن حيثيات إطلاق الرصاص على اللوكسات، وإعلام قائمقام نابلس بذلك لمتابعة الموضوع واقتراح آلية التعويض[١٣١].
- طلب إعطاء رخص وتصاريح تجول للعاملين في إصلاح اللوكسات[١٣٢].
- إصدار وثائق(هويات) للعمال بصور فوتوغرافية للتمكن من مراقبة اللوكسات، ولجهل العمال بالانجليزية[١٣٣]، كما أولت التعهد مزيداً من العناية والتشدد، فأصدرت الشروط الواجب توافرها لقبول التعهد[١٣٤]، وفي الوقت نفسه المزايا التي يحصل عليها من يتولى الأمر، مما أوجد نوعاً من التنافس بين المتعهدين للاستحواذ على إنارة المدينة، أو مشاركة غيرهم في التعهد[١٣٥]، فقد وجدنا في عام(١٩٣٣م) خمسة منورين أو متعهدين، ومن الطريف في الأمر أن منوري القناديل حينها طالبوا البلدية بإنصافهم أسوة بمنوري اللوكسات في الجزاء والعقاب، وتخفيف القيود وشروط التعهد مراعاة لضيق الحال وسوء المنقلب الذي حل بهم جراء تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية[١٣٦].

ويبدو أن تردي الأحوال، واتساع المدينة، وزيادة عمرانها كان من الأسباب الأخرى الموجبة لزيادة عدد المتعهدين، أو المنورين، حيث ذكر أحد المتعهدين، في رده على المخالفات، التي اتهم بارتكابها بشأن الإنارة: أن البلدة -نابلس-منطقتان، وقد يكون المتعهد الثاني من قام بتلك المخالفات[١٣٧]!، ويظهر في الوقت ذاته، ونتيجة لما أسلفنا القول، لجوء بعض المتعهدين للغش كوضع لوكسات بثلاثمائة شمعة بدلاً من خمسمائة شمعة[١٣٨]، واتخاذ البنوك كفلاء لتعهدهم كالبنك العربي[١٣٩]، بناء على تعليمات البلدية[١٤٠].

ولم يقف طموح بلدية نابلس وتفانيها وحرصها عند حد، فقد عمدت إلى زيادة عدد القناديل واللوكسات- رغم الأوضاع المالية الصعبة-، كما زادت عدد العاملين ومسمياتهم الحرفية[١٤١]، وأزالت اللوكسات من الأماكن التي تضررت من زلزال عام

(١٣١) سجل ١١/٧، ٦٢، ١٩٣٩/٥/٢١م.٦٤، /١٩٣٩/٣م.، ١١/٧، ٨٧، ١٩٣٩/٤/١٢م.
(١٣٢) سجل ١١/٧، ٢٤، ١٩٣٦/٥/٢٤م.، ٥٩، ١٩٣٩/١/١٧م.،، ١١/٧،، ٦٠، ١٩٣٩/١/١٤م، ٦٥، ١٩٣٩/٦/٦م.
(١٣٣) سجل١١/٧، ٨٢، ١٩٣٨/٦/١م.
(١٣٤) سجل١٠/٧ ، ١٩٣٣/٨/٥م، سجل ١١/٧، ١ ، ١٩٣٥/٧/٤م.
(١٣٥) سجل١٠/٧، ٢٤، ١٩٣٣/١٠/١٤م.، ٢٧، ١٩٣٣/٨/٥م.
(١٣٦) سجل٧/ ١٠، ١٩٣٣/١/٢٩م.
(١٣٧) سجل٧/ ١٠، ٣٦، ٥ /١٩٣٢/٩م.وانظر رد اخر سجل ١١/٧، ٢، ١٩٣٥/٧/١٦م.
(١٣٨) سجل ١٢/٧، ٦، ١٩٣٦/٤/٢٥م.
(١٣٩) سجل ١٢/٧، ٨/ ١٩٣٦م.
(١٤٠) سجل ١٢/٧ ، ١٨ ، ١٩٣٦/٣/١٨م.
(١٤١) سجل١١/٧، ٥٩، ١٩٣٩/١/١٧م، ٦٠، ١٩٣٩/١/١٤م.

(١٩٢٧م)، بعدما تحولت تلك الأماكن إلى بيوت زنك[١٤٢]، ولما حل الاضراب العام(١٩٣٦م)[١٤٣]، لم تهمل البلدية حينها موضوع الإنارة، فقد قامت بجلب (٣٠) قنديلاً من مخازنها، بدلاً من القناديل المفقودة كسراً وسرقة ، ووضعتها مكانها[١٤٤]، كما قامت بإصلاح القناديل واللوكسات العطبة[١٤٥]، وشددت مراقبتها على المتعهدين[١٤٦]، بحيث توجه هؤلاء بالشكاوي، وكتب الاسترحام لتخفيف العبء الملقى

على كاهلهم؛ بسبب طول مدة الإضراب التي بلغت ستة أشهر، وقصر الليل في الشتاء، وارتفاع أجور العمال، وكسر اللوكسات، وارتفاع أسعار الكاز، مما سبب خسارة كبيرة لهم[١٤٧]، إضافة إلى كيد المتعهدين، والمستأجرين السابقين[١٤٨]، وقد تكررت مأساة خسارتهم فيما بعد نتيجة ارتفاع أسعار مواد الإنارة جراء الحرب العالمية الثانية[١٤٩].

قامت البلدية أيضاً بإشراك المحتل-المنتدب- بجزء ولو قليل بالمسؤولية عن تردي الأوضاع الأمنية؛ بسبب كسر اللوكسات، وعدم معرفة الجناة[١٥٠]، مما يقود المتعهدين للإحجام عن قبول التعهد لاحقاً[١٥١]، وكان رئيس البلدية –سليمان عبد الله طوقان (١٩٥٨)[١٥٢] يتفقد الإنارة شخصياً في شوارع المدينة[١٥٣]، كما قدم طلباً للحكومة البريطانية لبحث موضوع إنارة المدينة مع شركة الكهرباء في ١٩٣٦/٢/١٧م [١٥٤].

لقد جذبت أعمال بلدية نابلس سكانها[١٥٥]، وخاصةً فيما يتعلق بإنارة المدينة، فقام بعضهم كشركة عمر ورشدي العالول عام١٩٣٠م باستخدام (ماتور)- محرك كهربائي- في معمل الصابون خاصته، ومعصرة الطحينة، بموجب قانون الحرف

(١٤٢) سجل/٧ ١٠ ، ٣٦ ، ١٩٣٣/٤/٢٣م

(١٤٣) انظر عنه عارف، المفصل، ج١، ص٤١١، جبارة، تاريخ، ص٢٢٧-٢٣٤

(١٤٤) سجل ١١/٧، ٣٦، ١٩٣٦/١٠/١٨م.انظر أيضا :٤٨، ١٩٣٧/٦/٥م.

(١٤٥) سجل١١/٧، ٧٤، ١٩٣٩/٦/١١م.

(١٤٦) سجل ٧/ ١٠، ٠٨١ ١٩٣٠/٩/٧م.

(١٤٧) سجل١١/٧، ١٥، ١٩٣٦/١٢/٢٤م. سجل١٥/٧، ٣٧، ١٩٣٩/٣/١٩م، انظر تفاصيل ذلك :١١/٧، ١٩، ١١/٧، ٦٦، ١٩٣٩/٩/٥م. ١٩٣٦/١٠/٢٦م.

(١٤٨) سجل ١١/٧، ٥٥ن ١٩٣٧/٤/٤م.

(١٤٩) سجل ١٥/٧، ٥٥، رقم١١/١/٣٩، ١٩٤٠/٣/٢٣م.

(١٥٠) سجل١١/٧، ٤٩، د.، لكن الوثيقة بعد تاريخ ١٩٣٧/٦/٥م.

(١٥١) سجل ١٠/٧، ٩٤، ٣٠/١/١/١٢، ١٩٣٠/٤/٢٦م

(١٥٢) انظر عنه: http://www.passia.org/personalities/816

(١٥٣) سجل١٠/٧، ٥٤، ١٩٣٢/١/١٢م.

(١٥٤) سجل١٣/٧ ، ٦٤، رقم٤٥/١، ١٩٤٥/٦/٥م.

(١٥٥) سجل١٠/٧، ٨٧، ٣٠/١/٢/١٢، ١٩٣٠/٧/١٢م.

والصناعات وأنظمة الكهرباء[١٥٦]، وشركة عرفات وشنار التي استخدمت الماتور عام١٩٣٥ م، كما جذبت الإجراءات البلديات الأخرى، كبلدية غزة التي كاتبت بدورها بلدية نابلس لتزويدها ببعض الخطوات التي من شأنها تطوير مدينتهم كهربائياً[١٥٧].

وتشير ملفات بلدية نابلس، في هذه الفترة، الى ازدياد مشاريع إنارة المدينة بالقوة الكهربائية، فقد أجاب صاحب شركة الحجاوي (السيد عبد الحليم الحجاوي) رداً على استفسارات رئيس بلدية نابلس بشأن كهرباء شركته عام ١٩٤٥م:

- أن شركته تتزود بالكهرباء عن طريق محطة توليد دير الوردية، في الجهة الغربية من المدينة.
- المحطة مؤلفة من محرك زيتي صُنع انكليزي من نوع (كروسلي) قوة ١٠-١١أحصنة، ومولد كهربائي بشفط١١٠فولت قوة ٤-٥ كيلوات ذات تيار مستمر.
- أسس المشروع قاضي محكمة مركزية نابلس في حينه المستر (كراسل) البريطاني[١٥٨] سنة ١٩٣٥م، وهو الذي استصدر التصريح القانوني اللازم، وقام بالمشروع بالاشتراك مع عدد من وجهاء نابلس كمشتركين خصوصيين، وقد اشترت الشركة المشروع من أحمد أفندي الشكعة، الذي تسلم زمام مراقبته بعد سفر المؤسس الأول مستر (كراسل).
- يتصل بالشبكة دير ومدرسة الوردية، وكذلك مصنع صابون أحمد أفندي الشكعة وعيادة الدكتور أشرف عبد الهادي، حيث يستعمل الدكتور في عيادته آلات كهربائية للعلاج .
- توزع القوة الكهربائية على المستهلكين الخصوصيين، وأصحاب المشروع بسعر ٣٥ ملاً للكيلواط الواحد، مقابل مبلغ يدفع شهرياً تتراوح قيمته ما بين ٥٠٠-١٢٠٠ملاً تقريباً لكل مسكن، وعدد جميع المساكن المتصلة بالشبكة أربعة وثلاثين[١٥٩].

و أفادت (شركة المصري وشركاؤه) أن القوة الكهربائية التي يستعملونها في

(١٥٦) سجل ١٣/٧، ٤٦، ١٩٤٥/٥/٢٧م

(١٥٧) سجل ١١/٧، ٧، ١٩٣٥/٨/١٤م.

(١٥٨) سجل١٣/٧، ٣٠، ١٩٤٥/٥/١٨م.

(١٥٩) سجل١٣/٧، ٣٣، ١٩٤٥/٥/١٨م. ٣٢، ١٩٤٥/٥/١٧م . ٣١، ١٩٤٥/٥/١٤م.

شركتهم، تدار منذ عام(١٩٣٧) بموجب ترخيص من البلدية[١٦٠]، كما يذكر صاحب كراج أن رخصة استخدام القوة الكهربائية في كراجه كانت منذ عام(١٩٣٣م)[١٦١].

لكن يبدو أن تلك الشركات اتخذت السرية في عملها، وكان استعمالها للمولدات خاصاً لا عاماً منقطعاً لا دائماً[١٦٢] حسب الظروف والمعطيات، وبموجب شروط معينة وقوانين وضعتها البلدية، كقانون الحرف والصناعات [١٦٣]، وقانون الكهرباء[١٦٤].

ولكن، رغم التطورات التي شهدتها المدينة، فقد بقيت قناديلها ولوكساتها شاهدة على بصمات من قاد تطورها وتجددها ورقيها، فقبل نشوب الحرب العالمية الثانية، كانت البلدية تنير (٧٤) لوكساً، و(٢٠٠) فانوس-قنديل-في الشوارع والأزقة[١٦٥].

واكب سنوات (١٩٤٠م- ١٩٤٥م) تقدم بلدية نابلس وتطورها على العموم، وإنارتها بشكل خاص، رغم الأوضاع الحرجة التي كان يعاني منها الانتداب البريطاني، جراء خوضه الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م-١٩٤٥م)، فقد تابعت البلدية ما بدأت به في عام ١٩٣٦م- مشروع كهرباء نابلس-، فكررت طلبها في١٩٤٠/٣/١٤م من حكومة الانتداب بتَّ رأيها النهائي في الموضوع، إلا أنها استخدمت هذه المرة نبرة فيها نوع من الإنذار والتهديد لما قالت: (وفي حالة رفض الشركة إيصال الشبكة الكهربائية للمدينة، فإننا نفوض رئيس مجلس البلدية لإجراء المباحثات التمهيدية مع الحكومة، والسكان لتشكيل شركة خاصة بمدينة نابلس لإنشاء محطة كهربائية)، ومما يدلل على أهمية الأمر توقيع سبعة أعضاء من مجلس البلدية على القرار[١٦٦].

وتتمحور ثاني المستجدات والتطورات، حول إجراءات وآليات إنارة نابلس الكهربائية، باستخدام الأسلاك[١٦٧] ثم العدادات[١٦٨]، ولعل مبررات إنارة المدينة بهذه الكيفية؛ عائد إلى إلحاح الناس[١٦٩] وسعيهم بلوغ الراحة والأمان لعدم كفاية الإنارة السابقة[١٧٠]، وتسهيل سبل عيشهم، وزيادة رزقهم وانتعاشهم الاقتصادي[١٧١]،ومجاراة

(١٦٠) سجل ١٣/٧، ٣٩، ١٩٤٥/٥/١٤م.

(١٦١) سجل١٣/٧، ٣٥ ، ١٩٤٥/٥/١٥م.

(١٦٢) سجل١٣/٧، ، ١٩٤٥/١/٢٢م

(١٦٣) سجل١٣/٧ ٢٩، ١٩٤٥/٥/١٨م.

(١٦٤) سجل١٣/٧، ١٠، ١٩٤٥/٥/١٠

(١٦٥) سجل ١٣/٧، ١٦-١٧ ، ١٩٤٠/٥/١٩م.

(١٦٦) سجل ١٣/٧، ٦٤ ، رقم١/٤٥، ١٩٤٥/٦/٥م.وكذلك ٢٤، ١٩٤٥/٤/١١م.

(١٦٧) سجل ٧ / ١٣/، ٣٤، ١٩٤٥/٥/١٦م

(١٦٨) سجل ١٣/٧ ، ٤٩، ٤٥/٦/٥

(١٦٩) سجل ١٣/٧ ١٠، ٢٤، /١٩٤٥/٥م.٢٣، ٤٠/١/٢٢، ١٩٤٥/٢/٢٤م.٢٢، ١٩٤٥/١/٢٢م.

(١٧٠) سجل١٣/٧، ٤٩، ١٩٤٥/٦/٥م.

(١٧١) سجل١٣/٧، ٢١، ١٩٤٥/١/٢١م.

وتقليد ما تم في بعض الشركات والولايات الأخرى كلوائي صفد[١٧٢] وغزة[١٧٣].

سلكت بلدية نابلس، في سبيل إنارتها بالكهرباء، درب بلدية غزة، حيث قامت بمراسلة شركة الكهرباء الفلسطينية حول إمكانية مد أسلاك الكهرباء إلى نابلس، فأجابت الشركة بالقبول على أن تتوافر لديها المعلومات التالية :

١. خريطة نابلس، عليها المباني المهمة، ومحل النور في الوقت الحاضر.
٢. تفصيلات عن مشروع المياه بنابلس.
٣. تقرير تقريبي بعدد الأشخاص المنتظر أن يمدوا أسلاك الكهرباء لبيوتهم.
٤. تقرير بأصحاب المعامل والمصانع التي يمكن أن يستعملوا قوة كهربائية.
٥. لائحة بالمحلات العامة والحكومية التي يمكن أن تستعمل النور الكهربائي.
٦. نسخة عن ميزانية نابلس .

أحالت البلدية إعداد خريطة نابلس إلى لجنة التنظيم، وكلفت المستر هولدز بمشروع المياه ومتطلباته، كما استعدت لتقديم نسخة عن ميزانيتها للشركة[١٧٤]، أما باقي المتطلبات فقد دعت حاكم اللواء ومهندسه[١٧٥] للقيام بها، ولما انتهى مهندس دائرة الأشغال من دراسة الموضوع أجاب رئيس البلدية قائلاً: (اتصال البنايات بقاعدة الكهرباء الرئيسية غير محتملة، وبنايات نابلس بالإضافة إلى بناء البوليس، قد وضح تصحيحها بحيث تشمل الدوائر التالية: الإدارة، والبريد، والأشغال، والمحاكم[١٧٦].

وخلال معاينة البلدية أوضاع المدينة وتفقد أحوالها وجدت أن سكان نابلس انقسموا قسمين إزاء موضوع إنارة المدينة بالكهرباء، بين مؤيد ومعارض، فالمؤيدون هم تجار نابلس وأصحاب رؤوس الأموال، ومن في زمرتهم، رأوا في المشروع في زيادة أرزاقهم وعلو شأنهم ورفع اقتصاد منطقتهم، واستقطاب غيرهم من التجار وأصحاب المعامل والشركات، كون نابلس تتمتع بمغريات ومزايا جاذبة كالموقع المتوسط، ورخص الأرض والأيدي العاملة، إضافة إلى الجدوى الاقتصادية للمشروع، من تشغيل الأيدي العاملة، وتأمين حياة كريمة للأفراد، وتوفير المال، مقارنة بما مضى من استخدام اللوكسات والقناديل[١٧٧].

(١٧٢) سجل ٧/ ١٣، ٢٤، ١٩٤٥/٤/١١م.
(١٧٣) سجل ٧/ ١٣ ، ١٤، يعتقد ان رقمها ٤٠/١/٢٢، وتاريخها١٩٤٠/٤/١٧م .
(١٧٤) تم انجاز خريطة نابلس ومتطلبات المياه في ١٩٤٥/٦/٥م سجل١٣/٧ ، ٤٨. أما ميزانية البلدية فاعتذرت عن إعدادها بعدم وجود نسخة.
(١٧٥) سجل٧ /١٣ ، ٢٢ /٤٠/١، ١٩٤٠/٤/١٧م.
(١٧٦) سجل١٣/٧، ١٩، ١٩٤٠/٥/١٩م.
(١٧٧) سجل/٧ ١٣ ، ٢، ١٧ /١٩٣٦/٢م

أما المعارضون، كعمال البلدية وموظفيها، فقد رأوا العكس تماماً[١٧٨]، وهناك فئة وجدت في مشروع كهرباء نابلس عن طريق شركة روتنبرغ خيانة وتخاذل ومساعدة علنية على هيمنة الصهاينة، وسيطرتهم على وطننا فلسطين[١٧٩]، وقد حاولت بلدية نابلس تجاه ذلك أن ترضي جميع الأطراف باستخدام الحنكة والحكمة، فراسلت أصحاب الخبرة كالشركة الكهربائية الفلسطينية[١٨٠]، وحاكم لواء نابلس، أو من ينوب عنه[١٨١]، والقائمقام[١٨٢]، ومهندس اللواء، ودائرة الأشغال العامة[١٨٣] -مهندس الدائرة-، ومراقب الصناعات الثقيلة[١٨٤] لاقتراح من لديه إمكانية تمديد الأسلاك الكهربائية-[١٨٥] وكانت الغاية، التي تسعى إليها، أن يكون قرار القبول أو الرفض وفق أسس علمية مدروسة من جميع الجهات، وليس منها فقط، وقد أجابت شركة الكهرباء الفلسطينية بعدم إمكانية إنارة المدينة نظراً؛ لعدم وجود الأدوات اللازمة لإيصال الخطوط الكهربائية[١٨٦].

ولم يُعجب رئيس البلدية رد الشركة، فأرسل لحاكم اللواء رفضه مدعماً الرفض بمقارنة مدينة صفد الصغيرة التي مدت إليها الكهرباء بمدينة نابلس الكبيرة حجماً وصناعة، والمحرومة من تلك الخدمة، ونسب الرئيس عملية المقارنة والاعتراض لأهالي المدينة خوفاً من الأذى والضرر[١٨٧]، وقد تعلل حاكم اللواء بالحرب العالمية الثانية، وطلب من رئيس البلدية تأجيل الموضوع لحين انتهاء الحرب[١٨٨].

قامت بلدية نابلس، أثناء تلك الفترة، باستحداث قانون للكهرباء لمتابعة قضايا الإنارة، وحفظ الملفات، والكتب التي تعود إليها[١٨٩].

وكنا قد أشرنا آنفاً، أن بريطانيا خاضت الحرب العالمية الثانية، مما أثر في عدم بتِّها في القرار النهائي بشأن الإنارة الكهربائية عام(١٩٤٥م)، لكن يبدو أن المشروع قد تمت الموافقة عليه دون الإشارة إلى الوقت المحدد - حسب ملفات البلدية-[١٩٠].

(١٧٨) سجل ٧ / ١٣، ١٣، ٩ /٣/١٩٤٠م.

(١٧٩) سجل٧/ ١٣ ، ٥، ١٢/٢/١٩٤٠م، ٥، ٢٢/٢/١٩٤٠م.

(١٨٠) سجل ١٣/٧، ٢٢، ٢٢/١/١٩٤٥م.

(١٨١) سجل١٣/٧، ٢٤، ١١/٤/١٩٤٥م.

(١٨٢) سجل ١٣/٧، ١٣، رقم٢٢/١/٤٠، ١٧/٤/١٩٤٠م.

(١٨٣) سجل ٧/ ١٣، ١٨، ٣٣/١/ ٤٠ ، ١٩/٥/١٩٤٠م.١٨، ١٩/٥/١٩٤٠م.

(١٨٤) سجل١٣/٧، ٦٠، ٢٢/١/٤٠، ٢٠/٨/١٩٤٥م.

(١٨٥) سجل ٧/ ١٣ ، ١٦ -١٧، رقم٣٢/١/٤٠، ١١/٥/١٩٤٠م

(١٨٦) سجل ١٣/٧، ٢٢، ٢٢/١/١٩٤٥م..

(١٨٧) سجل ١٣/٧، ٢٢، ٢٢/١/١٩٤٥م. سجل ١٣/٧، ٢١، ٢١/ يناير-١-/١٩٤٥م.

(١٨٨) سجل ١٣/٧، ٢١، ٢١/ يناير-١-/١٩٤٥م.

(١٨٩) سجل١٣/٧، ٥، ١٠/٥/١٩٤٥م

(١٩٠) تشير ملفات بلدية نابلس إلى تاريخ ١٩/٨/١٩٤٥كاخر أجل لم يحدد فيه القرار النهائي بِشأن تنوير نابلس كهربائياً، سجل١٣/٧، ٥٨، رقم٢٢/١/٤٠ .

ويرد بعد ذلك خبر قيام عصيرة الشمالية بإنارة قريتهم بالكهرباء بوساطة ماتورات خاصة، وينوه الخبر إلى استغناء القرية عن مشروع روتنبرغ [١٩١] مما يدعم رأينا بالموافقة على دخول نابلس بمشروع الإنارة الكهربائية عن طريق ذلك المشروع.



الوحدة – ٢٧ نيسان سنة ١٩٤٧

انارة عصيرة الشمالية

بالكهرباء بموتورات خاصة

نابلس — قام نفر من اهالي قرية عصيرة الشمالية وهي من قرى نابلس المشهورة بوطنية سكانها وتفانيهم في خدمة قريتهم بمشروع انارة هذه القرية بالكهرباء بواسطة موتورات خاصة مستغنين بذلك عن شركة روتنبرغ اليهودية وبذا تكون اول قرية عربية في فلسطين تنار بالكهرباء وباموال وايد عربية.

وقد اتخذت بلدية نابلس سبيلاً آخر للتطور، حيث اعتمدت شعاراً خاصاً بها، تصدر به المكاتبات الإدارية المتعلقة بالبلدية، والإنارة، أطلقت عليه مسمى(هيئة بلدية نابلس)[١٩٢].

كما وجدت لديها وظائف لم تكن في السابق، كمهندس دائرة أشغال البلدية، ومراقب الصناعات الثقيلة[١٩٣]، وبتنا نقرأ تمشياً مع إنارة نابلس بالكهرباء، وجود متعهد كهرباء كالسيد عبد الحليم حجاوي، وبائع لوازم كهرباء كالسيد حمدي الجردانه[١٩٤] وغيرهم، ناهيك عن أكبر من ذلك، وهو الانتعاش التجاري والاقتصادي وزيادة حركة الأسواق بفضل الشركات والمحلات.

(١٩١) http://www.wafa.ps/index.aspx

(١٩٢) سجل١٣/٧، ١٠/٥/١٩٤٥م

(١٩٣) سجل١٣/٧، ٦٠، ٢٢/١/٤٠، ٢٠/٨/١٩٤٥م.

(١٩٤) سجل١٣/٧، ٦٠، ٢٢/١/٤٠، ٢٠/٨/١٩٤٥م.

خاتمة وخلاصة

وضعت بلدية نابلس، منذ تأسيسها، نصب عينيها، ضرورة تحديث المدينة وتطويرها لإرضاء ربها أولاً(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، وللواجب الوطني المنوط بها وسط تحديات المحتل -الانتداب البريطاني- من جهة، والأخطبوط الصهيوني من جهة أخرى، وكان موضوع الإنارة قد استحوذ على اهتمام البلدية وعنايتها فور إنشائها، لما للموضوع من تأثير على إشاعة الاستقرار واستتباب الأمن وقضاء حاجات الناس، وتسهيل سبل عيشهم والسير قدماً نحو ازدهار مدينتهم.

وقد بدأت الإنارة في أواخر العهد العثماني تتخذ صفة العموميات، وتشابك الصلاحيات، والبساطة، فكان اعتماد المدينة على القناديل واللوكسات بأعداد قليلة، وتعهد محدود، ووظائف مناسبة.

ثم تطور عمل البلدية، إبان الانتداب البريطاني، فأخذ بعداً حضارياً جمالياً وعلمياً قبل أن يكون عملاً مفروضاً غايته الانجاز دون الإتقان والتفنن، فارتكز العمل على فريق مكون من مهندس البلدية، والشاويش، والمتعهد، إضافة إلى المجلس البلدي، ثم تغيرت المسميات فبدلاً من الشاويش صار ملاحظ، وظهرت صلاحيات رئيس الكتاب كذلك، وتم الاستعانة ببلدية الرملة في قضايا الإنارة، كما تم التشديد، وتكثيف مراقبة المتعهد، وعمله، وزيادة عدد القناديل، واللوكسات رغم شح الميزانية في أغلب الأحايين.

وخلال الفترات الأخيرة، من الانتداب البريطاني، تعرضت بلدية نابلس لتحديات كبيرة، فقد قام الانتداب بكسر اللوكسات، والقناديل بإطلاق الرصاص عليها، كما قيد حركة الموظفين بمنع التجول، والقرارات الإدارية التي كانت عسكرية أكثر منها إدارية، وزاد احتكاك البلدية مع الجيش البريطاني ونقاط البوليس.

كان للبلدية دورٌ كبير في تخفيف وطأة الانتداب وتصرفات المحتل الفظة، فقد أصلحت اللوكسات والقناديل، وزادت من أعدادها في الشوارع والمحلات، كما خاطب الانتداب في استصدار تصاريح وهويات للموظفين، واستحدث قسماً مالياً في البلدية لمتابعة قضايا البلدية عامة والإنارة خاصة.

ولما حلت الحرب العالمية الثانية، انعكست أحداثها ومجرياتها على البلاد الواقعة

تحت الانتداب البريطاني، ولاسيما نابلس، فاستغلت البلدية انشغال الانتداب بالحرب، وقامت بإدخال المدينة في مشروع الإنارة الكهربائية، بعد استشارة الجهات المختصة، وأهالي نابلس، مدفوعة بجملة من الأسباب، أهمها: رفع اقتصاد مدينتهم، واستقطاب التجار وأصحاب المعامل والشركات، نظراً لكون نابلس تتمتع بمغريات ومزايا جاذبة كالموقع المتوسط، ورخص الأرض والعمال، إضافة إلى الجدوى الاقتصادية للمشروع، من تشغيل الأيدي العاملة وتأمين حياة كريمة للأفراد، وتوفير المال .

لقد أثبتت سجلات بلدية نابلس مقدار حرص البلدية على تطوير إنارة المدينة دون أدنى شك، لأن الإنارة تعدُّ عصب الحياة اليومية للسكان، ولأصحاب المصانع والشركات، فمع الإنارة يتبدد ظلام المدينة بالنور، وخريف الاقتصاد بالربيع، وشظف العيش بالرغد، فلْتَزْهُ دمشق الصغرى على صويحباتها، ولتهنأ ببلديتها .

النتائج والتوصيات

١-النتائج

استطاعت الدراسة الوصول إلى عدة نتائج أبرزها:

- غنى سجلات بلدية نابلس وزخمها بمعلومات وحقائق عن الإنارة إبان الانتداب البريطاني، مما يؤهلها لتكون: مخطوطات أساسية لمؤلفات وكتب تختص بتلك الحقبة، تفتقر إليها المراجع الأخرى من حيث المصداقية والدقة والشمول.
- بدأت بواكير الإنارة بالقناديل، واللوكسات في العهد العثماني، ثم تطورت إبان الانتداب البريطاني، إلى المحركات فالكهرباء .
- استطاعت بلدية نابلس مواجهة تحديات ثالوث الإنارة، الخارجي (الانتداب البريطاني ومن يدور في فلكه، والاحتلال الصهيوني)، والداخلي(المتعهد)، بحنكة ودراية وقوة للوصول إلى مستوى الإنارة الجيد الذي يرضيها قبل أن يرضي غيرها .
- كان لبلدية نابلس علاقات إدارية وودية نوعاً ما، مع كل من بلديات غزة، والرملة، وصفد، وحتى يافا، أدت إلى تبادل الخبرات في مجال الإنارة.
- أظهرت الدراسة حب سكان نابلس لمدينتهم، وتفانيهم في سبيل رقيها، وتقدمها أسوة بغيرها من البقاع .

٢-التوصيات

- الاهتمام بإعادة تبويب سجلات بلدية نابلس وفهرستها بطريقة منظمة، عن طريق فريق من الباحثين والمهتمين بالشأن الوطني عامة، والنابلسي خاصة .
- هناك وثائق تتخذ مسمى الإنارة، لكنها تحوي معلومات ذات أهمية في مجالات المقاومة، والمياه، والتخطيط، والعمران، والعادات، والزلزال مما يستدعي فرزها ليستفيد من يتطرق لتلك الموضوعات في دراساتهم وأبحاثهم.
- على المهتمين بتاريخ نابلس الحديث، تكثيف الدعاية والإعلان حول أهمية سجلات بلدية نابلس، وتعميم الفكرة ليتسنى للآخرين الاستعانة بتلك المخطوطات الغنية، وحتى لا تبقى محدودة الفائدة في أدراج مكتبة بلدية نابلس ورفوفها.
- على بلديات محافظات الوطن أن تحذو بلدية نابلس في كتابة تاريخ مدنهم عن طريق سجلات بلدياتهم.

مراجع الدراسة

- **المخطوطات، سجلات بلدية نابلس (غير منشورة)**

١. سجل ١/٢٧، ٤/٢٧، ٧/٢٧، ٨/٢٧، ٩/٢٧.

٢. سجل١/٧، ١٩٢٠-١٩٢٥م، ٢/٧، ١٩٢١م، ٣/٧، ١٩٢٢-١٩٤٧م، ٤/٧، ١٩٢٢-١٩٢٣م، ٥/٧، ١٩٢٣-١٩٢٤م، ٦/٧، ١٩٢٤-١٩٢٥م، ٨/٧، ١٩٢٦-١٩٢٧م، ١٠/٧، ١٩٢٨-١٩٣٥م، ١١/٧، ١٩٣٥-١٩٣٩م، ١٢/٧، ١٩٣٦-١٩٣٧م، ١٣/٧، ١٩٣٦م-١٩٤٥م، ١٥/٧، ١٩٣٨م-١٩٣٩م.

٣. اشتية، محمد، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية مادة(البلديات)، ط٢، المركز الفلسطيني للدراسات الاقليمية، ٢٠٠٩م.

٤. التمام، بشار سعيد، بلدية نابلس في العهد العثماني(١٨٦٩-١٩١٨م)، ط١، نابلس، ٢٠١٢م.

٥. التميمي. محمد رفيق ومحمد بهجت الكاتب، ولاية بيروت، لواء نابلس.

٦. جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، ط١، دار الشروق-رام الله.

٧. الحموي. ياقوت، (ت٦٢٦هـ)معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ١٩٧٧م.

٨. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٩٦م.

٩. الدباغ. مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الهد -كفر قرع، ٢٠٠٦م.

١٠. دروزه، محمد عزة، مذكرات محمد عزت دروزة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م.

١١. رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين، الموسوعة الفلسطينية.

١٢. الزاملي، إبراهيم سالم، فلسطين في التقارير البريطانية(١٩١٧م-١٩٤٨م)، دار ابن رشد-القاهرة، ٢٠١٦م.

١٣. السجدي. آمال عزت، بلدة نابلس القديمة في صور، عمان، ٢٠٠٢م.

١٤. سعادة، سعادة علي، بلدية نابلس ابان الانتداب البريطاني ١٩١٨م-١٩٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٤م.

١٥. سمودي، نورة نصوح أحمد، الحركة العمرانية في مدينة نابلس إبان الانتداب

البريطاني، ١٩٢٢م-١٩٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٦م،

١٦. صبري، بهجت، ملفات وأوراق بلدية نابلس(١٩١٨م-١٩٤٨م) ط١، نابلس، ١٩٨٦م.

١٧. طوقان، صبحي سعيد، جبل النار، نابلس، ١٩٦٩م.

١٨. العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط٥، مكتبة الأندلس-القدس، ١٩٩٩م.

١٩. نكبة فلسطين والفردوس المفقود(١٩٤٧م-١٩٥٢م)، دار الهدى.

٢٠. عارف، عبد الله، مدينة نابلس دراسة إقليمية، جامعة دمشق، ١٩٦٣م- ١٩٦٤م.

٢١. العزيزي، هاني عبد الرحيم، نابلس(أسامي ومعاني وأغاني) ط٢، عمان ، ٢٠٠٦م .

٢٢. علي، محمد كرد، خطط الشام، مكتبة النوري-دمشق، ط، ١٩٨٣م.

٢٣. عمران، عمار عادل، الامتداد العمراني لمدينة نابلس والعوامل المؤثرة فيه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، ٢٠٠٨م.

٢٤. عوض، عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(١٨٦٤م-١٩١٤م)، دار المعارف-مصر، ١٩٦٩م.

٢٥. القزويني، زكريا بن محمد. (ت٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر-بيروت.

٢٦. المصري، رأفت محمد رائف، نابلس عش العلماء وموطن الأصفياء، ط١، دار الفاروق-عمان، ٢٠١٢م.

٢٧. الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، م٤، ط١، ١٩٨٤م.

٢٨. التقسيمات الإدارية، حرف التاء بحث Google

٢٩. النمر. إحسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ط٢، ١٩٧٥م.

http://www.wafa.ps/index.aspx.30

٣١. يزبك، محمود، بلدية نابلس في العهد العثماني، ندوة نابلس بين الماضي والحاضر، جامعة النجاح، ١٩٩٩م.

٣٢. اليعقوبي. أحمد بن إسحاق، (ت ٢٧٨هـ)، كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩٠م.

ملحقات البحث



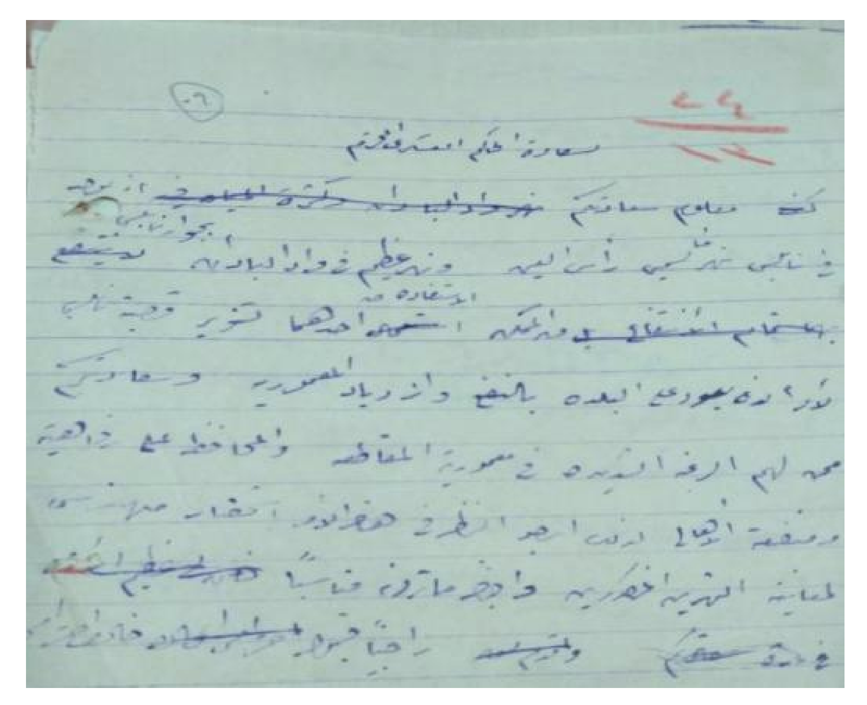
طبوغرافيا مدينة نابلس(١٩٥)



التقسيمات الادارية الأخيرة لفلسطين في عهد الانتداب البريطاني(١٩٦)

(١٩٥) عمران، الامتداد،، ص٦٨

(١٩٦) الدباغ، بلادنا، ج١، ق١، ص١٤٣



طلب بلدية نابلس من الحاكم العسكري انارة المدينة بالكهرباء، باستخدام ماء رأس العين ووادي الباذان(١٩٧)

B. Keshishian & Co.
MERCHANTS, COMMISSION AGENTS,
Contractors of the lighting of Jerusalem
Telephone. 187.
P. O. B. 618.
Telegr. Addr: KESHISHIAN

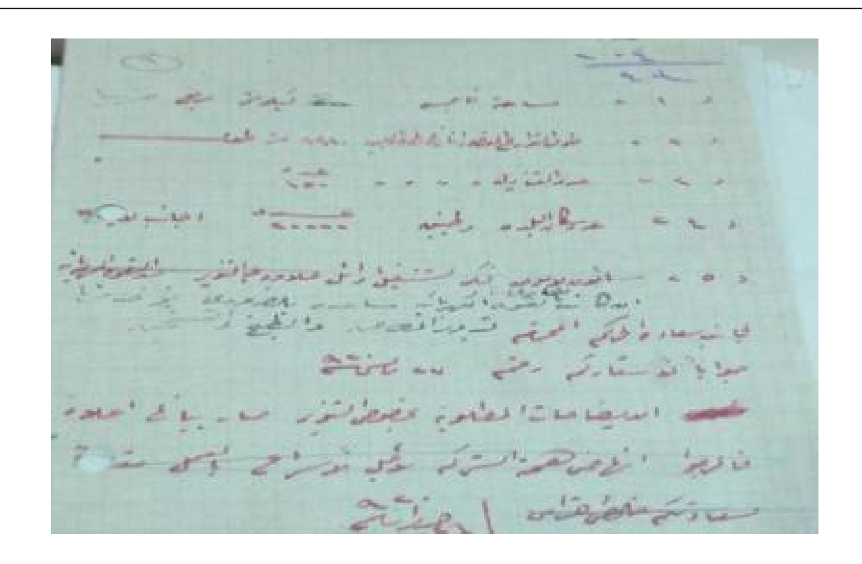
ب. كشيشيان وشركاوه
تجار كومسيونجيه
متعهدو تنوير القدس
باب الخليل
القدس الشريف

Jerusalem القدس في ١٧ اب ١٩٢٢ 192

متعهدون من القدس(١٩٨)

(١٩٧) سجل٧/١،، ٩، ٢٤تاريخ١١/حزيران/١٩٢٠

(١٩٨) سجل٧/٤، ٣، ١٧/اب/١٩٢٢م.



تقرير مهندس بلدية نابلس عام ١٩٢٠م(١٩٩)



شعار بلدية نابلس(٢٠٠)



رسالة نابلس التلفونية

السعي لجلب الكهرباء الى نابلس

بدء التفكير في مشروع كهرباء نابلس(٢٠١)

(١٩٩) سجل٧/١٠، ٦، ١٠٤، ٢٦/حزيران، ١٩٢٠

(٢٠٠) سجل ١٣/٧، ١٠/٥/١٩٤٥م.

(٢٠١) سجل ١٣/٧، ٢٤.٧/٢/١٩٤٠م.

ومضات من كهرباء نابلس
(١٩٥٧- ٢٠٠٩)

المهندس سلام الزاغة[١]

نواتها الأولى (التأسيس)

كانت أجزاء من مدينة نابلس حتى عام ١٩٥٦م تُزوَّد بالتيار الكهربائي من قبل ثلاث شركات أهلية صغيرة محدودة الإمكانات المالية والفنية، عرف منها:

- شركة خليفة (فريد عبد خليفة) وتعتبر الشركة الأكبر حيث باشرت عملها في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي، وتولت تزويد البلدة القديمة والجبل الشمالي والجنوبي، أي ما يعادل ٧٥٪ من أحياء مدينة نابلس في حينه من خلال التشغيل التدريجي لعدد من المولدات الكهربائية (٣ مولدات تعمل بالديزل) و بقدرة اجمالية تصل الى (٧٥٠٠) كيلوواط، حيث بلغ سعر الكيلواط/ساعة حوالي ٨٠ فلساً.
- شركة طبيلة (محمد قاسم طبيلة) التي باشرت العمل في مطلع خمسينيات القرن الماضي من خلال شراكة مع السيد خليل الشخشير، والسيد محمود شعبان، وكانت قد تولت إنارة الأجزاء الغربية من مدينة نابلس عبر ثلاث مولدات تعمل على الديزل والتي تم شراؤها لاحقاً من قبل البلدية.
- وهنالك أيضاً شركة ثالثة هي شركة خرسة، وكانت تمتلك مولداً كهربائياً وغذت إحدى حارات البلدة القديمة بالتيار الكهربائي.

وفي العام ١٩٥٤م شعر المجلس البلدي بحاجة المدينة إلى توفير خدمة الكهرباء للمواطنين بصورة افضل، وبناءً على ذلك، تم تكليف شركة استشارية بدراسة إنشاء مشروع كهربائي يُزود مدينة نابلس وضواحيها، وتم تحضير مناقصة في العام ١٩٥٥م بقرضٍ مالي ١٠٠ ألف دينار لتركيب وحدات توليد.

وقد تم تزويد الشبكة الكهربائية بالتيار في يوم السبت الموافق ١٩٥٧/٥/٢٥م عن طريق تشغيل محطة التوليد، الكائنة بالقرب من بلاطة البلد، وبقدرة ٩٠٠ كيلوواط (ك.و) وكانت مؤلفة من أربع وحدات عملت عن طريق الديزل.

---

(١) مدير عام كهرباء الشمال السابق



(لوحات المراقبة بمحطة التوليد الرئيسية)

تم تعويض الشركات الأهلية تباعاً، وإنهاء خدماتها حيث بلغت كلفة المشروع حتى عام ١٩٥٨م مبلغ ١٨٠ ألف دينار، وقد كان لإقامة مثل هذا المشروع الفائدة الكبرى على المدينة من جميع النواحي الاجتماعية، والاقتصادية، وكان من المتوقع لها أن تخدم لمدة عشر سنوات بالقدرة المذكورة، إلا أن الطلب على خدمة الكهرباء فاق التصور والتوقعات، مما أدى إلى قيام البلدية برفع القدرة الاسمية لمحطة التوليد عدة مرات خلال الخمسة والعشرين عاماً الأولى بتخطي العوائق المالية وذلك حسب الجدول الآتي:

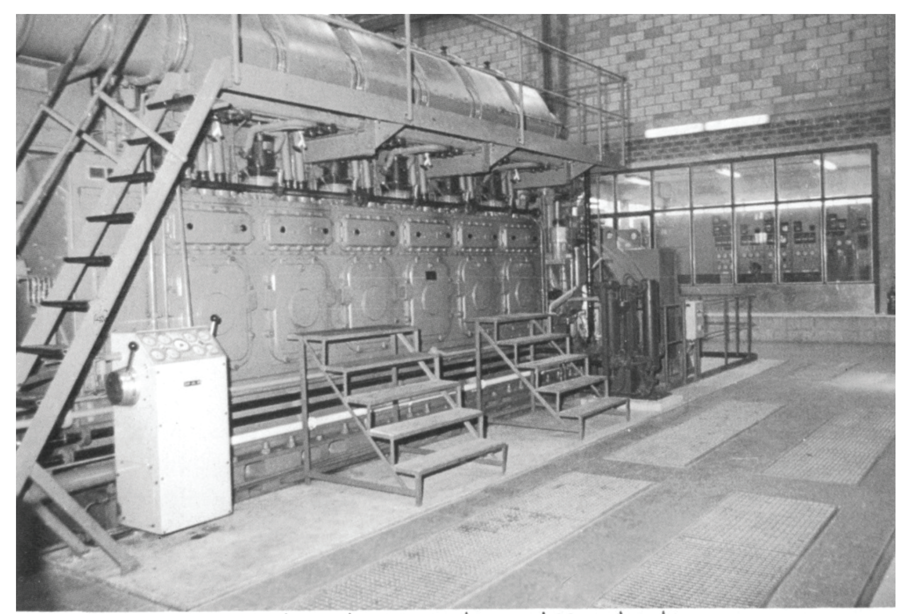
القدرة التوليدية المركبة

العام	القدرة KW	عدد الوحدات	مجموع قدرة التوليد الاسمية التراكمي KW	ملاحظات
١٩٥٧	١٥٠	٢	٣٠٠	
١٩٥٧	٦٠٠	١	٩٠٠	١٠٠ ألف دينار
١٩٦٠	٤٥٠	١	١٣٥٠	
١٩٦٢/١٩٦٤	٨٣٠	٢	٣٠١٠	

١٩٦٦/١٩٦٤	٨٣٠	١	٣٥٤٠	تم بيع وحدتي التوليد الصغيرتين بقدرة ١٥٠ كيلوواط لكل منهما.
١٩٧٤/١٩٦٩	٢٣٥٠	٢	٨٢٤٠	٥٠٠ ألف دينار مع التجهيزات ثم تسديدها من ميزانيات البلدية المتعاقبة.
١٩٧٩	٩٠٠	١	٩١٤٠	١٠٠ ألف دينار
١٩٨١/١٩٧٩	٤٨٠٠	٣	٢٣٥٤٠	تم تركيبها في المبنى الجديد للمحطة[٢] بكلفة ٢،٧٢٨،٠٠٠ ديناراً.

إن إضافة وحدات التوليد أعلاه تتطلب توسيع مبنى المحطة حيث بلغت تكاليف التوسعة، والمحركات، وكابلات وأجهزة ضغط عالٍ كهربائية وغيرها حوالي ٢،٧٢٨،٠٠٠ ديناراً

وقد تم الحصول على التمويل المالي من الدعم الذي تبرعت به بعض الدول العربية، وفي مقدمتها ليبيا، ومواطنو نابلس المغتربون والذين كانوا مدعاة للفخر والاعتزاز.



منظر محرك وحدة توليد جديدة لقدرة ٧٢٠٠ حصان مع اجهزة

(٢) تتكون محطة توليد كهرباء نابلس من ثلاث مباني بنيت وتوسعت في مراحل مختلفة: المحطة القديمة وبنيت في خمسينيات القرن الماضي وضمت خمسة وحدات توليد بقدرة اجمالية ٣,٥ ميغاواط والبناء الثاني وأطلق عليه المحطة الوسطى وبني في أوائل سبعينيات القرن الماضي وضم وحدات توليد بقدرة ٥,٥ ميغا واط، والمبنى الثالث وأطلق عليه المحطة الجديدة وبني في عام ١٩٧٩ وضم وحدات توليد بقدرة اجمالية ١٣,٥ ميغاواط. والمباني الثلاث تقع جميعها في موقع واحد بالقرب من بلاطة البلد وعين ماء "دفنا".

وقد شهدت المدينة والمناطق المتزودة من المشروع وعلى فترات مختلفة، العديد من أزمات نقص الطاقة الكهربائية خلال الأعوام من ١٩٦١م ، ١٩٦٣م، والأعوام ١٩٧٢م ، ١٩٧٤م، والأعوام ١٩٧٩م ، ١٩٨١م، مما أجبر البلدية على قطع التيار الكهربائي عن إنارة الشوارع، وعن أحياء من المدينة بشكل دوري، مما أدى بالتالي إلى معاناة المواطنين وتكبدهم خسائر كبيرة، إلا أن تحمل المواطنين لهذا الضرر، وتقديرهم لوضع البلدية والضغوط الحاصلة على مشروع الكهرباء، في حينه كان له الأثر الكبير في اجتياز مثل هذه الأزمات الناجمة عن نقص الطاقة الكهربائية.

وأدى تزايد الأحمال الكهربائية السريعة إلى تشغيل وحدات التوليد الجديدة بفضل مجهودات العاملين في المشروع ومتزامناً ذلك بصيانة وحدات التوليد القديمة حتى تخدم مع وحدات التوليد الجديدة.

إن عملية التوليد وإنتاج الطاقة الكهربائية يتطلب نقل وتحويل هذه الطاقة لتصل إلى المشتركين وتزودهم بالتيار الكهربائي الذي يتم عن طريق إقامة وإنشاء محطات تحويل وشبكات كهربائية على الضغط العالي أرضية ٦،٦ كيلوفولت (ك.ف) وهوائية ٣٣ ك.ف. إضافة إلى تمديد شبكات ضغط منخفض في مناطق مختلفة.

المناطق المستفيدة من مشروع الكهرباء

أقتصر مشروع الكهرباء، منذ تأسيسه، وحتى عام ١٩٦٥م، على تزويد مشتركي مدينة نابلس حيث تم بعدها الاتفاق على تزويد بلدة عنبتا بالتيار الكهربائي، ولكن بسبب ظروف الاحتلال، تأخر تزويد عنبتا حتى العام ١٩٦٨م.

وخلال الأعوام ١٩٧٠م- ١٩٧٨م تم تزويد أربع عشرة قرية بعد أن تم عقد الاتفاقيات اللازمة لإيصال التيار الكهربائي لهذه القرى بعمل التوسعات المطلوبة على الشبكة الرئيسية العامة شرقاً وغرباً وجنوباً، وهذه القرى هي:

١/ رامين ٢/ بيت ليد ٣/ دير شرف

٤/ قرية بيت ايبا ٥/ زواتا ٦/ بيت وزن

٧/ قرية حواره ٨/ عينابوس ٩/ قوزه

١٠/ قرية بيرقوزا ١١/ طلوزه ١٢/ الباذان

١٣/ كفر قليل ١٤/ الجنيد

كما جرى تزويد قرية تل بالكهرباء في بداية عام ١٩٨١م.

في حين تم ربط قرية عصيرة الشمالية، وقرية ياصيد بالتيار الكهربائي، وذلك خلال الفترة ١٩٩٣م- ١٩٩٤م، في حين تم في العام ١٩٩٨م ربط قرية سفارين وفي العام ٢٠٠٤م، كما تم تزويد قرية عراق بورين بالتيار الكهربائي.

تنظيم مهنة الكهرباء

بوشر في تنظيم مهنة التمديدات الكهربائية في الأبنية السكنية، والمنشآت الصناعية في العام ١٩٦٨م بتصنيف متعهدي الكهرباء، وإجراء الفحوصات لهم، وتسجيلهم لدى البلدية، وتزويدهم بالتعليمات والنشرات الخاصة بالمواصفات والشروط الفنية للتمديدات الكهربائية للأبنية، وعليه بدأ الفحص الفني على أنواع الأعمال الكهربائية التي يقومون بتنفيذها.

عمل مشروع الكهرباء

عند تسلم مشروع الكهرباء، من قبل البلدية، وبداية توزيع الكهرباء على المشتركين، تم إقامة خمس محطات تحويل كانت أكبر قدرة في ذلك الحين ٢٠٠ كيلوفولت، امبير (ك.ف.أ) وبعدها في العام ١٩٦٨م، تم إنشاء ثلاث محطات تحويل بقدرة ١٥٠٠ ك.ف.أ لكل منها من أجل تزويد مناطق عنبتا، وحواره، وكذلك قرى طلوزة والباذان، إضافة إلى محطات ضخ المياه من الآبار الارتوازية في تلك المنطقة، بعد ذلك تم الاستعاضة عن المحطات المذكورة بإنشاء أربع محطات تحويل قدرة كل منها ٥٠٠٠ ك.ف.أ بحيث تغذي المناطق خارج المدينة.

تقوم مصلحة الكهرباء بتزويد كافة المشتركين حسب الطلب ونوع الإنارة، سواء كان منزلياً أو تجارياً أو صناعياً أو مؤسسة، إضافة إلى مضخات آبار المياه مع إنارة كافة شوارع وأحياء المدينة والقرى التي تتزود بالكهرباء، بالإضافة إلى مشروع الآذان الموحد لربط كافة مساجد المدينة مع بعضها الذي تم عام ١٩٦٥م.

١٩٧٦-١٩٨١ المجلس البلدي المنتخب برئاسة الأخ المناضل بسام الشكعة

عمل المجلس البلدي على تحسين خدمة الكهرباء، عن طريق صيانة وحدات التوليد القديمة، وعمل توسعة مهمة لمحطة التوليد من خلال إضافة أربع وحدات توليد بقدرة إجمالية MV 14.5 حيث شكل ذلك حلاً للخروج من أزمة الكهرباء

الخانقة التي عصفت بالمدينة وسببت معاناة شديدة من نقص في الطاقة الكهربائية، حيث كان يتم فصل التيار الكهربائي عن مختلف المناطق بشكل دوري ومستمر.

دخول الكهرباء الإسرائيلية على الخط

في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٨٢م و١٩٨٥م، قامت اللجنة المعينة من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي بربط مشروع كهرباء نابلس مع شركة كهرباء إسرائيل، حيث تم في العام ١٩٨٤م ربط الجزء الغربي من مشروع كهرباء نابلس بالشبكة الإسرائيلية عن طريق إقامة نقطة ربط عنبتا، وفي عام ١٩٨٥م تم ربط الجزء الشرقي من المشروع بالشبكة الإسرائيلية، عن طريق نقطة ربط عسكر بحجة تقوية التيار الكهربائي بسبب ارتفاع الأحمال الكهربائية، رغم أن محطة التوليد في حينه كانت تفي بالغرض من حيث القدرة.

لقد كانت عملية الربط مع خطوط شركة كهرباء إسرائيل جزء من سياسة الاحتلال بتعميق الربط الاقتصادي مع إسرائيل وبذلك أصبح هنالك مصدرين للطاقة الكهربائية يغذيان شبكة كهرباء نابلس.

- محطة التوليد الرئيسية وتغطي ٤٠٪ من الأحمال.
- شركة الكهرباء القطرية الإسرائيلية وتغطي ٦٠٪ من الأحمال.

المجلس البلدي برئاسة الشهيد ظافر المصري

بتاريخ ١٩٨٥/١٢/١٩م، تولى الشهيد ظافر المصري مسؤولية إدارة بلدية نابلس حيث ركز اهتمامه على تحسين وضع مشروع الكهرباء من جميع النواحي، وذلك عن طريق إقامة المشاريع التطويرية إضافة إلى أعمال الصيانة بإقامة عدة محطات تحويل فرعية ومعالجة ضعف التيار الكهربائي وتقليل الخسائر الكهربائية وإنشاء وتمديد مغذيات كهربائية للضغطين العالي والمنخفض.

وفي عامي ١٩٨٦م / ١٩٨٧م عَمِد المجلس البلدي برئاسة المرحوم الأستاذ حافظ طوقان إلى سياسة جديدة في إنارة شوارع المدينة الرئيسية بتغيير الإنارة وتحسين كفاءتها باستخدام لمبات الإنارة من نوع صوديوم (اللون البرتقالي).



(عمال الكهرباء يقومون باصلاح شبكة الانارة)

١٩٨٧م-١٩٩٤م رؤساء الأقسام

خلال الانتفاضة المباركة الأولى تولى رؤساء الأقسام إدارة مهام البلدية، حيث ثم تطوير وزيادة القدرة الكهربائية الخاصة بنقطتي ربط كل من عنبتا وعسكر بشراء الأجهزة اللازمة للضغطين العالي والمنخفض، كما تم تغيير مغذي رأس العين، ومغذي السوق الشرقي، وإقامة أربع محطات تحويل بقدرات مختلفة.

١٩٩٤م - ٢٠٠٤م المجلس البلدي برئاسة المرحوم الأستاذ غسان الشكعة

وقد أولى المجلس اهتماماً كبيراً في قطاع الكهرباء حيث شهدت هذه الفترة تطويراً كبيراً لشبكات ومحطات التحويل والتي كان من أبرزها : –

١. تركيب محولات قدرة (١٠) ميجا فولت أمبير عدد(٢) في محطة التحويل الشرقية المركزية، ومحطة التوليد الرئيسية، ومحول بقدرة ٥ ميجا فولت أمبير في وادي التفاح مع تجهيزاتها.

٢. إضافة إلى مشروع تمديد مغذي رأس العين مع إقامة خمس محطات تحويل.

٣. مشروع مغذي البلدة القديمة من محطة تحويل الأشغال وحتى محطة تحويل باب الساحة، ومن ثم إلى محطة تحويل الكركون.

٤. مشروع مغذي شارع عبد الرحيم محمود والمخفية.

٥. تركيب مفاتيح ذاتية الإغلاق على خطوط شبكة الضغط العالي عسكر وعنبتا.

٦. مشروع مغذيات ضغط عالي في المحطة الوسطى ٣٣ ك.ف.

٧. إقامة نقطة ربط جديدة لتزويد مضخة بئر أودلا بالتيار الكهربائي مع تغذية خط حواره منها على ضغط ٣٣ ك.ف بدلاً من ٦،٦ ك.ف.

٨. تطوير وتوسيع محطة القدرة المركزية إلى MVA 20 وبما يشمل ذلك إنشاء قواطع ومغذيات جديدة وتركيب محولي قدرة MVA 2x10.

٩. تطوير وتوسيع محطة القدرة الشرقية إلى 0MVA 2 وبما يشمل ذلك إنشاء قواطع ومغذيات جديدة وتركيب محول أضافي بقدرة MVA 1x10.

١٠. إنشاء وتركيب محطة القدرة الغربية بقدرة MVA 20 وبما يشمل ذلك إنشاء قواطع ومغذيات جديدة وتركيب محولي قدرة MVA 2x10.

١١. تطوير وتوسيع محطة القدرة في وادي التفاح إلى MVA 10 وبما يشمل ذلك إنشاء قواطع ومغذيات جديدة وتركيب محول قدرة MVA 10.

١٢. العمل بنظام الحلقة الذي يربط المناطق فيما بينها، وذلك من أجل عدم فصل التيار عن مناطق شاسعة أثناء العمل في تطوير وصيانة المشروع حيث

يتم تزويد المنطقة في حالة انقطاع التيار عن طريق مغذٍ آخر.

١٣. تركيب وتشغيل الإشارات الضوئية من أجل عملية تنظيم المرور في المدينة.

١٤. تركيب وحدات مكثفات ضغط عالي داخلية وخارجية بقدرة ٦,٦ ك. ف و٣٣ ك. ف وذلك من أجل تحسين معامل القدرة والجهد لدى المشتركين وتجنب دفع غرامات مالية لشركة كهرباء إسرائيل.

١٥. أثناء العمل في تركيب محولي محطة التوزيع المركزية بقدرة ٢٠ ميغاواط، عام ١٩٩٦م

١٦. منظر عام لمفاتيح الضغط العالي لمحطة القدرة المركزية في مجير الدين (٢٠ ميغاواط)



وقد كان لسلطة الطاقة الأثر الكبير في تطوير قطاع الكهرباء، من خلال المنح النرويجية المتعاقبة حيث تم إعادة تأهيل وإضافة مغذيات الضغط العالي، والضغط المنخفض في كافة أنحاء المشروع، مع إضافة محطات تحويل جديدة وتطوير وإنشاء محطات القدرة سالفة الذكر.



رفع القدرة الكهربائية

تم العمل على رفع القدرة الكهربائية؛ بسبب ارتفاع الأحمال الكهربائية بالمشروع وزيادة الطلب على خدمة الكهرباء من ١٥ ميجافولت. أمبير في العام ٨٠ إلى ٤٠ ميجافولت. أمبير في العام ١٩٩٦م، ومن ثم إلى ٤٥ ميجافولت. أمبير في العام ٢٠٠٠م، و٥٣ ميجا فولت. أمبير وذلك في العام ٢٠٠٦م.



افتتاح محطة القدرة في وادي التفاح (١٠ ميغاواط) ممولة من المنحة البلجيكية عام ١٩٩٦م

تحسين إنارة الشوارع

أولت البلدية اهتماماً كبيراً بموضوع إنارة الشوارع، حيث تم إنارة جميع أحياء وشوارع مدينة نابلس، بالإضافة إلى القرى التي تتزود بالكهرباء من المشروع، كما تم الاهتمام بإنارة مداخل المدينة شرقاً وغرباً، كشارع القدس، وشارع الروزانا، وشارع الجنيد، وشارع نابلس طولكرم، وشارع الورش، والشارع الموازي لشارع فيصل.

الاجتياحات الإسرائيلية

كان للاجتياحات الإسرائيلية للمدينة عام ٢٠٠٢م الأثر الكبير في إحداث أضرار وتدمير لمشروع وشبكة الكهرباء الذي تطلب فيما بعد تضافر الجهود المحلية والدولية لإنقاذ البنية التحتية لهذه الخدمة، بالإضافة إلى جهود البلدية المالية والفنية والإدارية للأقسام العاملة في مصلحة الكهرباء، والذي ترتب عليها فيما بعد تدخل كل من سلطة الطاقة الفلسطينية والاتحاد الأوروبي نتيجة لحدوث العجز في توفير المواد اللازمة وخاصة منحة الاتحاد الأوروبي لإعادة تأهيل الشبكات الكهربائية بالإضافة إلى مشاريع مهمة أخرى تم تمويلها على حساب منحة البنك الألماني KFW.



صورة لبعض الأضرار التي لحقت بشبكات الكهرباء نتيجة لاجتياحات قوات الاحتلال الإسرائيلي لمدينة نابلس ٢٠٠٢م

٢٠٠٤م- ٢٠٠٦م لجنة من الوزارات المختلفة لإدارة البلدية

تولى العمل لجنة من وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية برئاسة الدكتور حسين الأعرج، وبعد ذلك برئاسة الأستاذ غسان الهموز، وكان من أبرز أعمالها:

استكمال تنفيذ أعمال منحة الاتحاد الأوروبي ولجنة الإغاثة الإسلامية – جدة بوساطة الـ UNDP والخاصة بإعادة تأهيل الشبكات والأضرار الناجمة عن الاجتياحات الإسرائيلية.

تزويد الحرم الجامعي الجديد في الجنيد بالتيار الكهربائي، وإنشاء خط تغذية خاص من محطة وادي التفاح الى موقع المحطة المركزية هناك وبقدرة إجمالية 3 MVA.

٢٠٠٦م- ٢٠١[٣] المجلس البلدي المنتخب برئاسة المهندس عدلي يعيش

ما بين الأعوام ٢٠٠٦م -٢٠١٢م تولى مهام إدارة البلدية، وقد أولى جل اهتمامه في تحقيق النمو والتطوير لهذه الخدمة المهمة التي تشكل عصب الحياة اليومية.

ولتطوير قطاع الكهرباء في المدينة، تم إنجاز عدد من المشاريع والأعمال؛ استجابة لزيادة الطلب على هذه السلعة الإستراتيجية.

وخلال هذه الفترة من عمل المجلس البلدي، تم انجاز العديد من المشاريع المهمة:

١. رفع القدرة الكهربائية من الشركة القطرية من MVA53 إلى MVA88، وذلك استجابة لزيادة الأحمال الكهربائية والتطور الحاصل في المدينة والمناطق المستفيدة من خدماتها، وقد رافق ذلك تحضير البنية التحتية اللازمة لنقل الزيادة في القدرة الى مراكز الأحمال.

٢. تركيب وإقامة (٥٢) محطة تحويل فرعية مع مغذياتها وشبكاتها، وذلك تماشياً مع متطلبات التوسع العمراني والتجاري والصناعي من ناحية، ومن ناحية أخرى تطوير النظام الكهربائي.

٣. ولمعالجة ضعف التيار الكهربائي في العديد من المناطق، تم تغيير عدد من محطات التحويل بسعات أكبر مع إقامة توسعات جديدة وإعادة تأهيل شبكات رئيسية أخرى.

٤. مشروع مغذي الضغط العالي (١١) ك.ف. باتجاه محطة رفيديا – الكركون.

(٣) ابتداء من شهر أب من عام ٢٠١٠ انتقلت خدمة الكهرباء رسميا الى شركة توزيع كهرباء الشمال والتي تأسست عام ٢٠٠٨

حيث تم تمديد وإقامة مغذي ضغط عالٍ من محطة القدرة الغربية/مجير الدين إلى منطقة رفيديا. شارع عمر بن الخطاب ـ الكركون وذلك لعمل دمج بين مغذيات رفيديا ـ الإنجيلي ـ رأس العين ٢ لتحسين نظام التوزيع وتخفيف الأحمال الكهربائية عن المغذيات العاملة.

٥. إقامة مغذي غرب- جنوب نابلس من محطة تحويل القدرة الغربية/ مجير الدين وكذلك دمجه مع المحطة المركزية الوسطى من خلال مغذي رأس العين٢.

٦. ومن أجل إحياء المنطقة الصناعية تم إنشاء شبكة الضغط العالي ولوازمها بتمويل من قبل صندوق الأقصى / بنك التنمية الإسلامي.

٧. تم إعادة تأهيل شبكات الضغط العالي الهوائية في منطقة شارع نابلس – طولكرم القديمة والتي تم إنشاؤها في بداية المشروع (الستينيات)، وذلك من أجل إبعاد الشبكة عن منازل المواطنين بسبب أعمال التوسع العمراني في تلك المنطقة، وكذلك تحسين كفاءة النقل والتوزيع على الشبكة المزدوجة الجديدة.

٨. إقامة محطة تحويل القدرة 5 MVA لتزويد مباني جامعة النجاح الوطنية – الحرم الجديد وذلك لتغطية الأحمال الكهربائية للحرم الجديد وتزويد المناطق الغربية من المدينة ذات التوسع العمراني الكبير.

٩. الاستعداد للانتقال إلى العمل لنظام من ١١ ك.ف. إلى ٦،٦ ك.ف وذلك نتيجة للاهتمام الزائد في تزويد المواطنين بالنوعية الجيدة من الكهرباء، وللتقليل من الخسائر الفنية الآتية:

أ. فقد تم إعداد الدراسات اللازمة للعمل في تغيير جميع محطات التحويل ومفاتيح ومغذيات الضغط العالي الخاصة بها مع جميع تجهيزاتها، وذلك بزيادة قدرة التزويد على مغذيات التوزيع العاملة.

ب. رفع كفاءة النظام الكهربائي عن طريق تقليل الخسائر الكهربائية الناتجة عن تحميل الكوابل وانخفاض الجهد.

ت. زيادة موثوقية النظام حيث ستتوفر إمكانية نقل الأحمال بين المغذيات بكل نجاعة.

ث. تم تغيير وإضافة ٩٠ محولاً، وإعادة تأهيل شبكات كهربائية ضغط عالٍ

بطـول ١٥ كـم، وتمديـد مغذيـات جديـدة مـن أجـل تطويـر المشـروع بطـول ٥ كـم، وتغييـر مفاتيـح حلقيـة عـدد ٢٠ مفتـاح ضغـط عـالٍ، حيـث تم تنفيـذ المرحلـة الأولـى في منطقـة رأس العين/عـين العسـل.

مشروع عدادات الدفع المسبق

مـن أجـل تحسـين كفـاءة الجبايـة، فقـد تم البـدء بتنفيـذ مشـروع تركيـب عـدادات الدفـع المسـبق مـع نهايـة العـام ٢٠٠٧م، حيـث اسـتفاد منهـا آلاف المشـتركين بعـد أن تم توفيرهـا عـن طريـق سـلطة الطاقـة، وقـد شـهدت إقبـالاً كبيـراً مـن المواطنـين، نظـراً للفوائـد الكثيـرة التـي يحملهـا هـذا النظـام للبلديـة والمشـتركين علـى حـد سـواء.



افتتاح مركز شحن للعدادات الطاقة مسبقة الدفع في المنطقة الشرقية عام ٢٠٠٩م

شركة توزيع كهرباء الشمال

المبادرة لتنفيذ مشروع شركة توزيع كهرباء الشمال، وذلك من أجل العمل على تطوير هذه الخدمة، وعمل نظام كهربائي موحد من خلال دمج كافة أجسام توزيع الكهرباء في البلديات والمجالس القروية، في شركة واحدة حديثة، تدار فنياً وإدارياً من خلال جسم فني وإداري مؤهل لتقديم هذه الخدمة الحيوية.

ملحق رقم (١)

من هو فريد عبد الله خليفه ...؟

هو ابن نابلس الذي نذر حياته لتحقيق الافضل لمدينته الحبيبة ، منذ نعومة اظفاره كان يعمل لرفعة وخدمة مدينته .

بدأ حياته عاشقا' لعلم الميكانيك مما اكسبه شهرة' ليس على مستوى نابلس فقط بل وصلت شهرته مدن فلسطين الكبرى بما فيها القدس ويافا وحيفا .

كان طموحه لا يعرف الحدود ، فكانت رحلته الاولى الى اوروبا عام 1948 حيث سنحت له الفرصة لرؤية المصانع الضخمة التي تزود العالم بما يحتاجه في حياته اليومية ، وايقن ان ما يقدمه لبلده غير كاف .

عاد الى نابلس وفي جعبته الكثير من الافكار التي عمل على تحقيقها ، فأنشأ اول مصنع لصهر الحديد حيث قام بإنتاج معاصر الزيتون والتي كانت آنذاك من انتاج ايطاليا .

كان يؤمن بأن نابلس لن تتطور لتصبح قادرة على التنافس مع غيرها إذا لم تحصل على التيار الكهربائي الذي بدونه لا يمكن ان تقام الصناعات المتوسطة والصغيرة ، إذن انها الكهرباء التي هي عصب الحياة والتقدم والإنفتاح .

كانت نابلس في عام 1945 لا زالت تعتمد على الطرق البدائية في الحصول على الإضاءة اللازمة لحياتهم اليومية بإستعمال قناديل الكاز للإضاءة ناهيك عن عدم وجود الراديو للإتصال بالعالم الخارجي .

لم تكن الكهرباء في البداية من ضمن مشاريع الحاج فريد ، إلا ان الوضع السيء الذي تعيشه مدينة نابلس املى عليه ان يفكر جديا" بما لا يتعارض مع مشاريعه الاخرى في إضاءة المدينة بالسرعة الممكنة .

وهكذا وفي غضون سنتين ، اخذت الانوار تتلألأ في سماء نابلس ومنازلها ومصانعها وتجارتها وعلى مدى الأربعة والعشرون ساعة .

لقد اصبح الحلم حقيقة ، وعاشت نابلس في عصرها الذهبي ، وقام من بعده من حمل شعلة افكاره الى يومنا هذا ، اذ تم تأسيس الفرع الاول لشركة خليفه الصناعيه في عمان لإنتاج جميع انواع الادوات الصحية النحاسية والمسبوكات بكافة انواعها .

وتم إنشاء الفرع الثاني في المملكة العربية السعودية في عام 1972 والفرع الثالث في مدينة الاسكندرية في عام 1992 ، وتم بحمد الله إنشاء الفرع الرابع في مملكة البحرين ، وجميع الفروع لا زالت وبحمد الله تعمل ليومنا هذا .

لقد كانت البداية احد الارصفة في مدينة نابلس ، والحلم الكبير ان نعود الى مسقط رأس الحاج فريد... الى نابلس الحبيبة .

- اسم ومؤسس الشركة : فريد وعدنان خليفه
- تاريخ بداية العمل : 1940
- عدد المولدات : 3 مولدات من نوع Ruston كل مولد 3 ميكاوات (2500 k.w) لكل مولد
- الحارات المضاءة : البلدة القديمة وجبل عيبال وجرزيم ، اي ما يعادل 75% من المدينة
- سعر الكيلو وات : 80 فلس
- تاريخ التوقف : 1957
- اسباب التوقف : اصرار البلدية على انشاء محطة توليد خاصة بهم

لقد بدأ الارسال بمحرك واحد من نوع لايلاند ، ومع زيادة الطلب تم اضافة محرك ثاني من نوع روستون وبقدرة 2500 وات ، وهذا ايضا لم يكن كافيا حيث تم اضافة المحرك الثالث من نوع روستون وبقدرة 2500 وات .

ملحق رقم (٢)

إدارة مصلحة كهرباء بلدية نابلس

وقد تعاقَب على إدارة مصلحة كهرباء بلدية نابلس كل من: -

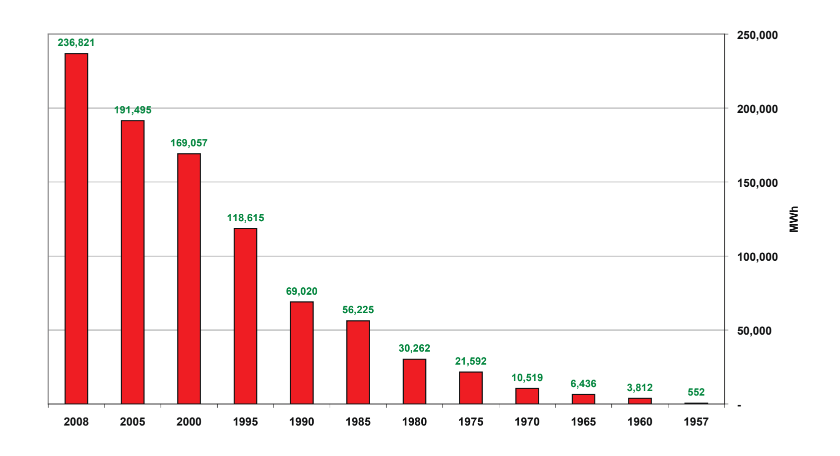
- ١٩٥٧م - ١٩٦٣م السيد عزت عبده السجدي.
- ١٩٦٣م - ١٩٦٥م المهندس حمدي القصص.
- ١٩٦٥م- ١٩٧٢م الدكتور المهندس منذر المصري.
- ١٩٧٢م- ١٩٨٧م المهندس زياد سعد الدين.
- ١٩٨٨م- ٢٠٠٥م المهندس محمد أبو ربيع.
- ٢٠٠٥م- ٢٠٠٨م المهندس سلام الزاغة٤.
- ٢٠٠٨م- ٢٠١٠م المهندس إبراهيم زيدان .

كما توالى على إدارة محطة توليد نابلس كل من: -

- ١٩٥٧م - ١٩٦٤م واصف جابر.
- ١٩٦٤م- ١٩٨٧م المهندس عدنان الدرهلي.
- ١٩٨٧م- ١٩٩٩م المهندس حسام الريان.
- ١٩٩٩م-٢٠٠٨م المهندس عارف هاشم.

ملحق رقم (٣)

المعلومات الإحصائية حتى عام ٢٠٠٨م



القدرة التحويلية حتى عام ٢٠٠٨م

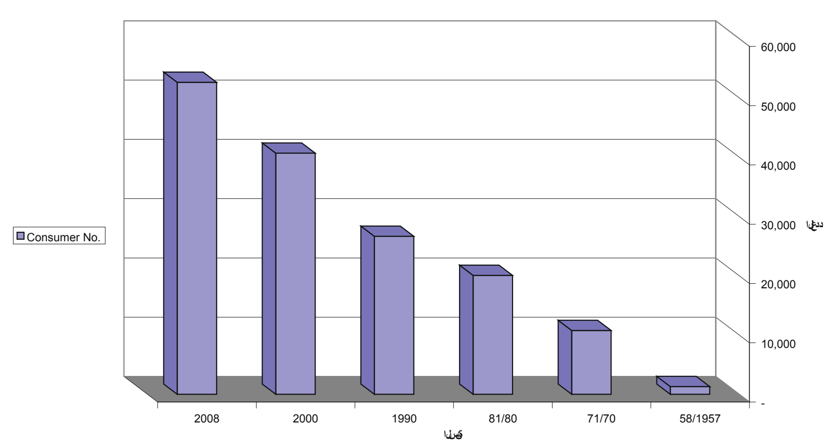
الضغط الكهربائي	٠,٤/٦,٦	٠,٤/١١/٦,٦	٤,٤/٣٣	٦,٦/٣٣-١١	الإجمالي	
القدرة (KVA)					عدد المحولات	مجموع القدرة التحويلية KVA
٥٠			٢		٢	١٠٠
١٠٠	١		٢		٣	٣٠٠
١٥٠	٣		٠		٣	٤٥٠
١٦٠	٤		٦		١٠	١٦٠٠
٢٠٠	١		٠		١	٢٠٠
٢٥٠	١١	٢١	٢٠		٥٢	١٣،٠٠٠
٣٠٠	٢	١	١		٤	١٢٠٠
٤٠٠	٢٤	٧١	٢٠		١١٥	٤٦،٠٠٠
٥٠٠	٨	٠	٥		١٣	٦،٥٠٠
٦٣٠	٢٩	٦٣	٣٢		١٢٤	٧٨،١٢٠
١٠٠٠	١	٦	٠		٧	٧،٠٠٠
١٥٠٠		٣	١		٤	٦،٠٠٠
١٦٠٠			١		١	١٦٠٠
٢٠٠٠			٣		٣	٦،٠٠٠

١٠،٠٠٠				٨	٨	٨٠،٠٠٠
المجموع	٨٤	١٦٥	٩٣	٨	٣٥٠	٢٤٨،٠٧٠
أطوال الشبكات الكهربائية حتى نهاية عام ٢٠٠٨م						
الوصف	طول الشبكة (كم)					
شبكات ومغذيات كهربائية ضغط منخفض	٥٦٥,٦					
شبكات ضغط متوسط أرضية ١١ ك ف	٩٨					
شبكات ضغط متوسط أرضية ٣٣ ك ف	٧,٥					
شبكات ضغط متوسط هوائية ٣٣ ك ف	١١٥					

عدد المشتركين بمشروع الكهرباء لنهاية العام ٢٠٠٨م

السنة	منزلي	مطلع درج	تجاري	صناعي	مؤسسات	المجموع الإجمالي
١٩٥٧/٥٨	٨١١	–	٣٨٩	٦٧	٤٢	١،٣٠٩
٧٠/٧١	٧،٨٩٧	–	٢،١٩٥	٤٩٤	١٨٥	١٠،٧٧١
٨٠/٨١	١٥،١١٠	–	٣،٩٤٤	٧١١	٣٠٦	٢٠،٠٧١
١٩٩٠	١٩،٨٣٨	–	٥،٥٢٠	٩٣٤	٣٦٧	٢٦،٦٥٩
٢٠٠٠	٢٩،٧٠٩	٩١٠	٨،٢٢٩	١،٢٣٥	٦٢١	٤٠،٧٠٤
٢٠٠٨	٣٩،٧٩٤	٢،١٨٠	٨،٥٤٧	١،٣٤٠	٧٧٩	٥٢،٦٤٠





* أول مشترك يحمل رقم الاشتراك (الاتفاقية) ١ هو المرحوم ،بإذن الله، الحاج معزوز المصري

خدمات المياه والصرف الصحي في نابلس

م. أريج كتانة، م. سناء صليبي، م. عماد المصري، م. سليمان أبو غوش، م. عدنان العامودي[1]

نابلس من أقدم مدن العالم، بناها العرب الكنعانيون فيما يعرف اليوم ب "تل بلاطة"، ما بين نبع بلاطة، ونبع عسكر، سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد، وسموها "شكيم". وبعد أن دمرت عام ٦٧ ميلادي، أعاد بناءها الرومان في عهد الامبراطور الروماني فسبازيان سنة ٧٢ ميلادية، وذلك حول نبع القريون وسط حارة القيسارية في البلدة القديمة، وسماها "نيابوليس"، وبعد ذلك تحول اسمها إلى نابلس، وتشرفت هذه المدينة وأهلها بدخول الاسلام عام ٦٣٦ ميلادي.

في المرتين اللتين بنيت فيهما نابلس، كان يتم تحديد الموقع بناءً على وفرة المياه. وقد بنى الكنعانيون مدينة شكيم بين عدة مصادر مياه، هي نبع بلاطة، ونبع عسكر، ونبع عين دفنة، وبئر يعقوب. وقد كان يتم بناء المدن بالقرب من عيون الماء من أجل ديمومتها. ومدينة شكيم جاورت أيضا حقول الزراعة الخصبة، التي امتدت من سهول بلاطة وسهول عسكر، إلى سهول بيت دجن. امتازت نابلس "شكيم" بموقعها الاستراتيجي على المرتفعات التي تعلو غور الاردن، فكلمة شكيم تعني "كتف المكان المرتفع"، فكانت نابلس على الطريق المؤدي إلى سلة غذاء فلسطين من فاكهة وخضرة في غور الاردن، وحول ينابيع الباذان والفارعة وغيرهما. وهكذا بنيت نابلس على وفرة من الماء، وعلى تربة خصبة للزراعة، وعلى الطريق المؤدي إلى غور الاردن.

في المرة الثانية، التي بنيت فيها مدينة نابلس، اختار الامبراطور الروماني فسبازيان نبع القريون، ليكون مركز مدينته الجديدة "نيابوليس"، وقد استعان فسبازيان بمخططي المدن الرومانيين لبناء نابلس في موقع جغرافي تحكمه التضاريس الشديدة التفاوت، وسخر الامكانات المتوافرة لبناء المدينة حيث قام بنقل حجارة "شكيم" من تل بلاطة إلى منطقة القريون، لتساعد في بناء "نيابوليس". ثم اختار الموقع لان تدفق مياه القريون أكثر بكثير من تدفق مياه عيون بلاطة وعسكر ودفنة مجتمعة، كما وأن موقع نبع القريون يجاور العديد من الينابيع الأخرى، كرأس العين

(١) دائرة المياه والصرف الصحي، بلدية نابلس، نابلس، فلسطين

وعـين العسـل، وهـذا كلـه يصـب في مصلحـة ديمومـة المدينـة لأنـه لا مدينـة تـدوم دون مصـادر ميـاه مسـتدامة، واسـتفاد كذلـك مـن التضاريـس المتفاوتـة لنقـل الميـاه إلـى أجـزاء المدينـة المختلفـة بمـا فيهـا "شـكيم" المدمـرة، والتـي ضمهـا إلـى اجراءاتـه المائيـة، وبهـذا بسـط نفـوذه علـى كل مـن شـكيم، ونيابوليـس بنظـام مائـي متكامـل. ويبـين الشـكل (١) المرفـق مدينـة نابلـس بريشـة الرحالـة ويلسـون (١٨٨٢م) وقـد أوحـى لـه بهـذا الرسـم وفـرة الينابيـع، وكثـرة الخضـرة في ربـوع مدينـة نابلـس، وحسـب ويلسـون فـان المدينـة غنيـة بالمـاء في كافـة مسـاراتها وشـعابها الضيقـة، حيـث بنيـت في واد ضيـق ذي زرع وخضـار كثيفـين يزودهـم المـاء النقـي الـزلال. وهـذا الـوادي يقـع بـين جبلـين عملاقـين همـا عيبـال وجـرزيم وتنمـو فيهمـا أشـجار السـرو والصنوبـر.

تاريخ مشروع مياه نابلس

وقعـت مدينـة نابلـس تحـت الحكـم اليونانـي في سـنة ٣٣٣ قبـل الميـلاد، وقبـل ذلـك كانـت تحـت حكـم أهلهـا الأصليـين العـرب الكنعانيـين. مركـز مدينـة "شـكيم" الكنعانيـة هـو مـا يعـرف الآن بتـل بلاطـة وقـد أشـارت دائـرة الآثـار إلـى أن الحفريـات بتـل بلاطـه تـدل علـى قنـوات حجريـة واوايـن فخاريـة كانـت تسـتخدم لنقـل الميـاه مـن ينابيـع بلاطـه، وعسـكر، وعـين دفنـه، وبئـر عيبـال قريبـاً مـن تـل بلاطـة "شـكيم الكنعانيـة". وهكـذا كانـت الينابيـع محيطـة بشـكيم مـن جميـع النواحـي، لتكـون مصـدر ميـاه يسـقون منـه بالأوعيـه الفخاريـة، ولـم تعـرف عـن شـكيم أنهـا اسـتخدمت أسـاليب لنقـل الميـاه.

كانـت الفتـرة الرومانيـة، التـي حكـم فيهـا الرومـان مدينـة نابلـس هـي الأكثـر إزدهـاراً وتطـوراً في مجـال تزويـد الميـاه. وقـد بـدأ ذلـك بعـد دمـار المدينـة سـنة ٦٧ ميـلادي، وإعـادة بنائهـا عـام ٧٢ ميـلادي علـى يـد الأمبراطـور الرومانـي فسـبازيان الـذي اهتـم كثيـراً بتزويـد السـكان بالميـاه. وقـد أعتمـد الرومـان علـى مبـدأ الجاذبيـة في إنشـاء القنـوات لتوزيـع الميـاه، وإيصالهـا للمواطنـين، لأن نابلـس متفاوتـة التضاريـس، حيـث بُنيـت هـذه القنـوات قبـل مـا يزيـد علـى ألفـي عـام:

قنـاة مـن نبـع عـين دفنـة الموجـودة بالقـرب مـن مبانـي المحافظـة بإتجـاه منطقـة القيسـارية غربـا، مـروراً بـدار عائلـة سـالم، ومـن ثـم إلـى حيـث مدرسـة العائشـية مـن خـلال القنـوات الرومانيـة وأنابيـب الطـين الفخاريـة التـي تمـر تحـت سـطح الأرض. وقـد تم إكتشـاف الكثيـر مـن هـذه القنـوات كان مـن أهمهـا القنـاه التـي تمتـد مـن نبـع عـين دفنـة (المقاطعـة) إلـى دار سـالم، ثـم قـرب مدرسـة العائشـية، ثـم إلـى بئـر الـدولاب

في القصبة، ثم إلى مدخل مدرسة الشهيد ظافر المصري في القيسارية. أما أهل القيسارية فقد بنى لهم الرومان درجاً من باب مدرسة ظافر إلى بئر الدولاب. وإن دل على ذلك على شيء فأنه يدل أن هذه الفترة قد شهدت إزدهاراً معمارياً.

قناة تربط عين دفنة (المحافظة) إلى عين دفنة (متنزه إسعاد الطفولة) ومن ثم إلى تل بلاطة حيث مركز "شكيم"، ومنها إلى بلاطة البلد، حيث تم إكتشاف هذا المسار اثناء إنشاء مبنى المحافظة الجديد عام ٢٠١٠.

ربط حارة القيسارية ببقية البلدة القديمة.

قناة تربط نبع رأس العين بالبلدة القديمة في منطقة البساتين الزراعية قرب المدرسة الغزالية، وشارع فلسطين لتروي الاراضي الزراعية مع عيون مياه فؤاد، وشريش، والغزالية، والتي تصب في منطقة البساتين ثم تواصل القناة مسارها إلى واد التفاح بالقرب من عين الصبيان. الشكلين (٢) و (٣) المرفقين مسارات القنوات الرومانية لمدينة نابلس.

لقد ازدهر نظام تزويد المياه في نابلس في العهد الاسلامي، ومن أهم ملامحه تأسيس نظام السبل كمواقع ضمن حدود المدينة يتزود منها المواطنون بالمياه، إضافة إلى نظام السقاية لنقل الماء إلى البيوت داخل وخارج البلدة القديمة وخارجها، إضافة إلى صيانة القنوات الرومانية وتحسينها.

فترة الدولة العثمانية

تابع المسلمون، في فترة الدولة العثمانية، العمل على رفع مكانة الينابيع، وتطوير الاستفادة منها، وانشاء المزيد من السبل حتى يتمكن الزوار واهل المدن من الحصول على المياه في كل جنبات وثنايا الاسواق سعيا نحو توسيع فوائد استخدام الينابيع. وتعتبر السبل احدى المعالم الخاصة بمدينة نابلس حيث يشكل ماء السبيل النابلسي في البلدة القديمة أحد الروابط الحضارية والانسانية التي نتجت في نابلس بسبب طبيعة المدينة، وخصال سكانها. ففي الوقت الذي يفتقر العديد من المدن إلى هذه الظاهرة، كانت ولا تزال سبل الماء تتوزع في شوارع مدينة نابلس متدفقة من عيونها التي توصف بانها مياه عذبة. وما أن يسير المرء في شوارع نابلس القديمة، أو يمر بحارة من حاراتها، إلا ويجد معلم ماء سبيل فيها يتميز بطابع عمراني لافت للنظر، وقد امتزجت في بنائه البساطة والإتقان مع وجود زخارف العمارة الاسلامية التي

تحيط به، وهذا يدل على السعي نحو الخير ومشاركة الناس العطاء والتمتع بجمال المنظر والإحسان. الشكل (٤) المرفق صورة سبيل عين حسين امام مسجد البيك في البلدة القديمة (١٩٤٧م)، والذي يظهر في الصوره يسمى "السّقاء" الذي كان يقوم بتعبئة ما كان يسمى "القربة" بالمياه، ويقوم ببيعها للبيوت داخل البلدة القديمة وخارجها، والبيوت في المناطق البعيدة والجبلية.

أما المناطق المرتفعة، او البعيدة عن السبل فقد تابع "السّقاء" ايصال الماء اليها بوساطة "القرب"، التي كانت تُحمل على الدواب وكان "السقى" ينادي بأعلى صوته حتى يسمعه الناس فيشترون حاجتهم من الماء. وعندما قامت بلدية نابلس عام ١٩٣٤م بانشاء شبكات توزيع المياه بدأت مهنة السقاية بالتلاشي.

وما زالت نابلس تحتفظ حتى الآن بنحو ستة وعشرين سبيلاً، أغلبها قائمة بدورها الريادي الذي نهضت به مدينة نابلس في مجال توزيع مياه الشرب على سكانها وزوارها، منذ أن كان الماء ثروة عزيزة المُنال، إلى أن أصبح الماء حقاً في متناولكل مواطن، وقد تم تدوين بعض من تاريخ السبل في فترة الحكم الإسلامي العثماني، وهي موثقة في أرشيف مكتبة بلدية نابلس.

تم وصف نظام توزيع المياه، في فترة العشرينيات، كما هو مدون في ارشيف مكتبة بلدية نابلس بأن "نابلس تسقى منذ قرون من ينابيع وآبار مختلفة في داخل البلدة القديمة وخارجها، وأن تلك الآبار والينابيع اصلها من المياه المتوافرة في باطن ارض جبل جرزيم، اما الينابيع الرئيسية فهي رأس العين وطولها ٦٤٢ متراً، تجتمع مع مياه عين المصرصة، او عين المرصوص (وقد ورد اللفظان في الوثائق) طولها ٦٤١,٤ متراً، وعين العسل وطولها ٦١٦,٢ متراً، وعين القريون وطولها ٦٠٥,١ متراً . وتتدفق مياه كل هذه الينابيع في مساحات محدودة للحدائق، والسبل، حيث يفرق الماء على الجوامع، والحمامات، ومعاصر زيت زيتون، وفابرقات (صبانات)، وبعض المراحيض العمومية الملاصقة للجوامع والمنازل الخاصة بنفر قليل من أغنياء نابلس، وأما عين العسل فيجري ماؤه بمجرى من الأحجار، ربما تم بناؤه في زمن الدولة الرومانية، ويخرج من نقطة مجاورة لذلك الينبوع أربعة أفرع: الفرع الأول: مجرى مغطى مبني بالحجر بعض ثمانية سنتي مترات (كما كتبت في الوثيقة) في ارتفاع متر واحد يولج الماء حمام السمرة، الذي يملكه أحد أعيان البلدة المدعو حيدر بيك، ومنه يخرج فرع ثانوي مؤلف من مواسير حديدية يورد الماء إلى دار

حيدر بيك، الفرع نمرة ٢ مبني من مواسير فخار يورد الماء لجامع الساطون، ومنه يتفرع إلى ثلاثة أفرع وإلى المراحيض العمومية والآخرين إلى السبلان، ويخرج من أحد هذه الفروع فرع آخر يوزع الماء إلى السبلان، الفرع نمرة ٣ مبني من المواسير الفخار يمر من ثلاثة منازل خاصة، ومنها يخرج إلى السبلان، والفرع نمرة ٤ يورد الماء إلى سبيل الخضرة فقط، وهناك مجرى ماء يورد المياه من نبع رأس العين إلى حديقة، ومعصرة زيت زيتون، وفابرقة (صبانة) صابون، وبيت، وسبيل".

في سنة ١٩٢٢م تم وصف نبع رأس العين، فبين الوصف انها تنقسم إلى نهرين، أي مجريين، متعادلين بالكمية، المجرى الأول يسير شمالاً إلى البركة الشمالية، والمجرى الثاني إلى بركة الطويل ماراً في قناة بعد أن ينضم إليها ماء عين المرصوص. وقد كانوا أحياناً يعبرون عن مجرى الماء بأنه نهر، وكذلك عن عين المياه الجارية على الأرض بأنها نهر.

أما البساتين، ومقدار الماء الجاري إليها، والتي تسقى من نبع رأس العين، في فترة الحكم العثماني، فهي: بستان النابلسي وهو ٦ دونمات، وتصل إليه المياه بمعدل ٢٥٠ سنتمتراً مكعباً في الثانية، وبستان الخضراء وهو ٣ دونمات، وتصل إليه المياه بمعدل ٢٠٠ سنتمتراً مكعباً في الثانية، وبستان حواكير البيك وهو ٦ دونمات، وتصل إليه المياه بمعدل ٣٠٠ سنتمتراً مكعباً في الثانية، وبستان حواكير الحلو، وهو ٨ دونمات، وتصل إليه المياه بمعدل ١٦٠ سنتمتراً مكعباً في الثانية. وان هذه البساتين تُسقى بالتناوب بواسطة حجم الماء الكامل، ولكل بستان وقت معين لسقايته. أي أن معدل ما كان يخرج من نبع رأس العين إلى هذه البساتين عبر المجرى الشمالي هو ٩١٠ سم٣/الثانية، أي ما يعادل حوالي ٧٩م٣/اليوم، أما البساتين التي تروى من القناة الأخرى، فكانت تروى بمعدل ١٢١ م٣/اليوم.

أما عين المرصوص، التي ذكرت أكثر من مرة، فقد كانت تضاف إلى عين رأس العين، وعين العسل، وعين القريون بنفس الأهمية، وتقريباً بنفس طول قناتها، ولم تكن مجرد نبعة ثانوية، وحسب الأرشيف والوصف فإن موقعها يكون قريبا من مسجد البيك؛ الذي كان أصلاً اسمه مسجد العين، وعندما جدده إبراهيم بيك طوقان عام ١١٩٠ ه، وغير اسمه إلى مسجد البيك.

جُل التركيز، في الفترة العثمانية، كان حول أسلوب توصيل المياه إلى السكان عبر القنوات، منها ما كان رومانياً ومنها ما تم حفره، وخصوصاً تلك التي تركت مفتوحة

على سطح الأرض لتكون واسعة كالأنهار، وهي تلك التي وصفها الرحالة عندما كانوا يزورون مدينة نابلس ويصفون جمالها.

نابلس تحت الاحتلال

خضعت نابلس عام ١٩١٨م تحت نفوذ الإحتلال البريطاني، الذي بقي يحكمها ثلاثين عاماً، وعندما خرج من نابلس كانت فلسطين مُقسمة، وكان كثير من أهلها مُهجرين ولاجئين، إجتمعت لجنة من بلدية نابلس، والحكام الإنجليز سنة ١٩٢٢م، ١٩٢٥م، ١٩٢٦م، ثم توقفت هذه الإجتماعات بسبب زلازل ١٩٢٧م، وبعدها اتخذوا تدابير حول إنشاء مشروع مياه أدى لاحقاً إلى بناء شبكة نقل مياه تم توسيعها عام ١٩٣٤م، وأصبح توزيع المياه في نابلس بوساطة شبكة يعتمد عليها، وجاء في الرسالة التي كتبها الاحتلال البريطاني، في شهر آذار من العام ١٩٣٢م، حول مشروع بناء أول شبكة مياه في نابلس: "وهذه الشبكة هي قرض، على المنتفعين أن يسددوه إلى البنك وليست منحة". وكان عدد سكان المدينة في هذه الفترة حوالي ٢٠ ألف نسمة.

تعرضت مدينة نابلس، والتي كانت مياهها وفيرة، إلى أقصى درجات الظلم، والقهر في عهد الاحتلال الإسرائيلي، فنابلس التي كانت مسؤولة عن توفير المياه لحوالي ٢٠ ألف نسمة في العشرينيات، أصبحت مسؤولة عن تزويد المياه لأكثر من ١٢٠ ألف نسمة في ستينيات القرن الماضي، وانخفضت حصة الفرد من ٥٠ لتراً في اليوم إلى حوالي ١٠ لترات، وأصبحت المنازل لا تزود بالمياه إلا ساعات محدودة في اليوم، وعلى الرغم من المحاولات المتواصلة لحفر الآبار الجوفية، فإن الاحتلال الإسرائيلي قد سمح بحفر بئرين فقط خلال هذه الفترة، هما: بئر الفارعه، وبئر الباذان سنة ١٩٧٨م و١٩٨٢م على التوالي.

وبعد عام ١٩٩٤م قامت الحكومة الألمانية بتقديم الدعم لحفر آبار المياه في فلسطين، فتم في نابلس حفر بئر دير شرف عام ١٩٩٥م، وبئر أودله عام ١٩٩٧م، وبئر بيت دجن عام ٢٠٠٧م. وحقيق القول أن جهود الألمان في دعم وتطوير خدمات المياه، والصرف الصحي في نابلس قائمة إلى اليوم، وذلك من خلال مؤسسات بنك التنمية الألماني KfW، ومؤسسة التعاون الدولية الألمانية GIZ. وعلى كل حال، لم تنته مشكلة المياه مع المُحتل؛ فها هو الإحتلال الإسرائيلي يتدخل، ويتحكم، ويطالب بالقوة العسكرية أن تؤخذ موافقته على كل مصدر مياه جديد تنوي بلدية نابلس أن تضيفه إلى مصادرها المائية.

في العام ١٩٩٦م، تأسست سلطة المياه، ومنذ ذلك الحين وقطاع المياه في مدينة نابلس يتحسّن لأسباب عدة:

أولاً: سنحت فرص لتطوير قطاع المياه نحو الأفضل، فأصبحت بلدية نابلس قادرة على جلب أموال لتطوير مصادر مياهها، وتنمية خدماتها، وشبكاتها مباشرة دون أن يمر ذلك عبر الإحتلال، الذي كان يسعى إلى تطوير مستوطناته غير الشرعية ودعمها على الأرض المباركة.

ثانيا: اهتمام رؤساء المجالس البلدية وأعضائها بموضوع المياه، وإعطاؤهم أولوية خاصة لاعتباره عصب الحياة بالنسبة للمواطنين.

ثالثاُ: أصبحت الفرصة مواتية لتأهيل كوادر دائرة المياه والصرف الصحي، وبذلك أصبح هناك بعد مؤسسي، وأصبحت الأمور تتبع نظاماً له هدف، وإستراتيجية، وخطوات متزنة تسير نحو تحقيق هذا الهدف.

رابعا: تواصلت بلدية نابلس مع الدول العربية، وحظيت بإهتمامهم ورعايتهم، وقد وفر ذلك كله فرصاً حقيقية للتنمية والتطوير.

قامت بلدية نابلس ومجالسها البلدية طيلة أيام الإحتلال الإسرائيلي بالدفاع عن حقوق المدينة في المياه، وجعلتها واقعاً ملموساً، ومنذ تأسيسها أصبح لسلطة المياه الفلسطينية دور داعم لجهود بلدية نابلس في حماية مصادر المياه، والحقوق المائية الفلسطينية، وخلال فترة السلطة الفلسطينية تم حفر كل من بئر اودلة عام ١٩٩٧م، وبئر سبسطية عام ٢٠٠٧م، إضافة إلى انشاء العديد من الخزانات، وتطوير نظام التزود بالمياه في كافة أنحاء المدينة.

وتتابع بلدية نابلس، من خلال دائرة المياه والصرف الصحي، إدارة كافة مصادر مياه المدينة بما فيها الآبار والينابيع، وتعمل على تطويرها، وزيادة الإنتاجية وذلك من خلال الصيانة المستمرة لهذه المصادر، كما تم تطوير شبكة المياه وتوسعتها بتنفيذ العديد من المشاريع، وكان أهمها مشروع خفض الفاقد الممول من الحكومة الألمانية والذي اشتمل على اعادة هيكلة أنظمة المياه.

ينابيع نابلس

وفرة المياه في نابلس جعل منها أرضاً زراعية خصبة، وجعلها قبلة لحضارات قديمة سكنت نابلس، فكانت من أهم مدنها، فلقد سُكنت نابلس عند الينابيع

الغزيرة مثل: عين القريون، وعين العسل، وزرعت قوت سكانها في منطقة البساتين إلى الغرب من شارع فلسطين، حيث تتدفق نبعتا فؤاد وشريش، وإلى وادي التفاح الذي كان يروى بنبع عين بيت الماء، وعين الصبيان، وإلى بلاطة حيث عين بلاطة ودفنة وبئر يعقوب، وإلى وادي عسكر حيث عين عسكر، ووداي بيت دجن في الجنوب.

كل هذه الوديان من بيت دجن، وحتى وادي التفاح، كانت سلة الغذاء من القمح، والشعير، والخضار، والفاكهة لنابلس وأهلها. وقد ازدادت أهمية نابلس، حيث كان الناس يأتون اليها لشراء القمح والشعير في مواسم الجفاف؛ لأن ينابيع نابلس كانت وما تزال لا تنضب، لذلك كثرت الطواحين في قلب مدينة نابلس وحولها.

ومن ينابيع وسبل نابلس في البلدة القديمة التي ترعرع النابلسيون بالقرب منها، على مدى آلاف السنين، نذكر منها: رأس العين، وعين العسل، وعين القريون، وعين القوارين، وعين ميرة، وسبيل عين الست، وسبيل عين الكاس، وسبيل عين حسين، وسبيل عين الخضر، وسبيل عين الصلاحي، وسبيل عين السكر، وسبيل عين الصبيان، وسبيل عين الساطور، وسبيل عين العجيبة، وسبيل عين بدران، وسبيل عين التوباني، وسبيل بير الدولاب، وسبيل عين التوتة. هذه الينابيع كانت المصدر الوحيد الذي حافظ على ازدهار نابلس عبر آلاف السنين.

ومن شدة اعجابه بنابلس، ومياهها، وبساتينها، وصفها شيخ الربوة الدمشقي[٢] بأنها: "قصر في بستان"، كما ورد في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، حيث قال: "نابلس مدينة خصبة نزهة بين جبلين، متسعة ما بينهما، ذات مياه وحمامات طيبة وجامع حسن تقام فيه الصلوات وكثير قراءة القرآن به ليلاً ونهاراً والاشتغال فيه كثيراً، وهي كأنها قصر في بستان، وقد خصها الله تبارك وتعالى بالشجرة المباركة، وهي الزيتون ويحمل زيتها إلى الديار المصرية، والشامية، والحجاز، والبراري مع العربان ويحمل إلى جامع بني أمية منه الف قنطار بالدمشقي، ويعمل فيه الصابون الرُقي الذي يحمل إلى سائر البلاد التي ذُكرن، وإلى جزائر البحر الرومي، ولها البطيخ الأصفر الزائد الحلاوة على جميع بطيخ الارض".

وقد مر رحالة عرب كثر في نابلس، ووصفوها كالرحالة والجغرافي الإصطخري المتوفى عام ٩٥١م، الذي قال: انه ليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سوى نابلس، اما الرحالة المقدسي المتوفى عام ٩٩٠م فقال في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة

(٢) الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة (727–654هـ/ 1327–1256م) من مواليد دمشق وتوفي في صفد، وهو عالم الزراعة والجغرافيا وعالم الأرض.

الأقاليم": نابلس في الجبال كثيرة الزيتون، يسمونها دمشق الصغرى، وهي في واد قد ضغطها جبلان، سوقها من الباب إلى الباب، وآخر إلى نصف البلد، الجامع في وسطها، مبلطة، نظيفة، لها نهر جار، بناؤهم حجارة، ولها دواميس عجيبة". وتجدر الاشارة إلى أن المقدسي وصف ماء ينابيع نابلس بأنه خشن (وهي إشارة إلى كونه يخرج من حجر جيري)، كما أنه وصف أهل نابلس بأنهم من ألبق الأقوام الذين زارهم في ترحاله، ووصفها مؤرخ القدس وقاضيها الشيخ مجير الدين الحنبلي[٣] المتوفى عام ١٥٢١م بقوله: "نابلس مدينة بالأرض المقدسة مقابل بيت المقدس من جهة الشمال، وخرج منها كثير من العلماء والأعيان، وهي كثيرة الأعين والأشجار والفواكه، ومعظم الأشجار بضواحيها خاصة الزيتون". وقال الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي[٤] عندما زار نابلس في عام ١٧٣٠م في رحلته التي سماها "سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس": "وما زلت أروح النفس في رياض تلك المدينة، وأنزّه الطرف في عرائس مروجها المتحلية من الأزهار بالجواهر الثمينة، وانتشق عُرف نسيمها العليل وارتشف من عيونها سلافا يبرىء العليل، وأتفكه بمحادثة لطفائها وأشنف السمع بدرر منظوم أدبائها، فعلى الحقيقة فهي مدينة ذات حسن بديع وتزداد حسنا إذا ذهب الشتاء ووافى الربيع، وهي معتدلة الهواء تتناسب؛ للطافة كيانها أهل الجوى، وهي غزيرة المياه والعيون كثيرة الثمار، يانعة الغصون، وأهلها ذوو لطافة وكرم، وفي مكارم الأخلاق وأشهر من نار على علم، ولهم مزية حسب في تلك البلاد كمزية حسن البياض على السواد".

وتنتشر عيون المياه كذلك خارج البلدة القديمة، ومنها عين بيت الماء، وعين دفنة، وعين الشريش، وعين الفؤاد، وعين بلاطة، وعين سيرين، وعين كيكوب، وعين عسكر، وعين رفيديا، وعين هيلانة، وعين الصبيان، وعين التنور، وعين الكفير. وتتمتع أغلب هذه الينابيع بقدرة عالية على التدفق والعطاء، هذا إلى جانب ينابيع تعطلت بسبب التغيّرات الجيولوجية في فترات القرن الماضي، ونخص بالذكر الزلزال الشهير في عام ٢٢ م الذي أدى إلى دمار نابلس بشكل شبه كلي، مما أثر بشكل مباشر على قنوات ومسارات الينابيع، وأدى من لحظتها إلى اختفاء ينابيع وظهور اخرى جديدة، كما تكرر الأمر مع زلزال عام ١٩٢٧م في عهد الاحتلال البريطاني، وما زالت اثاره التدميرية على الينابيع لليوم، حيث كان الكثير من الأهالي يؤرخون

(٣) قاضي مؤرخ عربي ولد في الرملة عام 1456م، انتقل للعيش في القدس، لقب بقاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي توفي عام 1522م.

(٤) الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي، توفي عام 1764م.

عمر هذا النبع وذاك من عمر الزلازل، الأمر الذي يشير إلى الأثر الواضح لهذه الزلازل على المياه وحركتها.

أما في العصور الحديثة، فكان من أبلغ وأصدق ما وصفه الرحالة البريطاني فالنتين حينما مر عام ١٨٩٣م، بمدينة نابلس وعبّر عن جمالها، ووفرة الماء فيها، بأن قال في كتابه عن فلسطين: "إن نابلس مدينة كبيرة جميلة بنيت من الحجارة في واد ضيق مليئ بالماء والينابيع التي زادت عن ثمانين عينا في المدينة وما حولها، فنمت فيها الحدائق وكروم العنب وبساتين التين وحقول الزيتون" ، وقال "إن شوارعها ضيقة فيها عتبات من الحجر، يمر الناس من فوقها، وفي الشتاء تفيض هذه الشوارع بالماء، وتتشكل التجمعات المائية عندما يجري الماء بسرعة وبصوت هادر فيصعب على الناس قطع الطرقات. مدينة نابلس هي مدينة التوت والبرتقال والرمان التي تنمو في حدائق بيوت المدينة لتعطر الهواء وتغرد الاف الطيور في المدينة، وفي واديها الجميل، ومن سفوح جبلي عيبال وجرزيم تخرج الينابيع بأنقى وأعذب مياه على الإطلاق، وبهذا يحق لأهل نابلس أن يفخروا بمدينتهم ويتمتعوا بجمالها".

لينابيع نابلس ميزة اضافية أسهمت في نمو المدينة عبر التاريخ، وهذه الميزة هي أنها تخرج من الصخر مع مستويات شوارع المدينة، أو أعلى منها، مثل نبع رأس العين، مما يساعد على جريان مياه هذه الينابيع بفعل تاثير الجاذبية دون الحاجة إلى وسائل لرفع مياه الينابيع، وسطح المياه الجوفية في غرب مدينة نابلس أقرب إلى سطح الارض منه في شرق المدينة، فلذلك ازداد عدد الينابيع في الغرب وازدادت قوة تدفقها، في غرب المدينة وفي وسطها حفرت الآبار لجمع كميات كبيرة من المياه الجوفية لتزويد السكان بمياه جوفية مستمرة مثل الآبار المنزلية المنتشرة في حارات البلدة القديمة. ويمكن القول أنه في جميع العصور التاريخية والحضارات التي نشأت في مدينة نابلس شكل وجود الينابيع الدافع الأساسي في نشوء هذه الحضارات وتطورها، حيث شيد العديد من القصور والقلاع والمساجد حول تلك الينابيع.

تخرج ينابيع نابلس من سفوح جبل جرزيم، إلا نبع عسكر فإنه يخرج من سفح جبل عيبال، وتنساب ينابيع نابلس، وتوصف كما يلي: يتغلغل المطر في الصخر الجيري (الدولامايت) من طبقة الايوسين، ويستمر تغلغل المطر عمودياً إلى أسفل

صخر الايوسين، صاحب النفاذية العالية، حتى يلتقي بالطبقة الطباشيرية السنومانية معدومة النفاذية، فلا يجد له طرقاً إلى أسفل، فيخرخ عند ملتقى طبقة الايوسين الجيرية مع طبقة السنومانين الطباشيرية، وتساعده التشققات الموجودة في هذا النوع من الصخر فتكون الينابيع قوية التدفق.

مصادر المياه الحالية في نابلس

تعدُّ المياه الجوفية المصدر الرئيسي للمياه لمدينة نابلس، ومخيماتها، والقرى المجاورة التي تتزود بالمياه من مصادر مياه بلدية نابلس. حيث يتم ضخ المياه من خمسة آبار جوفية تعود ملكيتها لبلدية نابلس، اضافة إلى خمسة ينابيع رئيسية داخل حدود المدينة. ويتم ضخ جزء من احتياجات نابلس من آبار تديرها سلطة المياه الفلسطينية، وآبار خاصة تقع في منطقة الفارعة، وقد بلغت كميات المياه التي تم ضخها للسكان نهاية عام ٢٠١٨م، حوالي ١١ مليون متر مكعب (م٣):

بئر البادان رقم ١: تم حفر البئر عام ١٩٦٩م في أراضي طلوزة الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس، على بعد حوالي ١١ كم عن مركز المدينة، وعلى عمق حوالي ٧٥٠م. تبلغ انتاجية البئر ٢٢٠م٣/الساعة. في العام ١٩٧١م قامت بلدية نابلس بتمديد خط مياه ناقل ما بين البئر ومدينة نابلس قطر ١٢ بوصة بطول ٧,٥ كم، ولا يزال خط المياه يعمل حتى يومنا الحالي. ويزود هذه البئر، اضافة لمدينة نابلس، قرى البادان، وطلوزة، وعصيرة الشمالية.

بئر الفارعة أو البادان رقم ٢: يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس في طلوزة، ويبعد حوالي ١٥ كم عن مركز مدينة نابلس، و٣,٥ كم شرق بئر البادان رقم ١، تم حفر هذا البئر عام ١٩٨٠م على عمق يصل إلى ٤١٣ م تحت منسوب سطح الارض، تبلغ انتاجيته حوالي ١٧٠ م٣/الساعة، يتم ضخ المياه من البئر وحتى محطة ضخ البادان بوساطة خط مياه ناقل، قطر ١٢ بوصة، ومن ثم بوساطة مضخات دفع إلى خزان عين دفنة المركزي في مدينة نابلس.

بئر دير شرف: يقع بئر دير شرف داخل حدود قرية دير شرف على بعد عشرات الأمتار من الطريق الرئيسي الذي يربط نابلس إلى طولكرم، تم حفر البئر عام ١٩٩٤م على عمق ٦٧٠ م تحت منسوب سطح الارض، وتبلغ انتاجيته حوالي ١٥٠ م٣/الساعة، يتم ضخ المياه من البئر باتجاه مدينة نابلس من خلال خط مياه ناقل

من الحديد المطاوع قطر ١٢ بوصة، وقد تم تنفيذه عام ٢٠٠٨م، وذلك ضمن مشروع خفض الفاقد، يتم تزويد قرية دير شرف من البئر بوساطة خط مياه منفصل قطر ٤ بوصة، وتم تنفيذه كذلك ضمن مشروع خفض الفاقد.

بئر اودلة: يقع البئر على بعد ٧ كم جنوب مدينة نابلس بين قريتي حوارة وأودلة، على ارتفاع ٥١٠ م فوق مستوى سطح البحر، تم حفر هذا البئر في عام ١٩٩٧م، واستمرت أعمال الحفر من ١٨ اذار إلى ٢٢ ايار، جاء ذلك نتيجة الجهود المشتركة للوكالة الألمانية الدولية للتعاون الفني (GIZ) وبلدية نابلس، تبلغ انتاجية البئر ٢٠٠ م٣/الساعة، تضخ المياه من بئر أودلة وحتى خزان عين دفنة بوساطة خط مياه ناقل قطر ١٢ بوصة، وعلى الطريق بين أودلة ونابلس، يتم تزويد قرية عراق بورين، وقرية كفر قليل بالمياه من بئر اودلة (الشكل ٥ المرفق).

بئر سبسطية (نابلس ٢): يعدُّ بئر سبسطية من أهم مصادر المياه الحالية لمدينة نابلس وما حولها، حيث تصل انتاجية البئر إلى ٣٠٠ م٣/الساعة (٢,٧ مليون م٣ / السنة)، أي ما يعادل خمس احتياجات سكان مدينة نابلس الحالي وما حولها، والتي تقدر بنحو ٣٠ الف مترمكعب يومياً، أي ما يعادل ١١ مليون مترمكعب في السنة، وقد تم حفر البئر في العام ٢٠٠٨م، ولم يسمح لبلدية نابلس بحفر أية آبار جديدة بعد ذلك وحتى الآن، يقع البئر إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس في أحواض برقة (المسعودية) على عمق ٧٥٠م تحت منسوب سطح الأرض، تضخ المياه من البئر باتجاه بئر ديرشرف، حيث تتواجد مضخات دفع تقوم بضخ مياه بئري سبسطية ودير شرف باتجاه مدينة نابلس. يتزود من البئر كذلك مجلس تطوير خدمات شمال غرب نابلس، والتي تضم كلاً من سبسطية، وبيت امرين، والناقورة، ونصف جبيل، واجنسنيا.

وخلال فصل الصيف، تعمل الآبار الجوفية دون توقف تقريباً. أما في فصل الشتاء، وموسم الربيع وحسب كميات الأمطار، يتم ايقاف تشغيل بعض الآبار بسبب زيادة انتاجية الينابيع.

نبع القريون: يقع نبع القريون في حي القريون، في قلب مدينة نابلس، وأجمل أحياء البلدة القديمة، عُرف نبع القريون على مدى التاريخ بغزارة مياهه، وقوة اندفاعه بعذوبة تكاد لا تفوقها عذوبة نبع غيره، وتتدفق مياه القريون بانسياب من أعماق جبل جرزيم عبر ممرات تمر أسفل مساجد ومساكن وأزقة البلدة القديمة،

فتخرج من التقاء ميلان الانزلاق الصخري لجبل جرزيم، بأرض شبه مستوية جنوب مسجد النصر. وعليه، ومنذ قديم الزمن، تجد الكثير من المباني الرومانية القديمة تحيط بمصدر هذا النبع، فنبع القريون يفجر ماء في فصل الشتاء يزيد معدل تدفقها عن معدل عدة آبار ارتوازية عميقة. فالقريون تعني النبع المتدفق باللغة السريانية، وهناك أدلة أثرية تدل على أن نبع القريون كان يغذي القنوات الرومانية التي توصل الماء إلى شارع الأعمدة الرومانية الذي اكتشف حديثاً أسفل مدرسة ظافر المصري، إن تدفق وعذوبة مياه نبع القريون هو الذي دفع الرومان إلى إعادة بناء مدينة نابلس حول هذا النبع. وفي العام ١٨٣٥م أوقف العثمانيون نبع القريون وأبهقته وأروقته للصالح العام لأهل نابلس، (الشكل ٦ المرفق).

نبع رأس العين: تقع رأس العين في القسم الجنوبي لمدينة نابلس، وقديماً بنيت قلعة متاخمة للنبع اسمها قلعة رأس العين؛ لتكون القلعة حامية للمدينة من جهة الجنوب، مدخل النبع يقع بالقرب من الشارع الرئيسي لجبل جرزيم على تل عُرف على مدى التاريخ باسم تل الحلو، والذي كان فيه عدداً لا بأس به من المزارع والثمار، اهتم الرومان، والأتراك بنبع رأس العين، ونحتوا القنوات، والممرات، والمقصورات، والأبهقة للوصول إلى بؤرة النبع، وتوسيع منطقة خروج المياه وزيادة تدفقها، تُمثل هذه القنوات، والمقصورات، والأبهقة معلماً تاريخياً وحضارياً وأثرياً عظيماً، وكانت المياه قديماً تنقل من نبع رأس العين إلى سبيل مسجد الخضر، ثم إلى منطقة البساتين عبر قنوات جميلة، ويستخدم نبع رأس العين للشرب بنسبة ١٠٠٪ حتى اليوم، (الشكل ٧ المرفق).

عين دفنة: من الجانب الشرقي لجبل جرزيم، وفي مكان قريب من مبنى المحافظة، حوالي ٢٠٠م جنوب غرب محطة ضخ دفنة، تتدفق وتنساب مياه عين دفنة قادمة من أعماق جبل جرزيم، معبقة برائحة الحضارات الإسلامية، والرومانية، والكنعانية، حيث يعتبر تاريخياً أن عين دفنة هي المصدر الرئيس للمياه لمدينة نابلس، والأقدم على مر العصور، ذلك أن عين دفنة كانت متصلة ب"شكيم" الكنعانيه، ونابلس الرومانية عبر أنفاق وقنوات مائية منحوتة بالصخر تحت الأرض، ولا يزال أغلبها موجوداً، وتبرز من هذه الأنفاق نقاط مختلفة من الآبار في الجانب الشرقي من المدينة القديمة حيث كانت تمثل المصب الأساسي لنبع عين دفنة.

عين العسل: نبع عين العسل، ونبع القريون شكلا عصباً في حياة أهل نابلس

على مدى آلاف السنين، وما انطبق على نبع رأس العين من أبنية وبنية تحتية من قنوات حجر ومقصورات وبنيان معماري جميل، ينطبق كذلك على نبع عين العسل، والفارق الوحيد هو ما يتم اكتشافه من آثار وتاريخ. وقد اهتم الأتراك بهذا النبع وربطوه بسبل كثيرة لتزويد المارة والسكان بمائه الزلال، وكذلك لتزويد البساتين الزراعية في المدينة، (الشكل ٨ المرفق).

عين بيت الماء: يقع نبع عين بيت الماء على الطريق الرئيسي المؤدي إلى طولكرم، بؤرة النبع تربطها قنوات تمتد إلى أسفل موقع مخيم عين بيت الماء، حيث البنى التحتية ضعيفة، الأمر الذي يجعلها عرضة باستمرار للمخاطر والتلوث، إضافة إلى أن العديد من الأنشطة الزراعية المحيطة بموقع النبع تسهم في تلوثها. وتعدُّ عين بيت الماء هي الأكثر تدفقاً من بين ينابيع نابلس التي تقع خارج البلدة القديمة، وكان حظها أقل في أدبيات الرحالة والعلماء، ولكنها، من الناحية الهدرولوجية، مهمة جداً لتزويد سكان نابلس بالماء. كما أن هيدروجيولوجيتها أكثر تعقيداً من ينابيع نابلس الأخرى، وذلك لقربها من جبل عيبال، وبعدها قليلاً عن جبل جرزيم. وتتغذى عين بيت الماء من جبل جرزيم بشكل أساسي، ولربما نالت تغذية من مناطق أخرى من جبل عيبال.

حتى عام ١٩٣٤م، اعتمدت مدينة نابلس بالكامل على ينابيع القريون، وعين العسل، ورأس العين حيث كان يتم نقل المياه من خلال أنابيب من الطين إلى سبل المياه المختلفة، التي تقع في جميع أنحاء المدينة القديمة، ومن هذه السبل اعتاد السكان الحصول على الماء لمنازلهم، ومحلاتهم بوسائلهم الخاصة باستخدام الأواني الفخارية والحمير.

ومع ذلك، قررت البلدية، في ذلك الوقت، بناء شبكة توزيع المياه من أجل توزيع المياه بكفاءة، وتجنب حدوث التلوث، وبناء على ذلك أصدرت البلدية قوانين مكنتها من امتلاك الينابيع الثلاثة (القريون، عين العسل، ورأس العين). وكان السكان، الذين لهم حق الوصول، وحق الملكية في هذه الينابيع يحصلون على كميات مجانية من المياه، وتم منح هذه الحقوق على أساس الأسهم والحصص.

وتواصل البلدية حتى الآن تقديم الماء مجاناً لأولئك الذين لديهم حقوق راسخة في الينابيع، في حين تمتلك بلدية نابلس نبع عين دفنة، وعين بيت الماء، إضافة إلى نصف التدفق من القريون، وعين العسل ونحو ٦٠٪ من رأس العين بالكامل.

خدمات توزيع المياه

تقوم بلدية نابلس بتوفير خدمات المياه لسكان مدينة نابلس البالغ عددهم، حسب نتائج الإحصاء للعام ٢٠١٧م، حوالي ١٦٠،٠٠٠، إضافة إلى مخيمات مدينة نابلس والبالغ سكانها ٣٠،٠٠٠، تزود بلدية نابلس عدداً من القرى المحيطة بالمدينة بالمياه، وهي ديرشرف، وكفر قليل، وطلوزة، والبادان، وعصيرة الشمالية، وزواتا، وسبسطية، واجنسنيا، والناقورة، ونصف جبيل، وبيت امرين، وبورين، وعراق بورين، ومادما وعوريف. وبالتالي، فإن مجموع عدد السكان المخدومين من مصادر مياه بلدية نابلس حوالي ٢٧٠ ألف شخص.

تقسم مدينة نابلس إلى ٣٠ منطقة ضغط، أو منطقة توزيع (الشكل ٩ المرفق)، موزعة حسب طوبوغرافية المدينة، حيث أن فرق المنسوب بين أخفض نقطة وأعلى نقطة في أي منطقة ضغط، لا يتجاوز ٦٠ م، وقد تم تقسيم المدينة إلى مناطق ضغوط بناء على الدراسة الشاملة لنظام التزود بالمياه، بهدف تحقيق العدالة في توزيع المياه، وتقليل الفاقد في الشبكة، وتقليل تكاليف الطاقة المستخدمة في ضخ المياه، كل منطقة ضغط أو توزيع تتزود بشكل مستقل عن مناطق الضغط الأخرى، وذلك من خزان مياه بوساطة مضخات خاصة، وخط ناقل لكل منطقة.

يشتمل النظام على ٢٠ محطة ضخ موزعة في المدينة وخارجها، ويبلغ عدد المضخات العاملة فيها حوالي ١٠٠ مضخة، معظمها من النوع العمودي. يوجد في المدينة ثلاثة خزانات رئيسية، وهي خزان عين دفنة بسعة ٥٠٠٠م٣، وخزان عين بيت الماء سعة ١٤٠٠م٣، والخزان الجديد سعة ٣٠٠٠م٣، وتتزود هذه الخزانات بالمياه من المصادر، ويتم ضخ المياه من هذه الخزانات إلى عشرة خزانات ثانوية موزعة في انحاء متفرقة من المدينة بإجمالي حجم تخزين حوالي ١٢،٣٠٠م٣.

وتتكون شبكة المياه من أنابيب بأقطار تتراوح ما بين ٠,٥ وحتى ١٤ بوصة، وتتوزع الأنابيب المستخدمة في شبكة التوزيع، وتشمل حديد مطاوع، وبولي بروبلين، وبولي ايثيلين، وفولاذ وحديد مجلفن. ويبلغ طول شبكة التوزيع حوالي ٥٢٠كم للأقطار اكبر من ٠,٧٥ بوصة، منها حوالي ٧٠ كم خطوط مياه رئيسية بين مصادر المياه والخزانات. ويتم ضخ المياه للمناطق بمعدل مرة كل ثلاثة أو أربعة أيام، وذلك حسب كميات المياه المتوفرة، ويبلغ معدل استهلاك الفرد من المياه في المدينة حسب بيانات دائرة المياه والصرف الصحي حوالي ٨٠ لتر يومياً.

ويتم تعقيم المياه بوساطة الكلور السائل في مصادر المياه، وفي الخزانات الرئيسية والفرعية، ويتم مراقبة جودة المياه، بشكل يومي، من قبل طواقم دائرة المياه والصرف الصحي المسؤولة عن ايصال المياه الصالحة للشرب للمواطنين، حيث يتم أخذ حوالي ١٦،٠٠٠ عينة سنوياً؛ ليتم فحصها والتأكد من مطابقة المياه لمعايير الشرب العالمية، يتم إجراء فحوصات مخبرية جرثومية وكيميائية في مختبرات جامعة النجاح ومختبرات وزارة الصحة. تغطي خدمات المياه حوالي ١٠٠٪ من سكان مدينة نابلس القاطنين داخل حدود المخطط الهيكلي للمدينة.

خدمات الصرف الصحي

أما بخصوص الصرف الصحي، فقد تأسست شبكة الصرف الصحي، في مدينة نابلس، في النصف الثاني من القرن الماضي، وتقوم بلدية نابلس بتوفير خدمات تصريف مياه الصرف الصحي لمدينة نابلس، وأربعة مخيمات، كما تقوم بربط العديد من القرى بشبكة الصرف الصحي للمدينة، ويشمل ذلك روجيب، وكفر قليل، وزواتا، وبيت وزن، وبيت ايبا، ودير شرف. وقد تم إنشاء وتشغيل محطة تنقية المياه العادمة الغربية بين عامي ٢٠٠٨م و٢٠١٣م، ويستفيد حالياً من خدمة معالجة المياه العادمة، إضافة لمدينة نابلس قرى دير شرف، وبيت وزن، وزواتا، وبيت ايبا.

ويعمل نظام الصرف الصحي في نابلس بالانسياب وفق الجاذبية الأرضية حيث تنساب المياه العادمة من خطوط الصرف الصحي الفرعية إلى الخطوط الرئيسية في كل منطقة. وتتراوح أقطار شبكة الصرف الصحي بين ٨ وحتى ٥٦ بوصة. وفي البلدة القديمة، فإن الخطوط الرئيسية، لشبكة الصرف الصحي، هي عبارة عن عَبَّارات رومانية قديمة مربعة الشكل، وأنواع المواسير المستخدمة والقائمة لشبكة الصرف الصحي من البلاستيك أو الباطون. ويبلغ طول شبكة الصرف الصحي حوالي ٢٢٥ كم، ويشمل ذلك الخطوط الناقلة، وتغطي شبكة الصرف الصحي حوالي ٩٧٪ من السكان داخل حدود المخطط الهيكلي لمدينة نابلس، وتتابع البلدية حالياً الخطة الشاملة لنظام الصرف الصحي، وتصريف مياه الأمطار في مدينة نابلس، وذلك بتنفيذ عدد من المشاريع؛ لتعزيز وخدمة المناطق التطويرية، وإعادة تأهيل الخطوط.

وتتصرف المياه العادمة، من شبكات الصرف الصحي، في مدينة نابلس، إلى وادي الساجور شرقاً، ووادي التفاح (الزومر) غرباً. ويقطن حوالي ٥٥٪ من السكان في

الجهة الغربية من المدينة، ويتم معالجة المياه العادمة المنسابة إلى الجهة الغربية في محطة تنقية المياه العادمة الغربية، أما الجهة الشرقية فهي تنساب عبر وادي الساجور وتصل إلى وادي البادان، ويتم حالياً العمل على إنشاء محطة تنقية المياه العادمة الشرقية.

تنقية المياه العادمة

ضمن توجهات بلدية نابلس للحفاظ على البيئة فقد بُذلت جُهود، مضنية منذ بداية التسعينيات لإقامة محطتين لتنقية للمياه العادمة؛ محطة غربية تقع في أراضي دير شرف، وأخرى شرقية تقع في أراضي عزموط، وقد عمدت البلدية لشراء الأراضي اللازمة لإقامة محطتي التنقية في عام ١٩٩٨م، وذلك لإنشائهما وتنفيذهما ضمن منحة من حكومة ألمانيا الإتحادية، ومن خلال بنك التنمية والإعمار الألماني KfW. تهدف محطات التنقية في نابلس إلى:

١. إزالة مكرهة صحية إمتدت عشرات السنين، والحد من إنتشار الروائح الكريهه والأوبئة الناتجة عن تدفق مياه الصرف الصحي المكشوفة على إمتداد وادي الزومر غرباً ووادي الساجور شرقاً.

٢. حماية مصادر المياه السطحية والينابيع من التلوث.

٣. إستخدام المياه المعالجة في الزراعة، وبالتالي زيادة كميات المياه المتوفرة الصالحة للشرب.

٤. منع المزارعين من إستخدام مياه الصرف الصحي غير المعالجة في الزراعة؛ حفاظاً على الصحة العامة.

وقد تم تنفيذ المشروع الإستراتيجي، لمحطة التنقية الغربية من خلال شركة ألمانية؛ إئتلاف باسفنت روديجير، وبإشراف الشركة الإستشارية الألمانية لاماير مع مكتب الحجاوي الهندسي، بتمويل من حكومة ألمانيا بقيمة ٤٠ مليون يورو بالإضافة إلى مساهمة بلدية نابلس في تمويل شراء الأراضي اللازمة بمبلغ ١,٥ مليون دينار أردني، وكذلك توفير الطواقم الفنية لإدارة وتنفيذ وتشغيل المحطة.

بدأت أعمال إنشاء محطة تنقية المياه العادمة الغربية في العام ٢٠٠٨م، وبوشر بتشغيلها في تموز ٢٠١٣م، وذلك بمساعدة فنية من الجانب الألماني لتأهيل طواقم تشغيل المحطة، والبالغ عددهم حوالي ٢٠ موظفاً. وتبلغ كميات المياه المعالجة حالياً

١٠ آالالف مترمكعب يومياً، علماً بأن قدرتها الإستيعابية تصل إلى ١٤ الف مترمكعب يومياً، وأن مياه الصرف الصحي المعالجة تمتاز بمواصفات عالية الجودة مقارنه بمتطلبات سلطة المياه الفلسطينية ووزارة الزراعة الفلسطينية. واشتمل مشروع محطة التنقية الغربية على:

١. محطة تنقية تخدم ١٥٠ ألف شخص حتى عام ٢٠٢٠م، وهم يقطنون غرب مدينة نابلس، وقرى بيت وزن، وزواتا، وبيت ايبا، وقوصين، ودير شرف.

٢. مجرى بطول ١٢ كم امتد من شارع تونس في مدينة نابلس، وحتى موقع محطة التنقية.

٣. خزان لمعالجة وتصريف مياه الأمطار يقع في اراضي بيت ايبا.

٤. وحدات معالجة في المصانع لمعالجة مياه الصرف الصحي لصناعات الطحينية، ومناشير الحجر، والجينز، الخ.

الشكل (١٠) المرفق صورة لمحطة التنقية الغربية. وسيستفاد من المياه المعالجة والمستصلحة في زراعة أكثر من ٣ ألاف دونم، وسيتم تنفيذ مشاريع إعادة الاستخدام بتمويل من الحكومة الألمانية، وتشمل مشروع ري داخل حدود محطة التنقية بمساحة ٤٠ دونماً، مشروع ري خارج محطة التنقية بمساحة ١٢٠ دونماً، ومشروع زراعة ٣٠٠٠ دونم حيث تم عمل الدراسة التقيمية لذلك، وتم تمويل هذا المشروع من الحكومة الألمانية بمبلغ ١٠ ملايين يورو. وهنالك مشروع آخر تجريبي تم تنفيذه بتمويل من الوكالة الأمريكية للمساعدات الدولية (USAID) لري ما مساحته ٢٠٠ دونماً. وقد تمَّ ضمن مشروع محطة التنقية الغربية، إنشاء شبكات صرف صحي تطويرية بطول حوالي ٧ كم للحد من انسياب وتسرب مياه الصرف الصحي إلى وادي التفاح، وبالتالي حماية بيئة الوادي وايقاف تلوثه.

ويعالج مشروع محطة التنقية الشرقية مياه الصرف الصحي للمنطقة الشرقية لمدينة نابلس بما فيها مخيمات بلاطة، وعسكر، وقرى روجيب، وكفر قليل، وبيت فوريك، وسالم، وعزموط، ودير الحطب. وقد تم رصد التمويل اللازم للمشروع كمنحة بتمويل مشترك من الحكومة الألمانية والإتحاد الأوروبي بقيمة ٤٠ مليون يورو، وبمساهمة من بلدية نابلس بمبلغ ٣ملايين يورو؛ لتمويل توفير الأرض لإنشاء المحطة، يشتمل مشروع محطة التنقية الشرقية على:

١. محطة تنقية لمعالجة مياه الصرف الصحي بقدرة إستيعابية تصل إلى ١٤ الف مترمكعب يومياً حتى عام ٢٠٣٠م.

٢. خطوط صرف صحي رئيسية لخدمة المناطق الشرقية.

٣. تنفيذ شبكات الصرف الصحي لقرى سالم، وعزموط، ودير الحطب، وبيت فوريك وربطها بمحطة التنقية.

٤. وحدات معالجة في المصانع لمعالجة مياه الصرف الصحي لصناعة الطحينية، ومناشير الحجر، والجينز والالبان، إلخ.

وقد تم التعاقد مع شركة إستشارية؛ تآلف دالم، وشركة CDM، ومع مكاتب إستشارية محلية، لإعداد التصاميم ومتابعة تنفيذ المشروع، علماً بأن فترة إنجاز المشروع قد تمتد إلى ثلاث سنوات أخرى. وسيوفر مشروع محطة التنقية الشرقية المياه الصالحة للزراعة، في سهل سالم، وبيت دجن، وبيت فوريك وعزموط ويمكن المزارعين من الإستفادة من المياه المعالجة وإستغلال أراضيهم وتحسين دخلهم المادي ورفع مستوى معيشتهم.

ويعتبر مشروعي الصرف الصحي، ومحطتا معالجة المياه العادمة في نابلس من المشاريع الرائدة بما لها من أهمية كبيرة في المحافظة على البيئة، والصحة العامة للمواطنين، وكذلك توفير فرص عمل كثيرة، حيث كانت الألولوية في توظيف العمالة للمواطنين في القرى المحيطة بالمشروعين.

دائرة المياه والصرف الصحي

تعدُّ دائرة المياه والصرف الصحي، في بلدية نابلس، إحدى الدوائر الحيوية في بلدية نابلس، وتشرف على توفير المياه النقية الصالحة للشرب لمدينة نابلس ومخيماتها الأربعة، بالإضافة إلى بعض القرى المحيطة بالمدينة، وكذلك توفير خدمات الصرف الصحي، ومعالجة المياه العادمة للمدينة، والقرى المحيطة، وذلك بكفاءة عالية، ومميزه معززين بذلك دور الدائرة في خدمة المواطن والمجتمع، يعمل في دائرة المياه والصرف الصحي، كادر مؤهل مكون من حوالي ٣١٠ موظف من ضمنهم حوالي ٣٠ مهندساً موزعين في ثلاثة أقسام رئيسية مسؤولة عن تقديم خدمات التزود بالمياه والصرف الصحي. وفيما يلي أبرز الاهداف الاستراتيجية لدائرة المياه والصرف الصحي:

- تنمية الموارد المائية، وحمايتها، والمحافظة عليها لضمان استمرارها، وضمان توفير إمدادات مياه مستقبلية.
- تحسين مستوى إمدادات المياه، وخدمات الصرف الصحي للمستهلك.
- تزويد المياه للقرى المجاورة على أساس اتفاقية التبادلية الموقعة مع سلطة المياه الفلسطينية.
- ترشيد استهلاك الكهرباء لمحطات الضخ والمصاريف المختلفة، من خلال إحصاءها، ودراستها، وتفصيلها.
- الحفاظ على مستوى منخفض من الفاقد، وكذلك تقليله ما أمكن إلى أقل من ٢٥٪ كهدف متوسط.
- الاستمرار في تأهيل المهندسين، والموظفين، والعاملين، والعمال، وإيجاد نظام تقييمي.
- الموازنة بين العرض والطلب على المياه لضمان حصول المواطنين على حصة عادلة من كمية المياه المتوافرة.
- التقيد الدائم بمعايير نوعية المياه وجودتها.
- وضع وتحديث الخطط لتزويد المياه للمواطنين بكفاءة عالية.
- وضع خطة شاملة لإدارة مياه الصرف الصحي، والصناعي، والزراعي، وجمعها، ومعالجتها، وإعادة إستخدامها.

وقد أسهمت المشاريع التي قامت بها دائرة المياه والصرف الصحي، في الفترة من ١٩٩٤م وحتى ١٩٩٧م في تخفيض العجز المائي لمدينة نابلس من ٣,٧٧ إلى ٢,٤٦ مليون متر مكعب سنويا.

لم يكن لدى دائرة المياه والصرف الصحي مخططات متكاملة لشبكة المياه والصرف الصحي، حيث إن أجزاءاً محدودة من الشبكة كانت موثقةً على الكمبيوتر، والباقي على شكل مخططات ورقية قديمة يصعب قراءتها، والقسم الأكبر من الشبكة كان غير موثق، وإنما في ذاكرة بعض الموظفين، وفي العام ٢٠٠٦م وبتمويل من الحكومة الألمانية، باشر المجلس البلدي بإتمام حوسبة شبكة مياه مدينة نابلس، وقد أدى ذلك إلى رفع كفاءة خدمات التزود بالمياه والصرف الصحي، كما أدى

ايضاً إلى تسهيل أعمال الدراسات، وإعداد الخطط التطويرية، وتفعيل أعمال صيانة الخطوط، وتقليل الفاقد، خاصة بعد أن تم حوسبة الشبكة ضمن بيئة نظم المعلومات الجغرافية GIS.

مشروع خفض الفاقد

قامت البلدية، في العام ٢٠٠٧م، وبتمويل من الحكومة الألمانية، بتنفيذ المرحلة الأولى من مشروع خفض الفاقد، واشتملت هذه المرحلة على استبدال خط دير شرف القديم قطر ٨ بوصة، واستبدال شبكة مياه منطقة رفيديا بالكامل (خطوط مياه رئيسية، خطوط توزيع، ووصلات منزلية) بطول كلي حوالي ٤١,٥ كم، وتم انشاء خزاني مياه بحجم خزان ألف متر مكعب لكل منهما، وهما خزان كمال جنبلاط، وخزان طقطق.

في العام ٢٠٠٩م، بدأت المرحلة الثانية من مشروع خفض الفاقد، حيث هدف المشروع إلى خفض الفاقد في شبكات المياه، وتحقيق العدالة في التوزيع، وتحسين جودة المياه، وتقليل تكاليف ضخ المياه. وقد اشتمل المشروع على استحداث مناطق ضغط أو مناطق توزيع (الشكل ٩ المرفق)، وتمديد خطوط مياه في كافة أنحاء المدينة بطول حوالي ١١٠ كم، وتم إنشاء ثلاثة خزانات وتوريد وتركيب ٦٥ مضخة. ومن أبرز مخرجات المشروع إنشاء نظام سكادا (SCADA) وهو نظام لمراقبة والتحكم بتوزيع المياه. ومشروع خفض الفاقد مستمر حتى تاريخ إعداد هذه الوثيقة، حيث يتم حاليا تنفيذ المرحلة الأخيرة من المشروع، التي تشتمل على تمديد خطوط مياه وتركيب مضخات وتطوير نظام المراقبة والتحكم.

في العام ٢٠١٧م، وبسبب أزمة المياه الخانقة التي مرت بها مدينة نابلس، بعد تعطل أحد الآبار الرئيسية، عمد المجلس البلدي إلى شراء مياه من آبار خاصة في منطقة الفارعة، حيث أنه وحتى تاريخه، تم توقيع أربع اتفاقيات مع أصحاب آبار زراعية في منطقة سهل سميط؛ للتزود بالمياه في فصل الصيف، ومع توقيع الاتفاقية قامت بلدية نابلس بطرح عطاء لمشروع شريان الحياة لاستبدال خط البادان الناقل بين بئر البادان، ومدينة نابلس بقطر أكبر، وذلك من أجل استيعاب كميات مياه إضافية تصل إلى ما يزيد عن ١٠٠٠م٣/الساعة، وذلك لسد الاحتياجات المائية المتزايدة للمواطنين.

شكر وتقدير

هناك عدد كبير من المؤسسات، والدول المانحة، الذين قاموا بدعم وتمويل تنفيذ العديد من مشاريع المياه، والصرف الصحي في نابلس، وشمل ذلك إعداد دراسات، ورفع قدرات الطواقم العاملة، وذلك بهدف تطوير، وتحسين خدمات المياه والصرف الصحي المقدمة للمواطنين.

وإننا إذ نرفع شكر بلدية نابلس وأهالي مدينة نابلس وتقديرهم للقائمين على هذه المؤسسات، وللحكومات والمواطنين في هذه الدول، نذكر منها: وزارة التعاون الالمانية BMZ، وبنك التنمية الالماني KfW، والتعاون الالماني الدولي GIZ، وبنك التنمية الاسلامي، والصندوق العربي الكويتي، والوكالة اليابانية للتعاون الدولي JICA، ومجتمعات عالمية CHF) سابقا(، والوكالة الامريكية للتنمية الدولية USAID، ووكالة الغوث الدولية UN، والمؤسسة الامريكية لاغاثة اللاجئين ANERA، واليونيسكو، ووزارة الحكم المحلي، وسلطة المياه الفلسطينية، وصندوق تطوير واقراض البلديات، واتحاد مقدمي خدمات المياه، وغيرها.

المراجع

١. أرشيف مكتبة بلدية نابلس (٢٠١٩م). بلدية نابلس، نابلس، فلسطين.

٢. اسعد اللقيمي (١٧٣٠م). سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس، عام ١٧٣٠م.

٣. المقدسي البشاري المتوفى سنة ٩٩٠م، كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.

٤. أمجد عليوي، عماد المصري، وكليمنس مسرشمد (٢٠١٥م). ينابيع نابلس شريان حياة عبر التاريخ، دار المياه والبيئة، رام الله، فلسطين.

٥. راغب السرجاني (٢٠٠٨م). فلسطين في العصر البرونزي القديم، سلسلة من التحقيقات التاريخية المتلفزة.

٦. شيخ الربوة الدمشقي (١٨٦٤م). كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر صفحة ٢٠٠.

٧. عبد الرحيم الحنبلي (٢٠١٢م). نابلس دمشق الصغرى، مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٣ تشرين اول، ٢٠١٢م.

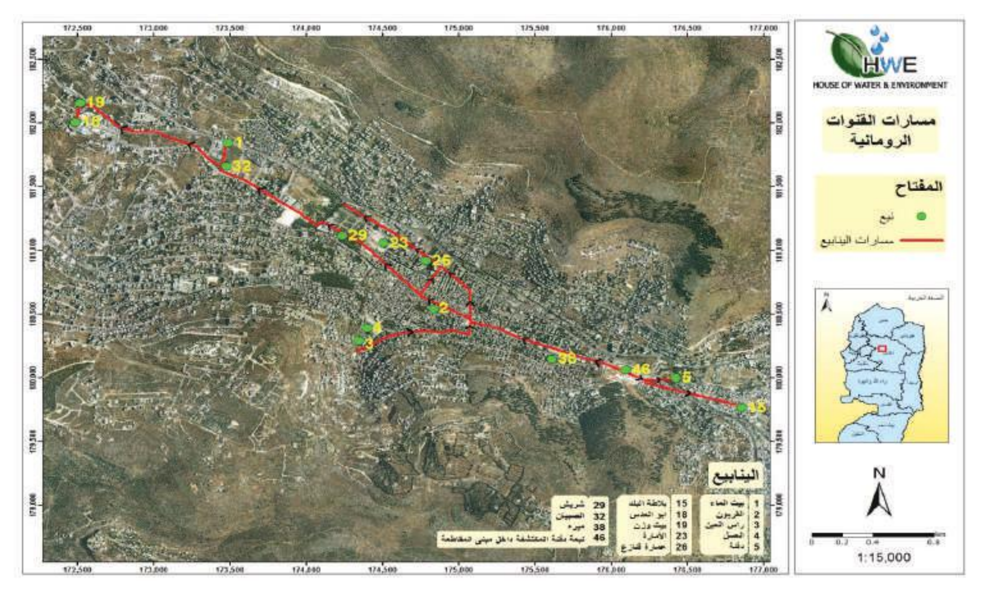
٨. مجير الدين الحنبلي (١٥٢٢م). كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.

9. HWE (2010). Protection of Nablus Springs, Final Report, House of Water and Environment (HWE) and Nablus Municipality, 232 pp.

10. Valentine L. (1893). Palestine: Past and Present, Pictorial and Descriptive, Fredreick Warne, London and New York, 435 pp.



الشكل (١): مدينة نابلس بريشة الرحالة ويلسون عام ١٨٨٢م



الشكل (٢): مسارات القنوات الرومانية



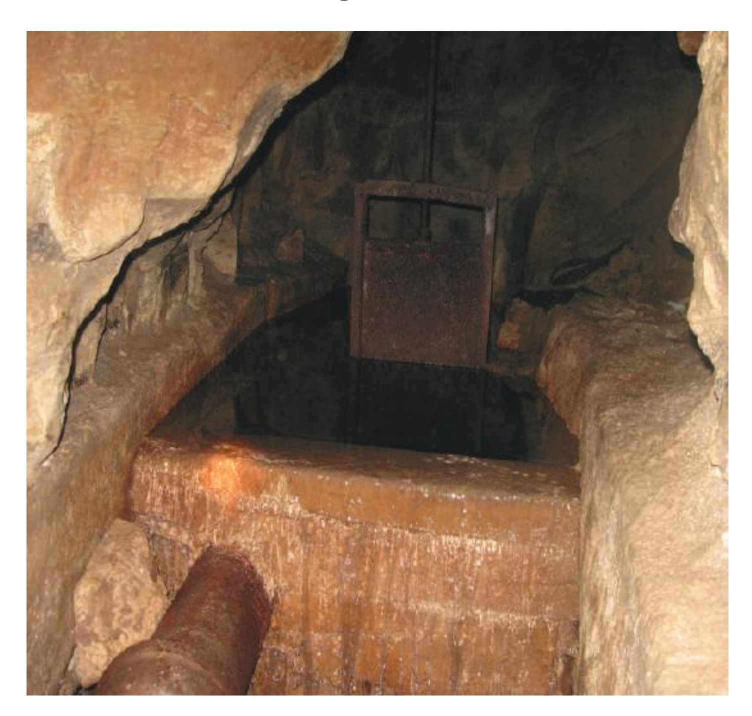
الشكل (٣): مسار القناة الرومانية من عين دفنة حتى موقع مدرسة ظافر المصري



الشكل (٤): سبيل عين حسين أمام مسجد البيك في البلدة القديمة (١٩٤٧م)



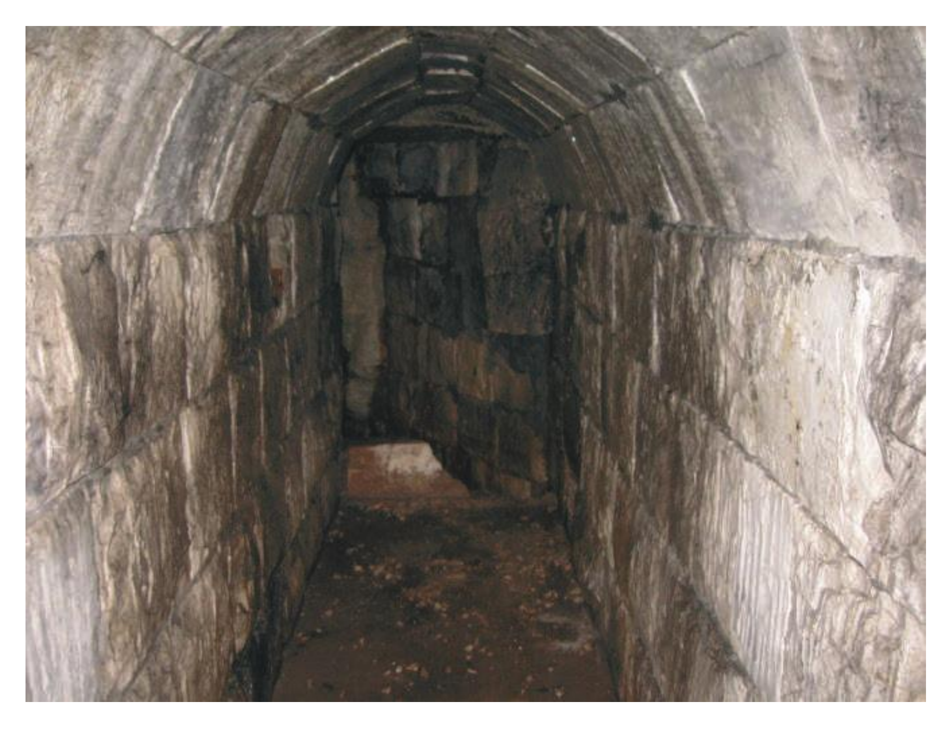
الشكل (٥): موقع بئر أودلة



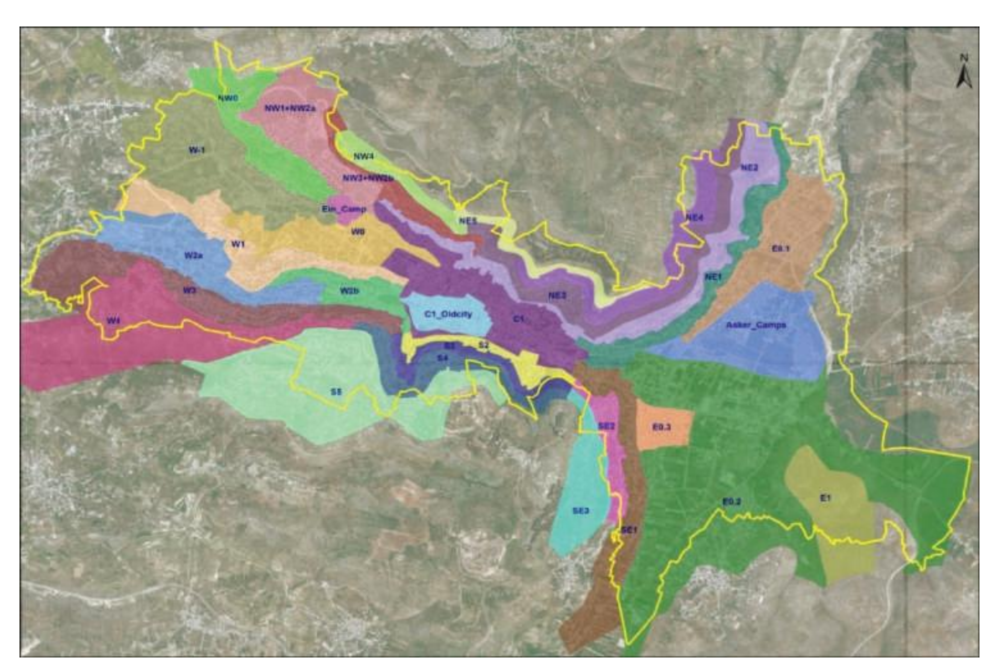
الشكل (٦): نبع القريون



الشكل (٧): نبع رأس العين



الشكل (٨): نبع عين العسل



الشكل (٩): حدود مناطق التوزيع او مناطق الضغط في مدينة نابلس



الشكل (١٠): محطة تنقية المياه العادمة الغربية

دور بلدية نابلس في رعاية الجوانب الصحية والمسلخ خلال الفترة (١٨٩٠م – ١٩٤٨م)

غسان دويكات[١]

مقدمة

كانت أول مهمة أُنيطت بمجلس بلدية نابلس، كغيرها من البلديات، في مرسوم التأسيس الذي وجهه متصرف لواء البلقاء، إلى محمد تفاحة الحسيني أول رئيس لبلدية نابلس هي؛ "... استكمال وسائل طهارة البلدة ونظافتها .."[٢]، وقد جاء تكليف رئيس البلدية بهذه المهمة انعكاساً لواقع صحي سيء كان سائداً، وهو ما أكدته مصادر عديدة[٣]، فكانت المهمة الأولى استجابة لحاجة ملحة آنذاك.

من هنا جاء هذا البحث لتوضيح ورصد دور بلدية نابلس أثناء تقديم خدماتها في الجوانب الصحية، والقيام على المسلخ، خلال العهدين العثماني والبريطاني حصرا، ويوضح كيف سعت البلدية لضمان استمرارية هذه الخدمات، حتى أثناء الحروب العالميتين الأولى، والثانية، وحرب فلسطين عام (١٩٤٨م).

يتكون البحث من قسمين؛ الأول وهو خمسة محاور، تبين دور البلدية في الوقاية من الأمراض لمنع وقوعها، ودورها في علاجها عند وقوعها، والرقابة على الأغذية، وكيف حافظت عليها، وفي مجال الصحة العامة، وكيفية محاولتها جعل البيئة الطبيعية أكثر ملائمة للصحة، كما تحدث عن دورها عند وقوع العوارض الطبيعية، والكيفية التي تعاملت فيها البلدية لمعالجة آثار ونتائج هذه العوارض.

تكّون القسم الثاني من عشرة محاور؛ تبين المسلخ في العهدين العثماني والبريطاني ودوره كجزء من البلدية، كما يعرفنا هذا القسم على عملية بناء المسلخ من البداية حتى النهاية بما فيها عمليات التصليحات التي تمت لاحقا بسبب الخراب الناتج عن صعوبة العمل فيه، وعلى كادره المهني، وآلية العمل فيه، كما يبين دور المسلخ خارج المسلخ نفسه من خلال عمليات التفتيش، ثم يكشف لنا هذا

(١) باحث في التاريخ

(٢) النمر، تاريخ، ج ٣، ص ٢٦.

(٣) الراميني، نابلس، ص ١٧٨.

القسم بعض جوانب وآثار حرب عام (١٩٤٨م) ذات العلاقة بموضوع البحث نفسه، وأخيرا يكشف لنا نهاية العمل فيه ومبرراتها وسعي البلدية لبناء مسلخ أحدث وأوسع وأبعد قليلاً.

تم الاعتماد على منهجية جمع البيانات، وتحليلها، وتقديم وصف تاريخي متسلسل للموضوع، بالاعتماد على مجموعة مصادر أولية من الوثائق والمطبوعات، وعلى رأسها سجلات أرشيف بلدية نابلس المودعة في مكتبة بلدية نابلس، بالإضافة لعدد من المراجع ورسائل الماجستير، والجولات الميدانية والمقابلات الشخصية.

تشتمل هوامش البحث على عدد من الرموز هي؛ س: سجلات أرشيف بلدية نابلس العثمانية والبريطانية. ص: رقم الصفحة. ق: رقم قرار مجلس البلدية. أما الكلمات المفتاحية فهي؛ نابلس، عثماني، بريطاني، صحة، مستشفى، مسلخ، لحوم، قصاب.

الجانب البشري الوقائي

أولت البلدية الجانب الصحي أهمية كبيرة خلال العهد العثماني؛ فكانت تدعو للنظافة العامة، والاهتمام بالصحة الشخصية، وكانت تعاقب بالغرامة كل من يخالف تعليماتها بخصوص الصحة العامة[٤]، كما لجأت لاتخاذ عدة إجراءات عند وقوع الأوبئة في نابلس وقراها، بهدف منع انتشارها؛ فمثلاً عندما وقعت الكوليرا في الشام سنة (١٩١١م)، زادت البلدية عدد عمال النظافة بهدف منع تراكم النفايات، وتركها لوقت طويل[٥]، وعندما وصلت إلى حيفا ويافا غطت عيون الماء المكشوفة بالشوادر وعالجت المكان بالمواد المطهرة[٦].

كما أنشأت، في العام (١٩١٣م)، وعلى نفقتها، وبناء على تقرير مأمور التطعيم، عيادة عند عين الست لتطعيم الأولاد ضد الجدري مدة ثلاث أشهر في السنة[٧]، كما استأجرت دكان فؤاد التميمي بمبلغ (٨٨) قرشاً في الخان الجديد لنفس الغاية[٨].

كما استأجرت، في العام (١٩١٤م)، دكان أمين عرفات الواقعة في بسوق الخان الجديد، لمدة ثلاثة أشهر تبدأ من (١٤/٣ - ١٤/٦) من نفس العام، مقابل أجرة

(٤) خاطر، الأوضاع، ص ١٠.

(٥) س٢٧/٧، ص ٢٥٥، ٢١٢، ق ٨٨٧، ١٠٩٨، سنة ١٩١١م.

(٦) س٢٧/٧، ص ٢٢٤، ق ٩٤٠، سنة ١٩١١م.

(٧) س٢٧/٩، ص ٣٦، ق ١٤٣، سنة ١٩١٣م.

(٨) س٢٧/٩، ص ٥٠، ق ٢١٨، سنة ١٩١٣م.

بلغت (٨٨) قرشاً و(٣٠) بارة، وذلك للقيام بعملية تطعيم الأطفال، ومهما يكن، فقد قررت البلدية لاحقاً البحث عن دكان دائم للتطعيم، وأوكلت المهمة لأحد اعضاء المجلس هو الشيخ مطيع أفندي، وذلك بناء على طلب مأمور التطعيم حينها؛ محمد صابر[٩].

لقد تعدى دور البلدية حدود المدينة ليصل القرى المحيطة، والبلديات الاخرى، فقد قام مأمور التلقيح التابع للبلدية بتطعيم الاولاد وقائيا من مرض الجدري في خمسة وعشرين قرية من القرى التابعة لنابلس خلال السنوات بين (١٩٠٩م - ١٩١٣م)[١٠].

وقد جوبهت عمليات تطعيم الأطفال، في بداياته، وفي القرى، خصوصاً تمنعاً من قبل بعض الاهالي ومخاتير القرى، مما تسبب في تفشي المرض؛ فمثلا أفاد تقرير مأمور التطعيم انه قام بتطعيم ضد مرض الجدري لعشرين ولداً في قرية نصف جبيل، وذلك بالتعاون مع معلم المدرسة داوود، فيما تمنع مختار القرية وأمام مسجدها عن احضار بقية الاولاد والأهالي الذين يجب تطعيمهم، الامر الذي سبب في انتشار الجدري في القرية، وبناء عليه، طلب الطبيب مجازاتهم وفقاً للقانون، وقد تم اتخاذ قرار بتغريمهم بمبلغ (٢٥) قرشاً لكل منهم لصالح صندوق البلدية[١١]، وذلك بمقتضى أحكام المادة (٢٠) من قانون تلقيح الجدري، والمادة (٢٥٤) من قانون الخط الهمايوني[١٢].

وقد تكرر الامر ذاته في قرى كثيرة؛ ففي قرى بديا، والزاوية، وكفر ثلث تمنع المخاتير عن تطعيم الاولاد بالجدري، فتم تغريم كل واحد منهم بمبلغ (٢٥) قرشاً[١٣]، كما تمنع مخاتير قرى طوباس، وعقاباً عن التطعيم لنفس العلة، فتم تغريمهم بنفس المبلغ[١٤]، وفي قرى روجيب، وبلاطة تمنع المخاتير عن إجراء التطعيم، فغُرم كل واحدٍ منهم بمبلغ ريال مجيدي (يساوي٢٥) قرشاً آنذاك، وفي قرية بيتا الدير التحتاني رفض عشرون من الآباء تطعيم أولادهم، فتم تغريم كل واحد منهم بمبلغ ريال مجيدي، وحُول القرار لمسؤول الجندرمة - الشرطة - للتنفيذ[١٥].

(٩) خاطر، الأوضاع، ص ١٢.

(١٠) س٨/٢٧، ص ٢٠٩، ق ١٠٥٠، سنة ١٩١١م. س٦/٢٧، ص ١٦، ق ٦٩٨، سنة ١٩٠٩م. س ٩/٢٧، ص ١٢١، ق ٥٣٠، سنة ١٩١٣م.

(١١) س٩/٢٧، ص ٧٣، ق ٣٣٢، سنة ١٩١٣م.

(١٢) خاطر، الأوضاع، ص ١٢.

(١٣) س٩/٢٧، ص ١٢١-١٢٢، ق ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، سنة ١٩١٣م.

(١٤) س٩/٢٧، ص ١٨٢، ق ٧٨٩، سنة ١٩١٦م.

(١٥) س٥/٢٧، ص ١٥٧، ق ٥٣٨، سنة ١٩٠٩م. س٦/٢٧، ص ٧، ق ٦٧٢، سنة ١٩٠٩م.

تعاونت بلدية نابلس مع البلديات الاخرى في سبيل الوقاية من الأمراض والأوبئة؛ فعندما حصل نقص في حُقن التطعيم في بلدية جنين في العام (١٨٩٠م) قامت بشراء (٨٤) حقنة تطعيم بمبلغ (٤٢) ريالاً مجيدي من بلدية نابلس[١٦].

ولم يقف دور بلدية نابلس عند بيع حقن التطعيم فقط، بل تعدى ذلك لتقوم بتقديم الحُقن للبلديات الاخرى مجاناً، وعلى نفقة صندوقها؛ فمثلا في العام (١٩٠٨م)، وفي مراسلات موجهه لبلدية نابلس، أفاد مأمور التطعيم في جنين أن داء الجدري منتشر في قرية قفين، ولا يتوافر العلاج لدى بلدية جنين، فقامت بلدية نابلس بشراء حقن التطعيم من صندوقها من حبيب سالم وهو أحد الأطباء في جنين بمبلغ (١٥٢) قرشاً وإرسالها إلى قفين[١٧].

استمرت البلدية بتقديم خدماتها في مجال الصحة في عهد الاحتلال البريطاني، وتولت رعاية الشؤون الصحية للسكان والمدينة، وإذ أصدرت إدارة الاحتلال البريطاني قوانين عديدة، في المجال الصحي وغيره، فقد فُرض بالضرورة العمل المشترك بين الإدارة البريطانية وبلدية نابلس، التي كانت تنفذ التعليمات واللوائح؛ فعملت البلدية على مكافحة الأمراض، وحثت الأهالي على تنظيف وتعقيم الأحواض والآبار وبراميل مياه الصرف الصحي الموجودة بالبساتين لمرة واحدة أسبوعياً، وقد عينت الطبيب سعيد علي و"الباش ملاحظ" صليباً غتيت لمتابعة هذه الاعمال، وحررت المخالفات ضد المخالفين[١٨].

وقد ساعدت البلدية في علاج الفقراء والمعوزين، والتزمت بذلك حتى أواخر العهد البريطاني، وكانت خدماتها، في هذا السياق، تشتمل على ثلاثة إتجاهات، أولاً؛ إعطاء توصيات مطبوعة ومختومة بختم البلدية بالعلاج المجاني، أو الجزئي لذوي الأمراض الذين يتطلب علاجهم السفر خارج نابلس، فمثلاً؛ أرسلت البلدية كتاب توصية إلى مستشفى الكسحاء في القدس لعلاج ابنة مختار قرية كفر قاسم وديع ابو دية البالغة من العمر (١٦) عام لعلاجها وتخفيض قيمة علاجها[١٩].

الاتجاه الثاني؛ إرسال الفقراء والمعوزين للعلاج على نفقتها للمشافي خارج نابلس، فقد أرسلت رفيق بليبلة للعلاج في المستشفى الألماني يوم (٦ تشرين اول ١٩٣٦م) وأرسلت معه توصية لإيوائه وعلاجه وإرسال مبلغ التكاليف إلى البلدية، وقد بلغت

(١٦) س٢٧/١، ص ٥٦، ق ٣٤٣، سنة ١٨٩٠م.

(١٧) س٢٧/٤، ص ١٣٢، ق ٣٣٩، سنة ١٩٠٨م.

(١٨) خاطر، الأوضاع، ص ٢٥.

(١٩) س٣٧/٨، ص١١، ١٩٤٠/٧/٢٥م. س٣٧/٨، ص ٦١، ١٩٤٥م.

التكاليف (٧) جنيهات فلسطينية و(١٠٠) مل دفعتها بلدية نابلس لحساب المشفى الألماني في بنك باركليز[٢٠].

أما الإتجاه الثالث؛ فهو حث المشافي، خارج مدينة نابلس، على تخفيض تكاليف العلاج للفقراء الذين ترسلهم البلدية، واستجابة لذلك؛ قام المستشفى الألماني في القدس بخفض رسوم علاج الفقراء الذين ترسلهم بلدية نابلس بمقدار (١٥٠) مل[٢١].

وتزخر ملفات المستشفى الوطني، وسجلات البلدية المودعة في أرشيف مكتبة البلدية، بمئات الإسترحامات والتوصيات والقرارات التي تدلل على ذلك. فمثلا في الأعوام بين (١٩٣٦م- ١٩٣٩م) قُدم للبلدية حوالي (٦٠) طلب استرحام، ومطالبات للعلاج المجاني بسبب الفقر؛ تكفلت البلدية بحوالي (٤٠) حالة منها على نفقتها وذلك بعد دراسة كل حالة على حدة، وثبوت عدم المقدرة المالية والصحية، كما عالجت، على نفقتها، أيضاً خلال الأعوام (١٩٣٩م- ١٩٤٥م) حوالي (٥٠) حالة من أصل (٩٠) طلباً للعلاج قُدم لها.

كما يلاحظ أن تقديم العلاج المجاني لم يقتصر على العلاج بالمستشفى الوطني فقط؛ فقد التزمت البلدية بما تقتضيه الضرورة الطبية لكل مريض؛ فقد تكفلت بعلاج فقراء من نابلس في المستشفى الألماني والكسحاء في القدس، والانجليزي في نابلس، وفي مشافي العاصمة اسطنبول آنذاك[٢٢].

وتطبيقاً للقوانين والمعايير الصحية الموضوعة نظمت البلدية المهن والحِرَف كافة في المدينة بإعطاء الرخص اللازمة، ويظهر من ملفات أرشيفها أنها بدأت تعطي رخصة مزاولة مهنة في بداية العشرينيات مع بدايات الاحتلال البريطاني، وبالتنسيق مع رئيس صحة لواء السامرة[٢٣]، وذلك أمر يشير لتقلص صلاحيات البلدية، وعدم إمكانية تجاوز سلطة الاحتلال البريطاني الجديد.

فمنذ صيف عام (١٩٢٤م)، كان طبيب البلدية يقوم بالتأكد من المعايير الصحية لكل مهنة، ثم يقوم بمنح الرخصة[٢٤]، ففي آب، وأيلول، وتشرين الأول، من ذلك العام، نلاحظ العدد الكبير من الرخص الممنوحة لمزاولة المهنة، والعدد الكبير أيضا للرافضين للالتزام بها، كما نلاحظ إصرار البلدية على ضرورة التقيد بالمعايير

(٢٠) س٧/٣٧، ص ١، ١٩٣٨/٦/١٠م.

(٢١) س٧/٣٧، ص ٣، ١٩٣٦/١/٦م.

(٢٢) س٧/٣٧، ص ١٢، ١٩٣٨/٥/٢٤م. س٧/٢٧، ص ٢٤٣، ق ١٠٣٦، سنة ١٩١١م.

(٢٣) س٢٥/٢/٢٣، ص ٢٧، ١٩٢٣/١١/٧م. ص ٣، ١٩٢٣/٧/٢٥م.

(٢٤) س٢٧/٢/٢٣، ص ٤-١٢، ١٦-١٩٢٤/٤/٢٨م.

الصحية، فكانت في البداية تعّرف أصحاب المهن بالمعايير والقوانين اللازمة لمهنتهم، ثم تمنحهم الرخص، ثم ترفع الدعاوي على المخالفين، ومن خلال تقارير موقعة من الطبيب جميل طقطق آنذاك(٢٥).

وبكل الأحوال فقد أرسلت البلدية من يقوم بجولات تفتيشية على الأسواق للتأكد من صلاحية الرخص الممنوحة، ومن توفر الشروط الصحية، وخاصة رخص كل ما يتعلق بالمواد الغذائية(٢٦)، وقد بلغ عدد الرخص الممنوحة والمجددة خلال شهري آب وأيلول عام (١٩٢٤م) حوالي (٤٢٣) رخصة فقط(٢٧)، فيما بلغ عدد المخالفين للرخصة لشهر أيلول وتشرين أول لنفس العام حوالي (٧٨) شخصاً(٢٨).

الجانب البشري العلاجي

حتى بدايات القرن العشرين، كان الطب السائد والمتعارف عليه في نابلس، وغيرها من مدن الدولة العثمانية، هو الطب الشعبي المأخوذ عن كتب الطب القديمة، ويُذكر أن أول طبيب حمل شهادة الطب تواجد في نابلس كان في العام (١٨٨٤م) اسمه سركيس، وكان يعمل موظفاً لدى الحكومة العثمانية لصالح بلدية نابلس، فيما كان هناك أطباء محليون عُرفوا بالأسطوات ممن يتعاطون الطب الشعبي المتوارث المستند إلى كتاب تذكرة داوود الانطاكي وغيره، ومن الخبرات المتراكمة، وقد وردت أسماء ثلاثة منهم؛ الاول ابو عاهد ابو غزالة، وكان له عيادة في السوق الشرقي الشمالي، فيها مقاعد لجلوس المرضى ورفوف عليها زجاجات العلاج، وحقن للشرج، وبعض الأدوات الجراحية، وأوان لصنع العلاجات، وكانت العيادة مقسومة بستارة من الخشب(٢٩).

والثاني راغب ابو غزالة فقد كانت له عيادة مشتركة مع أبي عاهد ابو غزالة، في حارة الغرب، في الطابق السفلي من أحد البيوت هناك، أما الثالث فهو عبد الله شقير الذي تعلم علي يد داوود شقير وهو مجند سابق بالجيش العثماني، ومارس الجراحة والختان وإعطاء بعض الوصفات الطبية التي يشتريها المريض من دكاكين العطارة، ويحضّر بعضها العطار نفسه(٣٠).

(٢٥) س٢٣/٢/٢٧، ص ١٦، ١٩٢٤/٤/٢٤م. ص ٩١-١٢٢، ٢/٩-١٩٢٤/١٠/٣١م.

(٢٦) س٢٣/٢/٢٧، ص ٢٦، ١٩٢٤/٧/٢٨م.

(٢٧) س٢٣/٢/٢٧، ص ٥٥-٧٨، ١٦/٨-١٩٢٤/٩/٦م.

(٢٨) س٢٣/٢/٢٧، ص ٩١-١٢٥، ٢/٩-١٩٢٤/١٠/٣١م.

(٢٩) النمر، تاريخ، ج٢، ٢ ٧٣. خاطر، الأوضاع، ص ١٣-١٤.

(٣٠) خاطر، الأوضاع، ص ١٣-١٤. الشنار، الطب، ص ١٤٥.

قاومت البلدية انتشار الأمراض بكل الطرق المتاحة؛ فعندما انتشر مرض الدسنطاريا في نابلس سنة (١٨٩٢م)، قامت البلدية بالبحث حول أسباب المرض، وقد تبين أن السبب، وفقاً لتقرير طبيب البلدية؛ هو أكل لحوم الأغنام الذكور والإناث من السمار والإناث من البياض، وبناء على ذلك، فقد أوعزت البلدية للقصابين بضرورة عدم ذبح هذه الأنواع الثلاثة، والاكتفاء بذبح البياض الذكور حفاظا على الصحة العامة، مع مراقبتها ذلك، وتغريم أي مخالف بجزاء نقدي وإتلاف الأغنام المذبوحة[٣١].

وتضمنت مخصصات البلدية، في جزء منها، تقديم العلاج المجاني للفقراء؛ فمثلا صرفت البلدية مبلغ (١١٦) قرشاً ثمن (٥٨) تذكرة علاج للفقراء خلال أربعة أشهر فقط في العام (١٩٠٩م)[٣٢]. كما تسجل لنا سجلات البلدية حادثة وقعت في العام (١٩١١م) تشير لمقدار الجدية التي تعاملت فيها البلدية في حالات تمس الصحة العامة، وقدمت المساعدة للفقراء؛ فقد ذُكر أن قطاً مصاباً بداء الكَلَب قد عض عدداً من الأشخاص في المدينة، واستدعى علاجهم نقلهم إلى استانبول، وكان من ضمنهم امرأتان من آل التيتي، وآل الدردوك فقيرتا الحال، فقامت البلدية بإعطاء كل واحدة منهن ليرة عثمانية لتأمين وصولهما للمستشفى هناك[٣٣].

اعترضت بلدية نابلس، عندما احتل الجيش البريطاني المستشفى الوطني، في نهاية الحرب العالمية الأولى، وعلى الإثر تشكلت لجنة برئاسة حاكم لواء نابلس، آنذاك، كيش روش، وعضوية رئيس البلدية سليمان طوقان، والحاج شافع عبد الهادي، للتباحث بالموضوع، وقد تم الاتفاق بالنهاية على تسليم المستشفى الوطني لدائرة الصحة، مقابل أن تدفع الحكومة أجرته للبلدية، وتنفيذ شرط البلدية القاضي بعلاج الفقراء الذين ترشحهم البلدية فقط[٣٤].

وقد بلغ عدد الأَسِّرةِ الموجودة فيه، في العام (١٩١٦م)، حوالي (٦٠) سريراً، فيما تعطل وصول (٣٠) سريراً بسبب أحوال الحرب العالمية الأولى، وكان تم شراؤها ودفع نصف ثمنها مسبقا[٣٥]، فيما بلغ عدد الأسرة عام (١٩٤٤م) (١١٩) سريراً، ثم تراجع عددها في العام (١٩٣٨م)[٣٦].

(٣١) س١/٢٧، ص ١٨، ق ٢٠٦، سنة ١٨٩٢م.

(٣٢) س٥/٢٧، ص ١٤٤، ق ٤٨٩، سنة ١٩٠٩م.

(٣٣) س٧/٢٧، ص ٢٤٣، ق ١٠٣٦، سنة ١٩١١م.

(٣٤) ابو عمشة، الحاج حماد، ص٢٥. ابو عمشة، المستشفى، ص ٣٥٨.

(٣٥) التميمي والكاتب، ولاية، ج١، ص ٩٨.

(٣٦) الدباغ، بلادنا، ج٢، ق ٢، ص ١٩٣.

وعلى أيّ حال، فقد كان للبلدية طبيبها الخاص آنذاك هو أيوب نجم الدين، الذي عينته يوم ١٦ حزيران من العام (١٩٠٩م)[٣٧]، كما عينت البلدية الحاجة راضية خانم قابلة للبلدية بنفس السنة[٣٨].

تزايد إقبال المرضى من مدينة نابلس، والقرى المجاورة، على المستشفى الوطني، بمرور الوقت وكان جُلهم من الذكور، وكان الإقبال عليه يدلل على مقدار الثقة بالطب الرسمي، وبداية تحول الناس عن الطب الشعبي، والجدول التالي يوضح التزايد في الإقبال عليه[٣٩]؛

أعداد المرضى الذين عولجوا في المستشفى الوطني خلال (٣٠) عام

العام	١٩٠٨م	١٩١٢م	١٩٣٨م	١٩٣٩م	١٩٤٠م	١٩٤١م
عدد المرضى	٤٧٤	٢٦٠٧	٢٢٧٣	٢٦٩٩	٢٦٩١	٢٨٣٥

لقد وقع العبء الأكبر على بلدية نابلس في تمويل المستشفى، فدفعت الحصة الأكبر عند بنائه، وقد مولت حصتها من خلال ثلاثة مصادر؛ الأول؛ ضريبة فرضتها على الغلال التي كانت تدخل المدينة، وقد ألغتها حكومة الاحتلال البريطاني لاحقا[٤٠]، الثاني؛ نصف رسوم الذبحية المفروضة على اللحامين، أما الثالث؛ فكان موارد وقفيات مختلفة في عدة مواقع من مدينة نابلس، وهي على النحو التالي[٤١]؛

وقفيات المستشفى الوطني في مدينة نابلس

موقع الوقفية	مقدارها واسمها	سنة الوقف
الوكالة الغربية	سهم واحد من (٣٠) سهم باسم أحمد هندية	١٣٤٢هـ/١٩٢٣م
حارة الغرب	(٧,٥) قيراط من دكان باسم عبد الله ابو ضهير	١٣٤٢هـ/١٩٢٣م
حارة الياسمينة	دار الشيخ فارس عبد المجيد والشيخ منيب النبلسي	١٣٤٤هـ/١٩٢٥م
حارة الياسمينة	دار شريف شعبان	١٣٤٦هـ/١٩٢٧م
حارة القريون	دكان بالسرايا القديم باسم محمد الأتيرة	١٣٥٨هـ/١٩٣٩م
حارة القريون	غرفتان من دار السلعوس	١٣٥٨هـ/١٩٣٩م
حارة الغرب	دكان واصف السامري	١٣٤٥هـ/١٩٢٦م

(٣٧) س٢٧/٥، ص ١١١، ق ٣٧٣، سنة ١٩٠٩م.
(٣٨) س٢٧/٥، ص ١٧٨، ق ٦٠٨، سنة ١٩٠٩م.
(٣٩) التميمي والكاتب، ولاية، ج١، ص ٩٩. الدباغ، بلادنا، ج٢، ق ٢، ص ١٩٣.
(٤٠) س٣٧/١، ص ٢، ١٩٤٤/١٠/١٤م. ٣٧/١، ص ٥٥، ١٩١٩/٦/١٦م. ابو عمشة، الحاج توفيق، ص ٢١.
(٤١) ابو عمشة، الحاج توفيق، ص ٢١. كلبونة، البيمارستانات، ص ٣٥١.

كما وقع على الأهالي عبء طوعي، ليس من خلال ما تبرع به صالح خريم لتأسيس المستشفى فقط، بل من سكان المدينة أنفسهم الذين أسهموا، من خلال تبرعاتهم، في توسعة المستشفى أكثر من مرة؛ فقد قامت البلدية في سنة (١٩٢٤م) بانتخاب لجنة لتنظيم هذه التبرعات، والإشراف عليها، تكونت من؛ توفيق حماد، وبدوي عاشور، ويوسف التميمي، وطاهر كمال، وعبد الحليم كنعان، وأديب النابلسي، وقد سُميت لجنة المستشفى الوطني، ومهمتها جمع التبرعات من الأهالي من أجل توسعة وتوفير مستلزمات المستشفى، وذلك بعد حصولهم على موافقة من حكومة الاحتلال البريطاني، وقد تولت هذه اللجنة، مع البلدية، مسؤولية الإدارة والإشراف على المستشفى[٤٢].

مقدار ضريبة الغلال لصالح صندوق المستشفى الوطني

نوع الحمل	العربة	الجمل	الخيل	البغل	الحمار
الضريبة بالقرش	١٠	٣,٥	٢	٢	١

ومهما يكن من أمر، فقد حافظت البلدية لاحقاً، في عهد الاحتلال البريطاني، على التزامها بتقديم مبلغ (٥٠٠) جنيه فلسطيني كإعانة سنوية للمستشفى الوطني، وإن كان هناك مطالبات لرفع قيمة المبلغ إلى (٧٠٠) جنيه[٤٣]، عدا عما تقدمه من مساعدات للفقراء والمعوزين في هذا المجال.

لقد كان إنشاء المستشفى الوطني إستجابة لمتطلبات ثلاث؛ الاول؛ التطور الطبيعي الحاصل على عدد السكان، وحاجة سكان المدينة والقرى لمشفى، الثاني؛ افتتاح أحد المبشرين الانجليز مستشفى في نابلس في العقد الاخير من القرن التاسع عشر، وتقديم العلاج مترافقاً مع التبشير للمذهب البروتستانتي، واتضح أن هذا أحد الاسباب الرئيسة وراء بناء مستشفى ذات طابع إسلامي وطني، وقد احترمت حكومة الاحتلال البريطاني هذا التوجه بكل الأحوال لدى المسلمين ولم تعارضه، الثالث؛ الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالكثيرين، وخاصة النساء والأطفال[٤٤].

(٤٢) س١/٣٧، ص ٢، ١٤/١٠/١٩٤٤م. س١/٣٧، ص ٥٥، ١٦/٦/١٩١٩م. النمر، تاريخ، ج٣، ص ٨٠.

(٤٣) س١/٣٧، ص٥٥، ٨/٧/١٩٣٢م.

(٤٤) التميمي والكاتب، ولاية، ج١، ص ٩٧، ١٢٧. ١/٣٧، ص ٥٥، ١٦/٦/١٩١٩م.

دور البلدية في الرقابة على مجال الأغذية

في سعيها للحفاظ على الجانب الصحي للأغذية بأنواعها أصدرت البلدية خلال العهد العثماني عدة تعليمات وقائية تحث على النظافة للباعة والعاملين من ذوي العلاقة بالغذاء بمختلف مجالاته فمثلا؛ في الأعوام (١٨٩٢م) و(١٩٠٨م) و(١٩١٣م) أوعزت للقصابين بضرورة تغطية اللحوم لحمايتها من الذباب والغبار، وعدم تعليقها خارج المحل، وبضرورة الذبح داخل المسلخ، وقد غرمت في العام (١٩٠٦م) أربعة قصابين قاموا بذبح الأغنام خارج المسلخ في الطريق العام بمبلغ (١٠) قروش لكل واحدٍ منهم، كما أوعزت إلى أصحاب محلات الحلويات بضرورة تغطية سلعهم، وألزمت أصحاب محلات شوي اللحوم بوضع مداخن عالية لصعود الدخان فيها، كما ألزمتهم جميعاً بضرورة تبييض الأواني النحاسية وتنظيفها[٤٥].

ولكون اللحوم مادة الغذاء الرئيسة، شددت البلدية الرقابة اليومية على القصابين لضمان عدم ذبح الأغنام الضعيفة والمريضة، وضبط تلك المذبوحة خارج المسلخ، وعدم بيع لحومها قبل معاينة الطبيب البيطري لها ودمغها كونها صالحة للأكل، فكانت الذبائح، التي تُضبط غير مدبوغة، تُصادر، ويتم إتلافها بالحرق ويُغرم صاحبها بجزاء نقدي[٤٦].

راقبت البلدية المطاعم، وتأكدت من نظافتها قبل إعطائها الرخصة، أو تجديدها[٤٧]، فيما اتخذت إجراءات بحق المخالفين لتعليماتها؛ فقد أنذرت خمسة من بياعين الفول، والحمص بضرورة تبييض أوانيهم النحاسية، وتبديل أكياس العمل المعلقة على خصورهم، وعند الفحص والتدقيق تبين عدم التزامهم بالتعليمات، فغرمت كل واحد منهم مبلغ (١٠) قروش لصالح صندوق البلدية[٤٨].

خضع الغذاء في السجن للفحوصات من قبل البلدية باستمرار؛ فعندما اكتشف مراقب البلدية عدم تطابق مواصفات الخبز المَورَد للسجن، قامت البلدية بتغريم متعهد توريد الخبر للسجن، وهو أسود عجة بمبلغ (١٠) قروش، وألزمته بضرورة إحضار رغيف واحد يومياً لدائرة البلدية من أجل فحصه ورؤيته[٤٩].

(٤٥) س٢٧/١، ص ٥، ق ١٦٤، سنة ١٨٩٢م. س٢٧/٤، ص ١٥٧، ق ٤١٠، سنة ١٩٠٨م.

(٤٦) س٢٧/٩، ص ١٢٧، ق ٥٥١، سنة ١٩١٣م. س٢٧/٩، ص ١٨٢، ق ٧٨٨، سنة ١٩١٣م.

(٤٧) خاطر، الأوضاع، ص ١٠.

(٤٨) س٢٧/١، ص ٦٣، ق ٣٧١، سنة ١٨٩٢م.

(٤٩) س٢٧/١، ص ٤٦، ق ٢٩٧، سنة ١٨٩٢م.

استمرت البلدية بالقيام بدورها في مجال الحفاظ على صحة الاغذية، في الأسواق والمحال التجارية في العهد البريطاني، فأكدت ضرورة إلتزام القصابين بالتعليمات السابقة، وراقبت المسلخ والذبائح، وألزمت القصابين بضرورة دمغها، مع فرض غرامات على المخالفين، واشترت ماكنة لنفخ الذبائح في المسلخ بعد شكاوي حول إمكانية نقل المرض من الحيوان إلى الإنسان(٥٠).

كما استمرت بالقيام بجولات تفتيشية على الأسواق، وعلى باعة المواد الغذائية المتجولين والثابتين، فكان المفتش يرفع أسماء المخالفين للبلدية، وللحقيقة فقد راعت البلدية غياب الجانب المعرفي للكثير من الباعة حول القوانين واللوائح، فكانت تقوم بتعريف المخالفين باللوائح والأنظمة ثم تجدد رخصهم لمزاولة المهنة، وكانت تقاضي وتغرم المخالفين بعد ذلك(٥١).

الصحة العامة والبيئة

بموجب البند السادس، من تعليمات وظائف مجلس دائرة البلدية، من الدستور العثماني، بتاريخ (١٨٦٧م)؛ بأن هنالك مأمور تفتيش يقوم بتفتيش شوارع المدن، وتحديد المخالفات الصحية، وإزالتها، ووضع مخالفة جزائية على مرتكبها(٥٢).

وعلى هذا، فقد سعت البلدية للحفاظ على نظافة المدينة، وشوارعها، وأزقتها، وعمدت إلى إجراء اللازم لذلك؛ فمثلاً رفعت عدد الكناسين من إثنين إلى أربعة، وكانت تزيد عددهم في فصل الصيف خصوصاً، أو عند وقوع الأوبئة، فيما زادت عدد الحمير التي تنقل القمامة من عشرة إلى خمسة عشر، وذلك في العام (١٨٩٢م)(٥٣)، واستأجرت خان الشويترة لمبيتها مقابل بمبلغ (٧٧) جنيهاً سنوياً، كما أخضعتها للفحص قبل شرائها، وللعلاج من قبل البيطري عند مرضها، أو إصابتها(٥٤).

كما عملت البلدية للحفاظ على البيئة والصحة العامة، وعلى نقاء الهواء من الأتربة والغبار، فألزمت أصحاب المصالح التي تقتضي تشغيل أفران ومواقد على وضع مداخن عالية، بحيث تكون أعلى من مستوى البيوت والمحلات(٥٥)، وحافظت على رطوبة مداخل البلدة وخاصة الشرقية، فقامت بإسناد مقاولة رشها بالماء إلى

(٥٠) سعادة، بلدية، ص ٦٣، ٩١.

(٥١) س٢٣/٢/٢٧، ص ٢٦، ١٩٢٤/٧/٢٨م. س٢٣/٢/٢٧، ص ١٦، ١٩٢٤/٤/٢٤م.

(٥٢) نوفل، الدستور، ج٢، ص ٤٣٧.

(٥٣) س٢٧/١، ص ٥، ق ١٦٤، سنة ١٨٩٢م. س٢٧/٧، ص ٤٠، ق ١٦٩، سنة ١٩١١م. س٢٧/٧، ص ٢١٢، ق ٨٨٧، سنة ١٩١١م.

(٥٤) خاطر، الأوضاع، ص ٨٢.

(٥٥) س٢٧/١، ص ٥، ق ١٦٤، سنة ١٨٩٢م. س٢٧/٤، ص ١٥٧، ق ٤١٠، سنة ١٩٠٨م.

أسعد عمر خرمة، بالإضافة إلى تعهده برش الماء صباحاً ومساءاً على الطرقات والأشجار، خصوصاً في شارع الشويتره في العام (١٩٠٨م)[٥٦].

كما عينت، في العام (١٩٠٩م) كلاً من؛ حسن كلبونه، وسليم طبيلة، لسقاية ورش الطرقات يومياً (٤٠) قربة ماء، مقابل أجر شهري بلغ ليرة عثمانية[٥٧].

دمجت البلدية بين الجانب التنظيمي، والجانب الصحي، والبيئي للمدينة؛ ففي العام (١٨٩٢م) أصدرت عدة تنبيهات تتعلق بجمع القمامة وعممتها على السكان وهي؛ عدم إخراج النفايات من بيوتهم إلا ليلا أو بالصباح الباكر فقط حتى يتسنى للمتعهدين ترحيلها بالوقت المخصوص، وعدم تركها أمام البيوت والمحلات، وحذرت المخالفين بدفع غرامات وصلت إلى (٥) قروش، وغرامة (١٠) قروش إذا تكررت المخالفة[٥٨].

وكانت البلدية قد عمدت إلى عمل ثمانية صناديق لتجميع النفايات فيها، قبل نقلها إلى مجمع النفايات خارج المدينة، وقد توزعت على الحارات على النحو التالي؛ صندوق في حوش دار النقيب، وصندوق في حوش دار أبو شامة، وصندوق بالقرب من دار النمر الشرقية، وصندوق بالقرب من دار عبده، وصندوق بالقرب من دار إبراهيم عبد الهادي حجلة، وصندوق عند حمام الخليل، وصندوق بالقرب من عين حسين، وصندوق مقابل المحكمة الشرعية. وكانت البلدية قد أنشأت محرقة للنفايات شرق المدينة بالقرب من المسلخ، وعينت عليها موظفين إثنين لحرق النفايات بشكل دائم، وبإشراف من الباش ملاحظ[٥٩].

راقبت البلدية النظافة العامة، وحافظت عليها من خلال التفتيش والتدقيق على نظافة الأفران، والمصابن، والحمامات، والمعاصر، ومحلات الحلاقة، والمقاهي، والمسلخ، والمجاري العامة[٦٠]. ونبهت على ضرورة عدم ربط الحيوانات أمام المحلات والبيوت، وعدم رمي قشور البطيخ بالطريق، وأمام المحلات لمنع تجنب الذباب والحشرات، وهو أمر يشير لكونها ظاهرة بارزة أكثر منها تصرف فردي، وأوعزت لأصحاب الحمامات بتنظيف حماماتهم جيداً، ومنع دخول أي شخص لخزانات الماء فيها وضرورة تنظيفها جيداً[٦١].

(٥٦) س٢٧/٤، ص ١٦٥، ق ٤٣٦، سنة ١٩٠٨م. س٢٧/٧، ص ٧٣، ق ٢٩٨، سنة ١٩١١م. س٢٧/٥، ص ٥٦، ق ١٩٦، سنة ١٩٠٩م.

(٥٧) خاطر، الأوضاع، ص ١١.

(٥٨) س٢٧/١، ص ٥، ق ١٦٤، سنة ١٨٩٢م.

(٥٩) خاطر، الأوضاع، ص ١١، ٨٤.

(٦٠) خاطر، الأوضاع، ص ١٠.

(٦١) س٢٧/١، ص ٥، ق ١٦٤، سنة ١٨٩٢م.

كما راعت البلدية الذوق العام والثقافة السائدة، إلى جانب الطهارة العامة ونظافة البيئة؛ فعندما وردت شكوى عن أحد اليهود الساكنين في المدينة وهو إسرائيل الخياط، أنه قام بفتح مصرف على الطريق العام، فقامت بالتحري عن الشكوى، وقد ثبت الادعاء فتم تغريمه بدفع مبلغ (٢٥) قرشاً[٦٢].

وبنفس السياق، قامت بتحويل باب الحمامات العامة الموجودة بالقرب من دائرة البوليس من جهة الغرب وإغلاقه، وفتح بديل له من جهة الشمال، وذلك منعاً للرائحة الكريهة الحاصلة[٦٣]. كما أفاد تقرير شاويش البلدية أن هناك عشرة أشخاص مصابنية – يعملون في المصابن – ليس لديهم بيوت طهارة، وأنهم يقذرون في الطريق العام، فقامت بالتنبيه عليهم لعدم تكرار ذلك، وأصدرت قراراً بإلزام المذكورين بعمل بيوت طهارة خلال عشرة أيام[٦٤].

كما غرمت علي شيشان، وهو مستأجر لحمام الدرجة، لأنه خالف التنبيهات، وقام بفتح خزان الحمام الرئيسي لأجل دخول الناس والاغتسال فيه، ولكون ذلك مضراً بالصحة، فقد قامت البلدية بتغريمه مبلغ (٥) قروش، وإجباره على إغلاق باب الخزان وإبقاء فتحة كافية فقط لدخول الماء[٦٥]. وبكل الأحوال فقد استخدمت البلدية مادة (الفونيك) من أجل تعقيم الأماكن وطهارتها، وقد اشترتها من "شركة شوخر وشركاه" في يافا[٦٦]، كما عمدت، في العام (١٩١٢م)، لتكليف محمد طاهر غزالة للقيام بتبخير قصبات المدينة وحاراتها، وذلك مقابل أجر بلغ (٥) قروش[٦٧].

استمرت البلدية بأداء خدماتها خلال سنين الحرب العالمية الأولى، وفقاً لإمكاناتها المتاحة وحسب ما سمحت به ظروف الحرب آنذاك، وقد رافق بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين عموماً ونابلس خصوصاً خلل وتداخل وتنازع في الصلاحيات بين البلدية والسلطة الاحتلالية البريطانية؛ فقد تراكمت القمامة بسبب الحرب، وعانى المجلس البلدي من أزمة مالية، وعندما توجه المجلس للحاكم العسكري مطالباً بدفع نفقات إزالة القمامة رفض الحاكم ذلك الأمر، الذي اضطر البلدية لفرض رسوم على السكان للتخلص من القمامة.

(٦٢) س٢٧/١، ص ٥٨، ق ٣٥١، سنة ١٨٩٢م.

(٦٣) س٢٧/٩، ص ٩٩، ق ٤٤٣، سنة ١٩١٣م.

(٦٤) س٢٧/١، ص ٦٢، ق ٣٦٥، سنة ١٨٩٢م.

(٦٥) س٢٧/٥، ص ١٧٠، ق ٥٨٠، سنة ١٩٠٩م.

(٦٦) س٢٧/٧، ص ١٨٩، ق ٧٩٤، سنة ١٩١١م.

(٦٧) خاطر، الأوضاع، ص ١١.

كما اتخذت البلدية عدداً من الإجراءات في سبيل الحفاظ على الصحة العامة إثر ذلك؛ فعمدت إلى زيادة عدد الحيوانات التي تجر عربات القمامة، وإصلاح التالف منها، واشترت من حيفا مادة الفونيك لاستخدامها في طهارة المدينة، وعملت على توفير مجمع للنفايات بعيداً عن السكان والمزروعات، وينابيع الماء، فاستملكت أرضاً في قرية بلاطة لعمل محرقة للنفايات، بعد تزايد عدد سكان المدينة ومساحتها، كما أوعزت للسكان بضرورة التخلص من مخلفات الحمامات، واشترطت توفير شروط السلامة الصحية لمن يريد بناء بيت، وبمراقبة مدير الصحة، وحافظت على رش الطرق بالماء منعاً لتطاير الغبار، وترطيب الأجواء[٦٨].

وقد شكل الاحتلال البريطاني، وبشكل مباشر، عقبة حالت دون قيام عمال النظافة بجمع القمامة احياناً؛ حيث كانت تعتدي عليهم بالضرب، رغم الشكاوي التي رفعتها البلدية إلى حكومة الانتداب، كما كانت تفرض منع التجول، الأمر الذي حال بين العمال والقيام بعملهم، مما انعكس سلباً على أوضاع الصحة العامة، بشكل مؤقت.

كما وفرت البلدية لعمال النظافة لباساً خاصاً بهم صيفاً وشتاء، لونه كاكي، وحذاء وطربوش، ووضع كل عامل منهم علامة على ذراعه، كما وفرت لهم العلاج المجاني بالمستشفى الوطني، وقد بلغ عددهم حتى العام (١٩٤٧م) (٣٥) عاملاً، كانت أجرتهم اليومية بين (١٤٠ - ١٦٠) مل، فيما تكونت إدارة التنظيفات من أربعة موظفين[٦٩].

أسماء موظفي إدارة التنظيفات "الملاحظين" ورواتبهم.

الاسم	الوظيفة	الراتب الشهري	
		مل	جنيه
صليبا غتيت	باش ملاحظ التنظيفات	٣٣٣	٢٠
محمد سليم الخياط	مساعد الباش ملاحظ	٣٣٣	١١
أديب مسروحة	ملاحظ التنظيفات	٥٠٠	٦
كامل النابلسي	ملاحظ التنظيفات	٥٠٠	٦

(٦٨) سعادة، بلدية، ص ٦٢، ٦٣، ٩٠، ١١٢.

(٦٩) خاطر، الأوضاع، ص ٨٠، ٨٢.

ومهما يكن من أمر، فقد استمرت البلدية بوظيفتها ومسؤوليتها عموماً، وتجاه الصحة العامة بشكل خاص؛ فقد قام طبيب البلدية، جميل طقطق، في العام (١٩٢٤م)، وبالتنسيق مع رئيس البلدية، بتوزيع إعلان في حارات المدينة، وقام الدلال حسن سعيد ابو شكر، وبمرافقة شاويش البلدية محمد السايح، بإعلام الناس في الحارات والأزقة بمضمونه وهو؛ أنه يجب على سكان المدينة وأصحاب البيوت اقتناء سطل غير مثقوب، وله غطاء من أجل جمع القمامة فيه وتسليمه لجامعي النفايات عند مرورهم، في الوقت المحدد، لكل حارة، وأن المخالفين سيكونون عرضة للجزاء والمخالفة[٧٠].

وبنفس السياق، رفع طبيب البلدية تقريراً لرئيس البلدية يشكو فيه من ظاهرة الكلاب الضالة، ويشكو عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لمكافحتها، وطلب ببذل مزيداً من الجهد لذلك، كما طلب فرض غرامة على كل شخص يقتني كلباً ولا يسمح بإتلافه[٧١].

وقد جاء هذا الأمر امتداداً وتأثراً بما كان متعارفاً عليه في العهد العثماني، وامتثالاً للبند التاسع من مادة تعليمات وظائف مجلس دائرة البلدية من الدستور العثماني بتاريخ (١٨٦٧م)، الذي منع تربية الحيوانات في البيوت[٧٢]، وذلك حفاظاً على الصحة الشخصية والعامة.

وفي سياق آخر، وفي سبيل الحفاظ على الصحة العامة والبيئة، فقد قام طبيب البلدية برفع كتاب لرئيس البلدية يُفهم منه؛ أن أحد أصحاب الحمامات، في حارة الغرب، وهو محمد سوسة قد حوكم مرتين لعدم قيامه برفع مدخنة الحمام، ولعدم امتثاله لأمر طلب فيه الطبيب إقفال الحمام لحين رفع المدخنة بالشكل الصحي اللائق، وقد أرسلت نسخة من الكتاب لحاكم نابلس طلبت فيه البلدية تنفيذ القرار[٧٣].

كما قامت بمعاينة سبيل ماء التوباني، للتأكد من صلاحيته الطبية، وعنيت كذلك بآبار الماء في المدينة، فقامت بتعقيم عدد منها مثل؛ بئر دار الجعبري، وبئرين في خان التجار، وبئر المستشفى الانجيلي، وبئر دار الحجاوي، وبئر دار الخياط، وآبار لكل من؛ دار الحصيري، ودار صلاح ومحمد عثمان[٧٤].

---

(٧٠) س٢٣/٢/٢٧، ص ١٢٣-١٢٤، ٢٣/١٠/١٩٢٤م.

(٧١) س٢٣/٢/٢٧، ص ١٣١، ٧/١١/١٩٢٤م.

(٧٢) نوفل، الدستور، ج٢، ص ٤٣٧.

(٧٣) س٢٣/٢/٢٥، ص ١٦، ٢٤/١/١٩٢٤م.

(٧٤) خاطر، الأوضاع، ص ٢٥.

أخـذت البلديـة علـى عاتقهـا تنظيـف وتنظيـم خطـوط الصـرف الصحـي، وكانـت تعمل بثلاثـة اتجاهـات، الأول؛ مد خطـوط مجاري عامة لكثيـر من البيـوت والمحـلات غيـر الموصولـة بالأقبيـة القديمـة، وقد راسـلت البلديـة شـركة (شـلوش اخـوان) في يافـا للاسـتعلام عـن أسـعار وأحجـام مواسـير الاسـمنت لهـذه الغايـة[٧٥].

الاتجاه الثانـي؛ إصـلاح وترميم أقبيـة المجاري العامـة القديمـة القائمـة[٧٦]، وقـد بـدأت البلديـة، منـذ (٣ كانـون ثانـي ١٩٢٤م)، حـين اجتمـع رئيـس البلديـة مـع أصحـاب شـركة (شـلوش اخـوان) مـن يافـا، بهـدف اسـتبدال بعـض الأقبيـة المبنيـة مـن الحجـارة بالمواسـير الاسـمنتية الجاهـزة، وقـد نصـح حاكـم نابلـس البلديـة بفحـص المواسـير قبـل طلبهـا[٧٧]، للتأكـد إن كانـت النصيحـة في محلهـا، ولكنهـا أيضـاً تجسـد سياسـة تدخـل سـلطات الاحتـلال الانجليـزي بعمـل البلديـة، ومهمـا يكـن، فقـد بـدا لاحقـاً أن البلديـة قـد عزفـت عـن التعامـل مـع شـركة (شـلوش اخـوان)، إذ تشـير سـجلاتها لتكليـف أحـد أعضائهـا وهـو أحمـد الشـكعة لمراسـلة أصحـاب مصانـع الاسـمنت الفلسـطينية بهـذا الخصـوص[٧٨].

والاتجـاه الثالـث؛ تنظيـف مسـتوعبات وحُفـر الامتصـاص للبيـوت، والمحـلات التـي لـم تصلهـا خدمـة خطـوط الصحـة العامـة آنـذاك. ومهمـا يكـن، فقـد اسـتمرت البلديـة في عمليـة صيانـة وتبديـل خطـوط المجـاري العامـة طـوال العهـد البريطانـي، وكانـت تسـتخدم وحتـى العـام (١٩٣٥م) المواسـير الفخاريـة، كمـا شـرعت في عمـل مجـاري خاصـة لتصريـف ميـاه الأمطـار بنفـس الفتـرة[٧٩].

وبكل الأحوال، فقد كانت البلدية، في العهدين العثماني والبريطاني، تتلقى معلومات حول المشـاكل والمتطلبـات الصحيـة مـن مخاتيـر الحارات على شـكل مطالبات، وشـكاوي، واسـترحامات، وكانت البلديـة تقـوم بإرسـال مهنـدس البلديـة، أو "البـاش مـلاحـظ" ليقـوم بتقديـر المشـكلة، وتقديـم المطلـوب لرئيـس البلديـة، ليصـار بعدهـا العمـل علـى حلهـا وفقـاً لأولويـات البلديـة وإمكاناتهـا الماليـة[٨٠].

وكجـزء مـن مسـؤوليتها، لعبـت البلديـة دور الحكـم في خلافـات ذات العلاقـة بالصحـة العامـة، ولـم تتـوان عـن السـعي في حلهـا بالوسـائل القانونيـة؛ فعندمـا حصـل خـلاف بـين

(٧٥) س٢٣/١/٤، ص ٣، ٢/١١/١٩٢٣م. س٢٣/١/٣، ص ١٢، ١٩٢٢م. س٢٣/١/٤، ص ٧، ٣/١/١٩٢٤م.

(٧٦) س٢٣/١/٤، ص ٤، ٣٠/٩/١٩٢٣م. س٢٣/١/٣، ص ١٢، ١٩٢٢م.

(٧٧) س٢٣/١/٤، ص ٧، ٣/١/١٩٢٤م.

(٧٨) س٢٣/١/٧، ص ٥، ١٧/٦/١٩٢٤م.

(٧٩) س٢٣/١/٣، ص ١٢، ١٩٢٢م. س٢٣/١/١٣، ص ٩، ١٨، ٢٣، ٩/١٥، ١٢/١٢، ١٢/٣١ ١٩٣٥م.

(٨٠) س٢٣/١/٤، ص٥، ٣٠/٩/١٩٢٣م. ص١-٢، ٢-١٠/١١/ ١٩٢٣م.

صالح الخفش، وعبد الله العريض، وهما من سكان حارة العقبة، وتبادل الاتهامات حول مصدر المياه القذرة في ليوان عبد الله العريض، أرسلت البلدية مراقب الصحة العامة "الباش ملاحظ" ليعاين الموقع، ويحدد مصدر المشكلة، ليصار حلها لاحقاً، وتشير هذه الواقعة إلى تحديد المسؤوليات فيما يتعلق بمشاكل الصرف الصحي، ففي الواقعة أعلاه أخذت البلدية على عاتقها إصلاح الأقبية الرئيسية الخاضعة لمسؤوليتها، في حين يقوم صاحب أو أصحاب الخط الفرعي الموصول بالأقبية بإصلاحها عند وقوع الخلل فيها(٨١).

استمرت البلدية في محافظتها على البيئة العامة للمدينة، فاستمرت برش المياه في الشوارع خاصة أثناء كنسها؛ بهدف تقليل الغبار، وترطيب الجو، فعينت في العام (١٩٢٥م) عبد الرحيم عاشور للقيام بذلك، وكان يستخدم برميلين لرش الطرق، ثم اشترت البلدية عام (١٩٢٦م) ثمانية رشاشات تنك لرش الماء، لكن ذلك لم ينهِ المشكلة، فاشترت البلدية سيارة تحمل خزان مياه بهدف رش جوانب الطريق بالماء(٨٢).

العوامل الطبيعية

زلزال (١٩٢٧م)

كانت بلدية نابلس الطرف الرسمي الاول المسؤول عن تقديم الرعاية الفورية المطلوبة والمؤقته لمنكوبي الزلزال، فكان عملها على النحو التالي؛ تقديم المواد الغذائية، حسب قوائم خاصة بهم أعدتها خصيصاً، والعمل على توفير مساكن للمتضررين فشكلت لجنة خاصة باسم "لجنة إغاثة المنكوبين" وقد أخذت من المدرسة الفاطمية مقرا لها، واستقبال المساعدات والاعانات المالية والعينية من سكان المدينة أنفسهم وقرى المدينة والمدن الفلسطينية وعدد من الدول، وقد فتحت حسابات مالية في البنك العثماني لصالح المنكوبين، وتأمين مساكن لأصحاب البيوت المتهدمة، وبكل الاحوال فقد قدمت البلدية لاحقاً حلولا جذرية بعيدة المدى للمتضررين وعلى مدى أكثر من (٢٠) عاماً(٨٣).

وقد تضمن أحد الحلول المؤقتة، استئجار البلدية لقطعة ارض شرق المدينة، والمعروفة اليوم خلة العامود لمدة سنتين، واقامت عليها بيوتاً من الزنك، وأسكنت

(٨١) س٢٣/٤/١/٢٣، ص ٩، ٣٠/٤/١٩٢٣م. س٢٣/٤/١/٢٣، ص ١٤، ١٩/٩/١٩٢٣م.

(٨٢) خاطر، الأوضاع، ص ٨٢.

(٨٣) ابو صالح، زلزال، ص ٨٩.

المتضررين الفقراء ممن لم يستطيعوا إعادة بناء بيته، أو استئجار بيت آخر.

وبسبب المعاناة الناتجة عن السكن ببيوت الزنك صيفا وشتاء، فقد طُرحت فكرة استملاك البلدية لقطعة الارض المقامة عليها بيوت الزنك، على أن يُدفع ثمنها من الاعانات المجموعة، وبعد مراسلات طويلة بين مجلس البلدية، ولجنة الاعانات، وقائمقام نابلس، وحاكم اللواء مع المندوب السامي، فقد نجحت البلدية في استملاك الأرض، التي اقيمت عليها بيوت الزنك، ونجحت بتوفير منحة لكل منكوب مقدارها؛ نصف دونم وعشرون جنيهاً فلسطينياً بشرط البناء عليها خلال ثلاث سنوات، وقد استملكت البلدية الارض من اصحابها بعد الاتفاق على سعر (٢٠) جنيهاً للدونم الواحد(٨٤).

الأمطار والسيول

اتخذت البلدية اجراءات للحفاظ على الصحة العامة والنظافة، عند وقوع السيول والفيضانات، وسعت لتقديم الحلول الجذرية؛ ففي (١٤ شباط ١٩٣٥م) تعرضت المدينة لأمطار غزيرة نتج عنها سيول غمرت عدداً كبيراً من البيوت والمحلات ذات الطوابق الأرضية، والواقعة في المناطق المنخفضة بالمياه والاتربة والحجارة، وتضرر أكثر من مئتي عائلة وتسببت بوفاة أم وابنتها، فأوعزت البلدية إلى خمسة متعهدين من المدينة لإزالة وترحيل وتنظيف أنقاض السيول من المحلات المتضررة وهم؛ محمد يوسف الجبالي، وسعيد العرندي، وعبد الرؤوف حمد، وعارف الاسطة، وفتح الله درويش، وقد كلفت البلدية مبلغ (٧٥) جنيهاً فلسطينياً(٨٥).

رافق تمدد المدينة، وانتشار البنيان خارج البلدة القديمة، مشاكل طبيعية جديدة؛ مثل فيضان المياه في فصل الشتاء؛ فمثلاً قدم أمين البظ للبلدية كتاباً اشتكى فيه من أنه في كل عام تدخل مياه الأمطار الجارية من سفح الجبل الشمالي إلى بيته ومخازنه المحاذية للمستشفى الوطني، وطلب حلاً لدفع الضرر، فقامت البلدية، وبعد دراسة وثبوت الضرر، بعمل غرفة تفتيش ومد خط أنابيب لتصريف المياه بطول (١٨) متر(٨٦).

كما قدم الشيخ حافظ الطاهر، الذي سكن شرق المدينة القديمة، استدعاء لثلاث جهات هي؛ بلدية نابلس، ورئاسة الاطباء، ودائرة المعارف، شرح فيها مشكلته

(٨٤) فارس، مدينة، ص ١٠٧-١١٧

(٨٥) خاطر، الأوضاع، ص ٨٧.

(٨٦) س٢٣/٢٠/١/٢٠، ص ٢، ١/١٠/١٩٤٥م.

على النحو التالي؛ يقيم الشيخ مع أسرته في بيت مجاور للمدرسة الصلاحية، تم توجيه مصرف المياه من المدرسة إلى بستانه المقام عليه بيته، فتجمعت المياه وتسببت بانتشار الحشرات، والبرغش، والبعوض.

ثم تفاقمت مشكلته عندما تم تعبيد الشارع أمام بيته، وبشكل أعلى من مستوى الأرض، مما ساعد على حجز المياه وتجمعها في البستان ومنع تصريفها فتضاعفت مشكلته. وقد أرسلت البلدية من كشف على المكان، وتبين صحة كل ما ذكره الشيخ حافظ في كتابه، ولأن المدرسة تتبع دائرة المعارف حولت البلدية الدعوى إلى دائرة المعارف، ثم تراجعت، وقامت بمد أنابيب من بستان الشيخ عبر الشارع لنقل المياه المتجمعة في أرضه[٨٧].

تكشف لنا هذه القصة بوضوح، إشكالية الصلاحيات، وتداخلها، وتضاربها أحياناً، بين البلدية وأجهزة سلطة الاحتلال البريطاني، والكتاب الذي رفعه الشيخ حافظ ليس الأول، وهو عكس حالة الحيرة التي أصابت الرجل بشأن الجهة التي يقع على عاتقها حل مشكلته، فكتب للجهات الثلاث.

المسلخ البلدي

شكل مسلخ بلدية نابلس قسماً حيوياً من أقسام البلدية خلال العهود السياسية المختلفة، وإن كانت المعلومات شحيحة فيما يتعلق بالعهد العثماني لكنها كانت غزيرة في العهد البريطاني، وقد كان المسلخ أحد أهم مصادر الدخل للبلدية؛ فمثلاً بلغ معدل الدخل الشهري الوارد لصندوق البلدية من رسوم الذبائح في صيف عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ما مقداره (٨٨,٥) جنيه فلسطيني[٨٨]، وارتفعت لتصبح أكثر من (٢٠٠٠) جنيه في آذار من العام (١٩٤٨م)[٨٩].

كان الهدف الرئيسي من المسلخ وما زال هو العناية بحِرفَة بيع اللحوم من حيث؛ تنظيم، وضبط عملية ذبح الحيوانات، وفحص لحومها، ودمغ السليم منها، والتخلص من التالف، ثم توزيع لحومها على القصابين، ومراقبة محلات بيع اللحوم، وذلك وفق معايير وشروط صحية قانونية صبت في صالح الأطراف كلها؛ المستهلك والقصاب والبلدية.

---

(٨٧) س٢٣/١/٢٠، ص ١، ١٩٤٦/١٢/٢٥م.

(٨٨) س٢٣/٣/٤٥، ص ١-٣، ٥/٤ - ١٩٣٢/٧/٣م.

(٨٩) س٢٣/٣/٥٥، ص ٧٩، ١٩٤٨/٣٠/٢٠م.

ومن هنا، جاء تسليط الضوء على أحد أهم أقسام بلدية نابلس، نظراً لارتباطه بجانب غذائي مهم في حياة سكان المدينة والقرى المجاورة. والمسلخ – موضوع بحثنا هذا – بناء لم يُعد له وجود منذ حوالي ستين عاماً، وكثيرون من المحليين لا يعرفون عنه شيئاً بطبيعة الحال، ولكن ما يستدعي حديثنا عنه هنا؛ هو رصد دور بلدية نابلس أثناء أدائها خدماتها في مجال حِرفة بيع اللحوم، ولأي مدى وصلت البلدية في تأدية خدماتها، وكيف سعت البلدية لضمان استمرارية هذه الخدمة، حتى أثناء الحروب العالميتين الاولى والثانية وحرب فلسطين (١٩٤٨م).

العهد العثماني

إن أقدم وثيقة عُثر عليها في أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تطرقت إلى وجود مسلخ يعود تاريخها إلى العام (١٨٩٢م)؛ فقد ورد في القرار رقم (٢٠٥)، المتخذ في جلسة مجلس البلدية المنعقد يوم (٥ آب ١٨٩٢م)، أنه وبناء على تقرير مفتش البلدية وتحريات طبيب العسكرية، قد وجد أن محمد وعارف بكري – وهما قصابان من نابلس – قد خالفا التعليمات، وذبحا داخل البلدة، لذا صار مخالفتهما بمبلغ (٧٥) قرشاً لكل منهما لصالح صندوق البلدية توفيقا لأحكام النظام[٩٠].

كما ورد في القرار رقم (٢٨٠)، المتخذ في جلسة مجلس البلدية، المنعقد يوم السادس من آذار/ سنة (١٣٣٠ مالي)، الموافق للعام (١٩١٣م)؛ أنه ونظراً لقرب المذبح من عين القصب، وبسبب ضعف الماء فيها، وشدة الحرارة صيفاً، وتصاعد الروائح الكريهة المضرة بالصحة العمومية؛ تقرر طرح المذبح للبيع بالمزايدة واستيفاء ثمنها للبلدية لكي يصار إيجاد محل مناسب للمذبح المذكور[٩١].

وإذا كان القرار الأول يعطينا مثالاً عن كيفية وآلية عمل البلدية لضبط حِرفَة بيع اللحوم، فإن القرارين، ودون شك، يثبتان وجود مسلخ في مدينة نابلس، خلال العهد العثماني، وهو بكل الأحوال، كان خارج المدينة القديمة، وإلى الغرب منها في البساتين – وهي حالياً مجمع مواقف سيارات الأجرة الغربي – وعند أحد عيون الماء هناك كانت تُعرف بإسم عين القصب، والموقع المفترض يقع مقابل عمارة الإسراء على الجانب الشمالي لامتداد شارع سفيان حالياً[٩٢]، وبطبيعة الحال، فإن

(٩٠) س٢٧/١، ص ١٨، ق ٢٠٥، ١١ محرم ١٨٩٢م.

(٩١) س٢٧/٩، ص ٦٢، ق ٢٨٠، سنة ١٩١٣م.

(٩٢) جولة ميدانية، المجمع الغربي، ٢٠١٨/١٢/١١م. مقابلة شخصية، سمير حمدي عبد الله مسعود البدوي، نابلس، ٦٨ سنة، ٢٠١٩/١/١٦م. مقابلة شخصية، حمدي محمد محمود الكوني، نابلس، ٦٠ سنة، ٢٠١٨/١٢/١١م.

وفرة الماء شرط ضروري لأعمال المسلخ، وإذا كنا لا نعلم متى بُني، فإننا نعتقد بوجوده بعد تشكيل مجلس البلدية مباشرة، أو على الأقل بفترة ليست طويلة.

كما أثبت القرار الأخير، أن البلدية قد واجهت مشاكل صحية ناجمة عن تراجع تدفق عين القصب، وبالتالي سعت لحل جذري من خلال نقل المسلخ لمنطقة أخرى؛ فقامت بإعلان مزايدة لبيع الموقع تمهيداً للانتقال شرق المدينة، وقد جمدت أحداث الحرب العالمية الأولى الموضوع، ولكنها لم تلغه، ومهما يكن من أمر، فقد اشترى الموقع أحد القصابين من نابلس من آل مرمش لاحقاً[٩٣].

لقد جوبهت البلدية، ونظراً لحداثة نظام البلديات، بالنسبة للسكان، بصعوبات يمكن ملاحظتها من خلال مطالعة أرشيف البلدية، والمتمثل بكثرة المخالفين، لذا، فقد تضمن عمل البلدية في البداية تعريف القصابين بالأنظمة واللوائح، ثم إصدار المخالفات إذا تكررت.

وبكل الأحوال، فقد قامت البلدية بضبط حِرفة ذبح الحيوانات، وبيع لحومها، من خلال العمل باتجاهين، الأول؛ شددت البلدية الرقابة اليومية على القصابين في محلات بيع اللحوم لضبط الحيوانات المذبوحة خارج المسلخ، وتحرير المخالفات الجزائية، والثاني؛ ضمان عدم ذبح الأغنام الضعيفة والمريضة، والتشديد على ضرورة الالتزام بالذبح داخل المسلخ، وعدم بيع اللحوم قبل معاينة الطبيب البيطري ودمغها من حيث كونها صالحة للأكل، فكانت الذبائح التي تُضبط غير مدبوغة تُصادر، ويتم إتلافها بالحرق ويُغرم صاحبها بجزاء نقدي[٩٤].

موقع المسلخ العثماني القديم المفترض



(٩٣) مقابلة شخصية، حمدي محمد محمود الكوني، نابلس، ٦٠ سنة، ٢٠١٨/١٢/١١م.

(٩٤) س٩/٢٧، ص ١٢٧، ق ٥٥١، سنة ١٩١٣م. س ٩/٢٧، ص ١٨٢، ق ٧٨٨، سنة ١٩١٣م.

العهد البريطاني

بقيت مدينة نابلس دون مسلخ خلال الفترة (١٩١٣م -١٩٢٠م)، فقد تم بيع أرض المسلخ القديم، قبيل بداية الحرب العالمية الأولى، فيما تعطلت عملية إنشاء مسلخ جديد إثر هذه الحرب بطبيعة الحال، ولا يتوافر لدينا معلومات عن كيفية الذبح خلال السنوات السبعة تلك، على أن واقع البحث في الموضوع هنا يشير إلى أن عملية الذبح كانت تتم على عاتق القصابين وفي محلاتهم، وفي الأزقة وخلف الأسواق الرئيسة، وهو أمر عانت البلدية لاحقا للتخلص منه، والقضاء عليه، آخذين بعين الاعتبار ظروف الحرب العالمية الأولى، وما ترتب عليها من فوضى عامة ليس في نابلس فقط، بل في كل مكان وصلته الحرب.

وبعد نهاية الحرب، ومجيء الاحتلال البريطاني، وعودة الحياة اليومية لطبيعتها؛ فقد سعت البلدية لإنشاء مسلخ جديد؛ فانطلقت عملية بناء المسلخ يوم (٣٠ آب ١٩٢٠م) في الجهة الشرقية من المدينة بالقرب من المعسكر العثماني، وفي الجهة المقابلة له شمالي الشارع الرئيسي؛ شارع حيفا القدس قبل أن يُسمى شارع الملك فيصل، وبالتحديد في الطرف الغربي لحديقة إسعاد الطفولة حاليا، وعلى أرض استأجرتها البلدية من الحكومة مقابل جنيه واحد سنويا، وذلك بعد التنسيق مع الحاكم العسكري، وبتكلفة إجمالية وصلت إلى (٨٠٠ جنيه)[٩٥].

وقد تمت توسعته في العام (١٩٢٦م) بإقامة غرفتين بالقرب من المسلخ؛ واحدة كمكتب لمفتش اللحوم، وأخرى لحفظ الجلود، فيما أُضيف للبناء غرفة ثالثة كحظيرة لحجز الحيوانات قبل ذبحها[٩٦].

بناء المسلخ

تم تقديم تعهد بناء المسلخ الرئيسي وشروطه، من قبل المتعهد بشير محمد ياسين إلى البلدية يوم (١٢ تشرين ثاني ١٩٢٠م) وتمت الموافقة عليه ليشرع بعدها بعملية البناء، وكانت مواصفات البناء والأسعار على النحو التالي؛ حفر الأساسات بعرض (٧٥ سم) وعمق مترين بسعر (١٠٠ مل) للمتر، أجرة بناء الأساسات (٢٢٠ مل) للمتر، والمواد على حساب البلدية، أجرة بناء الجدران من فوق الأساس بحساب فارغ ملآن وجميع أحجار الجدران والطاقات والأبواب وقبانها مدقوقة بسعر جنيه

(٩٥) س٢٣/٣/٤٣، ص ١، ق ١٩، ١٩٢٠م. س٢٣/٣/٥٣، ص ٤، ١٩٤٤/٥/٢٣م. جولة ميدانية، المعسكر العثماني سابقاً، ٢٠١٨/١١/١٤م. مقابلة شخصية، محمد عبد الحليم عبد الرحمن الأسمر، روجيب، ٦٥ سنة، ٢٠١٨/١٢/١٢م.

(٩٦) خاطر، الأوضاع، ص ٦٨.

واحد فقط، فيما يكون الشيد والأحجار على البلدية، كما تكون أحجار الجدران وفقاً للتعهد ملطشة، فيما تكون زوايا الطاقات والأبواب من الخارج نافرة، ومن الداخل نظيفة، ويكون قبانها من الداخل والخارج نظيفة، وبموجب التعهد يكون ثمن الأحجار والكلس وكافة مستلزمات المسلخ، على البلدية، فيما تكون بقية المواد من تراب، وماء، وحصى على حساب المتعهد[٩٧]، وقد عينت البلدية باش كاتب البلدية ماهر الحجاوي لتولي كل عمليات الشراء لكافة المواد والمستلزمات[٩٨].

أتم المتعهد بناء الجدران الرئيسة يوم (٢٣ كانون اول ١٩٢٠م) وكانت مع القوس الداخلي بارتفاع (٥,٥ متر)[٩٩]، ثم أتم السقف يوم (١٣ كانون ثاني ١٩٢١م)، وقد عمل معه ثمانية عمال هم؛ حسن منصور وإبراهيم سعد الدين وعبد الوهاب ياسين وصادق ياسين وطاهر ياسين وزكي ياسين وكامل البزم وخليل سعد الدين، كانت أجرتهم مقابل العمل ونحت الباطون - تسويته لسد مسامات الهواء - (١٠ جنيهات و ٤٦٠ مل)[١٠٠]، ثم أنهى الأحواض وهي اثنان؛ بسعة (٢ متر مكعب) و(١ متر مكعب) مع أساساتها يوم (٢٤ شباط ١٩٢١م) بأجرة بلغت (٣ جنيهات و٥٠٠ مل)[١٠١].

ووفقاً للتعهد المذكور، وقع على عاتق البلدية توفير الاسمنت، فقامت بتوفيره من خلال مصدرين؛ ماهر الحجاوي باش كاتب البلدية[١٠٢]، الذي كان يشتري الاسمنت بالبراميل من شركة (أتين جفني وجبرائيلي) في حيفا[١٠٣]، والمصدر الثاني هو طاهر المصري الذي كان يشتري الاسمنت من شركة (قرمان وحُنيني) في حيفا[١٠٤]. فيما اشترت البلدية مادة الكلس من مصدرين محليين أحدهما أحد العاملين في البناء، وهو حسن منصور، والثاني اسعد عبد الله فريتخ[١٠٥].

وقد تمت الأعمال الخارجية للمسلخ على النحو التالي؛ قام بعملية القصارة والتكحيل أربعة عمال من نابلس هم؛ سليمان بولص، وداوود بولص، وعبد الله بولص، وزهدي بولص، وقد استغرقوا بقصارة أحواض المسلخ وطاقاته أربعة أيام، انتهت يوم (٢٦ آذار ١٩٢١م)، تلقوا مقابلها أجرة بلغت جنيهين و(٦٨٠ مل)، كما

(٩٧) س٢٣/٣/٤٣، ص ٩٣، ٣٠/٨/١٩٢٠م.
(٩٨) س٢٣/٣/٤٣، ص ١٠، ٩/١٢/١٩٢٠م.
(٩٩) س٢٣/٣/٤٣، ص ٤٨، ٢٣/١٢/ ١٩٢٠م.
(١٠٠) س٢٣/٣/٤٣، ص ٢٤، ٣٤، ١٣/١/١٩٢١م.
(١٠١) س٢٣/٣/٤٣، ص ٣٢، ٢٤/٢/١٩٢١م.
(١٠٢) س٢٣/٣/٤٣، ص ٩٣، ٣٠/٨/١٩٢٠م.
(١٠٣) س٢٣/٣/٤٣، ص ٦٣، ٣٠/١١/١٩٢٠م.
(١٠٤) س٢٣/٣/٤٣، ص ٦٤، ٦/١٢/١٩٢٠م.
(١٠٥) س٢٣/٣/٤٣، ص ٢٧، ١٣/٣/١٩٢١م. ص ٣٠، ٧/٣/١٩٢١م.

استغرقهم تكحيل الجدران الحجرية خمسة أيام عمل، انتهت يوم (٣١ آذار ١٩٢١م)، تلقوا مقابلها أجرة بلغت (٣ جنيهات و٣٥٠ مل)[١٠٦].

قام صالح ابو شمط بتوفير مادة الزفته، وقام بصبها وتجهيزها في أحواض المسلخ لعزلها ومنع التسربات مقابل أجر بلغ (٨٤٠ مل)، وقد أنهى ذلك يوم (٣١ آذار ١٩٢١م)، فيما قام ستة عمال وهم؛ عبد الرحيم مصلح، ورشيد طبنجة، ومحمود الحلس، ومحمد نعنع، وامين كمال، وابراهيم ابو شرخ بفتح قناة المسلخ، وتسهيل الأرضيات الخارجية خلال ستة أيام انتهت يوم (٣١ آذار ١٩٢١م) وذلك مقابل أجرة بلغت (٥ جنيهات و٣٤٠ مل)[١٠٧].

أما داخل المسلخ، فقد تم العمل على النحو التالي؛ قام فتوح حمدان بتوريد (٨٦) متر بلاط، وأعتاب القنوات الداخلية والخارجية، فيما قام بعملية التبليط حسن منصور ساعده ثلاثة عمال، مقابل أجرة بلغت (١١ جنيهاً و٩٠٠ مل)[١٠٨].

اعتمدت البلدية في أعمال الحدادة داخل المسلخ على حدادين محليين، قاموا بتصنيع الجسور والمواسير، والخطاطيف في نابلس وعددها (٣٢) خطافاً، وتعليقها حسب المواصفات، مثل الحداد محمد ابو صايف، وفارس حنشش[١٠٩]. وقد اعتمدت على تاجر محلي لتوفير الحديد الخام، وهو سبع قرمان، زودها بـ (٨٨) متراً من الجسور الحديدية، بلغت قيمتها (١٦ جنيهاً)[١١٠].

اشترت البلدية بعض المواسير ذات الموصفات الخصوصية من يافا، من شركة (ل. كليكمان)، فيما اشترت مستلزمات تمديدات الماء من مواسير واكواع وحنفيات من يافا[١١١]. فيما اشترت المضخات من شركة (شاؤول ليفي) في يافا يوم (٥ كانون اول ١٩٢٠) ولها فرع آخر في القدس، وأخضعتها للفحص في يافا خمسة أيام، ثم نقلتها إلى نابلس لتصل يوم (١١ كانون اول ١٩٢٠م)، وقد بلغت مصروفات الفحص والنقل (٨ جنيهات ٦٥٠ مل)[١١٢]، وقام أحد الفنيين من نابلس بتركيبها مع تمديدات المياه، وهو شاكر الفالح يساعده عامل واحد، وذلك مقابل أجرة للاثنين بلغت ستة جنيهات[١١٣].

---

(١٠٦) س٢٣/٣/٤٣، ص ٢٢-٢٣، ٣١/٣/١٩٢١م.

(١٠٧) س٢٣/٣/٤٣، ص ١١، ٢١، ٣١/٣/١٩٢١م.

(١٠٨) س٢٣/٣/٤٣، ص ٢٤، ٦/٣/١٩٢١م.

(١٠٩) س٢٣/٣/٤٣، ص ٢، ١٥/٣/١٩٢١م. س٢٣/٣/٤٣، ص ٢٥، ٣١/٣/١٩٢١م.

(١١٠) س٢٣/٣/٤٣، ص ١٨، ٢٧/١١/١٩٢٠م.

(١١١) س٢٣/٣/٤٣، ص ٩، ٢/١٢/١٩٢٠م. س٢٣/٣/٤٣، ص ٨، ١١/١٢/١٩٢٠م.

(١١٢) س٢٣/٣/٤٣، ص ٧، ٥/١٢/١٩٢٠م. ص ٨، ١١/١٢/١٩٢٠م.

(١١٣) س٢٣/٣/٤٣، ص ٣، ١٧/٢/١٩٢١م.

أما أعمال النجارة والدهان فقد تولاها أحد النجارين في نابلس، وهو محمد سعيد الحجاوي، الذي جهز خمسة أبواب خشب ركبها وقام بطلائها[١١٤]. ونظراً لبعد موقع بناء المسلخ عن مركز المدينة، فقد عينت البلدية، منذ بداية العمل فيه، صادق العنبتاوي حارساً على موقع البناء والمواد، أثناء عمليات البناء والتجهيز[١١٥].

وقد تم تزويد المسلخ بماكينة نفخ تعمل على البنزين، لأجل نفخ الحيوانات المذبوحة لأجل فحصها، وكانت تستهلك شهريا عشرة جالونات من الوقود[١١٦]. وجاء ذلك حفاظا على الصحة العامة، وخوفاً من انتقال الامراض من الحيوانات المذبوحة إلى الانسان، لأن عملية النفخ كانت تتم بوساطة فم الانسان مباشرة.

الكادر المهني

بموجب المادة (٢/٤)، من نظام المسالخ؛ كان اجتياز دورة مفتش، وفحص اللحوم إجبارياً وضرورياً لكل من الأشخاص المستخدمين، كمفتشي لحوم، ولم يجتازوا دورة سابقاً، أو لم يجتازوا دورة كاملة، وللأشخاص الذين يقومون بالتفتيش والفحص أثناء غياب مفتش اللحوم الدائم[١١٧].

من هنا، فقد سعت البلدية لتوفير كادر مدرب ومؤهل للعمل في المسلخ، وحافظت على رفع مستواهم المهني دوماً؛ فأرسلت موظفا لاجتياز دورة للتفتيش على اللحوم و فحصها في يافا في العام (١٩٣٣م)[١١٨].

كما سعت لتدريب آخر في العام (١٩٤٣م) حين خاطب رئيس البلدية بكتاب رسمي مكتب المفتش البيطري بنابلس مستفسراً عن وجود دورات للتفتيش على اللحوم وموعدها، وقد جاء الرد بعدم وجود هذه الدورات حالياً، وأن على الموظف المعين أخذ الدورة بمرافقة مفتش اللحوم الرسمي للبلدية والتعلم منه لحين عقد هذه الدورات، وعلى أي حال فقد كانت دائرة الزراعة، ومصائد الأسماك، هي من يتولى تقديم هذه الدورات، وكانت تُعقد في يافا، ثم عُقدت في القدس لاحقاً وكانت لمدة شهرين[١١٩].

(١١٤) س٢٣/٣/٤٣، ص ١٣، ٢٨/٣/١٩٢١م.
(١١٥) س٢٣/٣/٤٣، ص ٤، ٣١/١٢/١٩٢٠م.
(١١٦) س٢٣/٣/٤٨، ص ٣٣، ١٠/١٠/١٩٤٠م.
(١١٧) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٠، ٢٤/٤/١٩٤٦م.
(١١٨) س٢٣/٣/٤٨، ص ٩، ١٦/٤/١٩٤٠م.
(١١٩) س٢٣/٣/٤٨، ص ٨، ١٠/٤/١٩٤٠. ص ٥٩، ٢٨/١/١٩٤٣م.

وفي كتاب من المفتش البيطري بنابلس، إلى رئيس البلدية، عندما اشتكى من عدم قدرة مفتش اللحوم على القيام بالتفتيش على اللحوم خارج المسلخ وداخله، وأن دمغ الذبائح لا يجري بصورة مُرضية، وبالتالي لا يمكن ضبطها، وعليه، فإن على البلدية استبدال الموظف الحالي بموظف متعلم ذي كفاءة لحضور دورة تفتيش وفحص لحوم، وبعد ثلاثة أيام انتدبت البلدية سميح الخفش للسفر إلى القدس لحضور دورة تعليمية للتفتيش عن اللحوم للمرة الثانية، إذ كان قد اجتازها سابقاً[١٢٠].

ومهما يكن من أمر، فقد تكون طاقم المسلخ من أربعة موظفين رسميين في البلدية هم؛ رشدي الطاهر، وهو مفتش اللحوم والمسؤول الإداري المباشر عن المسلخ وموظفيه ومحتوياته وراتبه (٧) جنيهات فلسطينية، ونائبة ومساعده سميح الخفش، وزكي حمد ياسين المصري وهو خادم المسلخ وراتبه (٣) جنيهات، وسليم ابو زنط وهو منظف أدوات وآلات المسلخ، وتولى تشغيل المولد الكهربائي وراتبه جنيه فلسطيني واحد حتى عام (١٩٤٢م)، وبكل الأحوال فقد عمل مفتش اللحوم تحت إشراف موظف البيطرة وطبيبها؛ أحمد خيري[١٢١].

لبس موظفي المسلخ ملابس خاصة سهلة التنظيف والتطهير، فتكونت من المرايل البيضاء، والأحذية الجلدية الطويلة من الكاوتشوك، وهي على نفقة البلدية[١٢٢].

عمل المسلخ

بلغ معدل عدد الحيوانات المذبوحة، في المسلخ، في صيف عام (١٩٣٢م)، ما مقداره (١٥٠٧) رأس من الحيوانات؛ (٨٠٪) منها خراف ذكور و(٢٠٪) منها جديان وبقر إناث[١٢٣]. وخلال الحرب العالمية الثانية، وتحديداً في العام (١٩٤٢م) طُلب من مفتش اللحوم بكتاب رسمي من البلدية عدم ذبح الخراف ذات وزن أقل من (١٥) كغم، وعدم ذبح الماعز ذات وزن أقل من (١٢) كغم، وذلك استناداً لقانون الدفاع المنشور في العدد (١١٨٥) من الوقائع الفلسطينية[١٢٤].

ولم يكن مسموحاً دخول أي شخص بدون صفة رسمية[١٢٥]، فقد تابعت البلدية تجديد رخص السليخة كل عام؛ ففي كتاب من رئيس البلدية إلى مفتش اللحوم

(١٢٠) س٢٣/٣/٥٥، ص ٢٠، ١٩٤٦/٧/٨م. س٢٣/٣/٥٥، ص ٢١، ١٩٤٦/٧/١١م.

(١٢١) س٢٣/٣/٤٨، ص ٥١، ١٩٤٢/٥/١٣م. س٢٣/٣/٥٥، ص ٢١، ١٩٤٦/٧/١١م. خاطر، الأوضاع، ص ٦٩.

(١٢٢) خاطر، الأوضاع، ص ٧٠.

(١٢٣) س٢٣/٣/٤٥، ص ١-٣، ٥/٤ - ١٩٣٢/٧/٣م.

(١٢٤) س٢٣/٣/٤٨، ص ٤٢، ١٩٤٢/٤/٢٠م.

(١٢٥) س٢٣/٣/٤٨، ص ٥٨، ١٩٤٢/١٢/٣١م.

يوم (١ كانون ثاني ١٩٤٧م)، ذكره بضرورة قيام السليخة بتجديد رخص العمل بالمسلخ[١٢٦]، فلقد كانت تعطى الرخصة بعد اجتياز الفحص الطبي من قبل طبيب الصحة[١٢٧]، وكانوا يعملون مع القصابين بأجر متفق عليه بين الطرفين.

كان العمل في المسلخ يتم على النحو التالي؛ يحضر القصاب حيواناته إلى المسلخ، ويقوم بذبحها بنفسه، أو يدفعها للسلّيخة المتواجدين لذبحها مقابل أجر، وقد بقي الأمر كذلك حتى نيسان (١٩٤١م) حيث قامت البلدية بتوزع عدد الذبائح على القصابين المرخصين، والمسموح لهم دخول المسلخ، فيقوم كل قصاب بذبح حصته وهي ثابته، ويمكن أن يذبح أقل منها، ولكن غير مسموح له تجاوزها، وقد تبين، من دراسة أرشيف المسلخ، أن الحصص كانت وفقاً لحجم البيع لكل قصاب. ولاحقاً اتفق القصابون على التشارك بالذبح معاً، ورفعوا كتاباً بذلك للبلدية، وقد وافقت البلدية على ذلك[١٢٨].

ويبدو أنه لم يكن متاح للقصابين تجاوز حصصهم من الذبائح بأي شكل، ومع تشديد الرقابة وتفعيل المخالفات؛ وجدنا بعض القصابين قد رفعوا كتباً للبلدية طالبوا بزيادة حصصهم من الذبائح مثل محمد أمين أبو زنط، وهو القصاب الوحيد في حارة الياسمينة؛ حيث قدم استدعاء لزيادة حصته من الذبائح[١٢٩].

وقد أُرفق باستدعاء القصاب عريضة قدمها مختار حارة الياسمينة موقعة من أكثر من ثمانين شخصاً من الحارة طالبوا فيها بزيادة حصة القصاب محمد أمين أبو زنط لعدم وجود قصابين غيره بالحارة، وهي لا تكفي حاجات سكان الحارة البالغين (٤٠٠٠) نسمة، يضاف لهم أهل القرى المجاورة الذين يشترون اللحم منها، كما رفع رشدي مرمش استدعاء طالب فيه زيادة حصته، وهي رأس واحد، وأن ربحها لا يكفي سد حاجات بيته وأسرته[١٣٠].

(١٢٦) س٢٣/٣/٥٥، ص ٣٥، ١/١/١٩٤٧م.

(١٢٧) س٢٣/٣/٥٥، ص ٤٢، ٢٧/٢/١٩٤٧م.

(١٢٨) س٢٣/٣/٤٨، ص ٩، ٢٦/٥/١٩٤٢.

(١٢٩) س٢٣/٣/٥١، ص ٢٧، ١/٦/١٩٤٢م.

(١٣٠) س٢٣/٣/٥١، ص ٢٧، ١/٦/١٩٤٢م. س٢٣/٣/٥١، ص ٣٢، ٤/٦/١٩٤١م.

رسوم الذبائح المستوفاة من القصابين خلال الفترة (١٩٢٣م- ١٩٤٨م)[١٣١].

١٩٢٣م		١٩٢٨م		١٩٤٨م	
الذبائح	"رسوم "مل	الذبائح	"رسوم "مل	الذبائح	"رسوم "مل
الاغنام الصغير	١٥	الاغنام الصغير	٥٠	الاغنام الصغير	٦٠
الاغنام الكبيرة	٣٠	الاغنام الكبيرة	١٠٠	الاغنام الكبيرة	١٢٠
العجل	٥٠	العجل	١٨٠	العجل	٢١٦
البقر	٩٠	البقر	٣٠٠	البقر	٣٦٠
الجاموس	١٥٠	الجاموس	٤٥٠	الجاموس	٥٤٠
الجمل	١٥٠	الجمل	٤٥٠	الجمل	٥٤٠
				الخنزير	٦٠٠

راعت البلدية، في عمل المسلخ، حاجات الطائفة السامرية، فقامت بالذبح بشكل مخصوص ومنسجم مع معتقداتهم، وبالاستناد إلى توجيهات كان يصدرها رئيس الطائفة للبلدية كل يوم أحد من كل أسبوع، وكان مخصصاً لها رأس أو إثنان من الغنم كبيرة، أو ثلاثة رؤوس صغيرة؛ كان يذبحها عبد الغفار المصري[١٣٢].

استخدمت البلدية مادتين من الحبر لدمغ الحيوانات في المسلخ، بعد فحصها، ومعاينتها، والتأكد من صلاحيتها؛ مادة "الميثيلين رقم ٣٣٧٥" بنفسجية اللون، بلغ سعر الكغم منها جنيه و(٧٥) مل، وقد اشترتها من شركة "الصناعات الكيماوية الامبراطورية للشرق المحدودة" في يافا[١٣٣]، ومادة "الإيثيلين" وهي غير جاهزة للاستعمال، فكان المفتش البيطري في نابلس وللحصول على (١٠٠) غرام منها يقوم بخلط المواد والكميات على النحو التالي؛ غرام واحد صبغة ايثيلين، غرام واحد روح الخل، (٧٠) غرام ماء، (٢٥) غرام صمغ عربي مذاب بنسبة جزء لجزء، (٣) غرامات جلسرين[١٣٤].

لم يكن الحصول على مادة "الإيثيلين" متاحاً بشكل مباشر من السوق؛ إذ ينبغي للبلدية الحصول على تصريح من "مراقب الصناعات الخفيفة"، وكانت الأمور تتم وفق إجراءات كالتالي؛ يرسل رئيس البلدية كتاباً إلى المفتش البيطري في نابلس بطلب المادة، فيقوم المفتش البيطري بمخاطبة "مراقب الصناعات الخفيفة" الذي يدرس الاحتياجات، ثم يرسل للمفتش البيطري بتصريح لشراء المادة، والذي يقوم بدوره بشرائها وتوزيعها

(١٣١) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٠٣، ١٩٤٨/٦/٢٤م. خاطر، الأوضاع، ص ٧٣-٧٤.

(١٣٢) س٢٣/٣/٤٨، ص ١١، ١٩٤٢/٥/٢٧م.

(١٣٣) س٢٣/٣/٥٥، ص ٢٤، ١٩٤٦/٤/٢م.

(١٣٤) س٢٣/٣/٥٥، ص ٨، ١٩٤٦/٥/١٤م.

على البلديات؛ فمثلاً حصل المفتش البيطري على تصريح لشراء (٥) كغم من هذه المادة؛ فأرسل لبلديات نابلس، وطولكرم، وجنين مقدار كغم واحد لكل منها، فيما أرسل نصف كغم لكل من مجلس محلي قلقيلية، ومجلس محلي عنبتا آنذاك[١٣٥].

ويبدو ان ارتفاع اسعار مادة دمغ اللحوم أثرت في استخدامها، والدفع نحو التقنين بها من قبل مفتش اللحوم في المسلخ؛ ذلك ان المفتش البيطري بنابلس رفع كتابا لرئيس البلدية شكا فيه من عدم وضوح صبغة الدمغة على اللحوم، ولا يمكن تمييزها، وطلب التشديد على مفتش اللحوم لتوضيح الدمغة، وبالاستناد إلى هذا الكتاب ارسل رئيس البلدية كتابا لمفتش اللحوم طلب منه التشديد على دمغ الحيوانات بوضوح، والا سيتم اتخاذ إجراءات تكفل القيام بذلك[١٣٦].

حافظت البلدية على ضمان سير العمل في المسلخ عند تغيب أحد موظفيها؛ فعندما تغيب خادم المسلخ زكي حمد المصري عن العمل ثلاثة أيام بسبب حمى الملاريا، وبموجب تقرير إجازة طبية من الدكتور صلاح الدين العنبتاوي؛ فقد احضر مفتش اللحوم خادماً آخر حل مكانه طوال فترة الغياب وبأجرة يومية بلغت (٢٠٠) مل[١٣٧].

الإصلاحات في المسلخ

تعتبر طبيعة العمل في المسلخ ذات صفة قاسية بطبيعة الحال؛ فالتعامل مع الحيوانات ومقاومتها قبل الذبح، واستخدام الأدوات الحديدية الثقيلة والسكاكين، والسواطير الحادة، وكثرة المياه المتدفقة، ودماء الحيوانات، ومخلفات أمعائها، وأحشائها، كلها عوامل أدت بمرور الزمن إلى عملية خراب وتآكل في بناء المسلخ احتاجت لإصلاح دائم.

وكانت أول مشكلة رافقت بداية عمل المسلخ، مشكلة ضيق حوض التصريف في المسلخ، فراسلت البلدية مهندس اللواء الشمالي "نوبل" الذي عرض إصلاح الحوض من خلال إيصاله بحوض معسكر الجيش البريطاني - المعسكر العثماني سابقاً - في نابلس، مقابل دفع البلدية مبلغ (٣٧) جنيه فلسطيني، وقد دفعتها من مخصصات طريق رأس العين لعدم وجود مخصصات خاصة للمسلخ آنذاك، وتم الاتفاق على ذلك يوم (١٦ شباط ١٩٢٤م)[١٣٨].

(١٣٥) س٢٣/٣/٥٥، ص ٥، ١٥/٤/١٩٤٦م.

(١٣٦) س٢٣/٣/٥٥، ص ٢٥، ١٣/٨/١٩٤٦م. س٢٣/٣/٥٥، ص ٢٦، ١٥/٨/١٩٤٦م.

(١٣٧) س٢٣/٣/٥٥، ص ٨٧، ٨/٦/١٩٤٨م.

(١٣٨) س٢٣/١/٤، ص ١٥-١٨، ١٦/٣/١٩٢٣م.

حافظت البلدية على عملية إصلاح المسلخ، ومرفقاته وأجهزته، لضمان استمرار عمله، ومن خلال التقارير الرسمية، التي راعت التسلسل الإجرائي؛ فمثلاً رفع مفتش اللحوم تقريراً لمهندس البلدية يوم (٤ تشرين اول ١٩٤٣م)، حول الإصلاحات التي يحتاجها المسلخ، فقام المهندس بالكشف على الموقع، وحدد حجم الخراب والإصلاحات المطلوبة وتكاليفها، ورفع بذلك تقريراً لرئيس البلدية تضمن طلب الإصلاحات التالية؛ استبدال الباب الخشبي الجنوبي للمسلخ بآخر حديد، شراء بلاتين عدد (٢) لموتور المسلخ، استبدال حنفية واحدة، إصلاح (٢٥) بلاطة صيني مخلوعة من أحد الجدران - تمت سرقتها وفقا للتقرير - حيث ان المهندس لم يجدها ولا حتى وهي مكسورة، وقد بلغت تكاليف هذه الإصلاحات (٣) جنيهات و(٩٣٠) مل[١٣٩]. وقد تمت قصارة الأجزاء المخلوعة لاحقاً، وبعد سنتين نظرا لعدم توفر بلاط صيني بنفس المواصفات المطلوبة[١٤٠].

كما تعرض سور المسلخ الخارجي للهدم بسبب اصطدام سيارة الأشغال التي كان يقودها "ربحي بها"، وقد تم إصلاحه على نفقة دائرة الأشغال بنابلس بإشراف مهندس البلدية[١٤١].

ويظهر من متابعة تقارير البلدية أن أعمال تخريب متعمد، وسرقة حصلت في المسلخ في شهر تشرين اول من عام (١٩٤٣م) ولاحقاً لهذا التاريخ؛ فبالإضافة إلى اختفاء (٢٥) بلاطة من جدران المسلخ كما ورد اعلاه، فقد كانت هناك سرقة لقفل ومتراس الباب الرئيسي للمسلخ[١٤٢].

كما تمت سرقة أحد الأبواب الخشبية للمسلخ عام (١٩٤٥م) من قبل أحد العاملين بالذبح، وتم تقديم بلاغ رسمي للشرطة، ورُفعت دعوى عليه، وقد اعترف بالسرقة، وتمت معاقبته بالسجن، وفيما قدم استرحاما للبلدية للسماح له بالدخول، والعمل في المسلخ، فقد منعته البلدية لاحقاً من الدخول للمسلخ[١٤٣].

كما أفاد سائق سيارة التنظيفات التابعة للبلدية صبحي قناديلو؛ أنه وأثناء مروره الساعة الرابعة عصراً يوم (١٠ تشرين اول ١٩٤٦م)، استوقفه حراس مخزن دائرة الاشغال بجوار المسلخ ولفتوا انتباهه لوجود مياه متدفقة من المسلخ وهو

(١٣٩) س٢٣/٣/٥٣، ص ١-٣، ٤-٦/١٠/١٩٤٣م.

(١٤٠) س٢٣/٣/٥٣، ص ١٤، ٤/٤/١٩٤٦م.

(١٤١) س٢٣/٣/٤٨، ٧٥، ٧/١٠/١٩٤٣م.

(١٤٢) س٢٣/٣/٤٨، ص ٧٦، ٩/١٠/١٩٤٣م.

(١٤٣) س٢٣/٣/٤٨، ص ٨٨-٩١، ٢١/١- ١٢/٥/١٩٤٥م.

مقفل، وأنهم جميعاً تعاونوا على الدخول من خلال سطح المسلخ، وأحد الشبابيك، فوجدوا ثلاث حنفيات مفتوحة على أرض المسلخ. وبالاستناد لهذه الافادة قامت البلدية بخصم أجرة يوم عمل لخادم المسلخ زكي حمد المصري، وأرسلت كتاباً خطياً اتهمته بالإهمال، وبيع الماء، وأنذرته بعدم تكرار ذلك، كما أرسلت كتاباً آخر لمفتش اللحوم بضرورة مراقبة خادم المسلخ وتقديم أي شكوى ضده(١٤٤).

لم تتوقف الإصلاحات بسبب تكرار حصول المشاكل دوماً؛ فقد كانت قناة المسلخ الخارجة لجهة الشرق ناحية بستان الغزاوي - حديقة إسعاد الطفولة، والموتورات، وقسم الحركة في البلدية حالياً - ذات أرضية ترابية، وكانت تتراكم فيه الأوساخ؛ فتمت قصارتها وعمل جدران مائلة لمنع وقوف الأوساخ والماء(١٤٥). كما تم عمل قناة في غرفة الذبح الجنوبية الشرقية لتصريف الدم، وتصليح حوض غسل اليدين، واستبدال صندوق المعدمات للحيوانات المذبوحة وغير لائقة صحيا، ودهان طاولة المكتب وخزانته(١٤٦).

كما قامت البلدية بإصلاح موتور بيت الذبيحة وماكينة الكبس، الذي أُستخدم لنفخ الذبائح وفحصها آنذاك، من خلال شركة "الاتحاد الهندسية الميكانيكية" في يافا، بتكلفة وصلت إلى (١٧) جنيها و(١٥٠) مل(١٤٧).

وقد استمرت البلدية بالاصلاحات اللازمة حتى أثناء حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) ولم تتوقف؛ فقد وجه رئيس البلدية كتابا لدائرة الاشغال فيه طلب تسليم مفتش الابنية في البلدية آنذاك محمد تفاحة (٦٠) شوال أسمنت من اجل إصلاحات في المسلخ وأعمال أخرى(١٤٨).

التفتيش

أُخضعت الحيوانات المذبوحة في المسلخ لفحص مفتش اللحوم، وكان يتم إعدام كل ذبيحة غير مستوفية للشروط الصحية، وذلك بوضعها في "صندوق السَقَط" ووضع مادة الفونيك عليه لضمان عدم استخدامها بشكل أو بآخر، أو بحرقها(١٤٩).

شكلت جولات التفتيش اليومية لمفتش اللحوم و"الباش ملاحظ" محمد سليم

(١٤٤) س٢٣/٣/٥٥، ص ٢٨-٢٩، ١٠/١٠/١٩٤٦م.

(١٤٥) س٢٣/٣/٥٣، ص ٧-١٠، ٢٦، ٢٧/٢/١٩٤٦م. مقابلة شخصية، سمير حمدي عبد الله مسعود البدوي، نابلس، ٦٨ سنة، ١٦/١/٢٠١٩م.

(١٤٦) س٢٣/٣/٥٣، ص ٨، ١٤/٣/١٩٤٦م.

(١٤٧) س٢٣/٣/٥٣، ص ١٢-١٥، ١١/٣ - ٢٧/٤/١٩٤٦م.

(١٤٨) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٠٩، ٢٩/٦/١٩٤٨م.

(١٤٩) س٢٧/٩، ص ١٢٧، ق ٥٥١، سنة ١٩١٣م. س ٢٧/٩، ص ١٨٢، ق ٧٨٨، سنة ١٩١٣م. س٢٣/٣/٤٧، ص ١-٢، ٢٧/٦/١٩٣٧م.

الخياط جزءاً من مهام المسلخ في ضبط حِرفَة بيع اللحوم في المدينة، ويُظهر أرشيف البلدية المتعلق بالمسلخ أن البلدية قامت بجولات يومية للتفتيش على اللحوم خلال العقد الأول من القرن العشرين على وجه الخصوص، وأنه كان هناك عنتٌ، وعدم تقبل للنظام الجديد من معظم القصابين؛ فلم يكن هناك يوم واحد خلا من تقارير حول المخالفين لتعليمات الذبح، أو نقل الذبائح، أو بيع اللحوم[١٥٠].

تشددت البلدية في ضبط أمور المسلخ، ووفقاً للوائح والقوانين؛ فقد جاء في كتاب من رئيس البلدية إلى مفتش اللحوم في البلدية ومأمورها آنذاك رشدي الطاهر، يفيد بقيام طبيب الجيش البريطاني بزيارة للمسلخ يوم (٢٢ حزيران ١٩٣٨م)، فوجده بحالة سيئة، وطلب رئيس البلدية من مفتش اللحوم ضرورة التأكد من نظافة المسلخ قبل مغادرته، وفي (١٤ تموز ١٩٣٨م) قام قائمقام نابلس، وبمرافقة مهندس البلدية بزيارة فجائية للمسلخ؛ فلم يجدوا الموظفين ووجدوا المسلخ بحالة قذرة، فتم خصم أجرة خمس أيام عمل، وتوجيه إنذار للموظفين والعمال المسئولين والتشديد على عدم تكرار ذلك[١٥١].

ولكن القصة لم تنتهِ عند هذا الحد؛ فقد قام رئيس الأطباء البيطريين في القدس بزيارة المسلخ والتفتيش عليه يوم (١٥ آب ١٩٣٨م) ووجد أن المسلخ نظيف وبحالة جيدة، وأن مفتش اللحوم قام بالتحسينات المطلوبة[١٥٢]، إلا أن ذلك لم يكن كافيا على ما يبدو؛ فقد تم إيقاف مفتش اللحوم رشدي الطاهر عن العمل بدءاً من يوم الاثنين (٢٧ تشرين ثاني ١٩٣٨م) وطُلب منه تسليم ختم المسلخ والعهدة إلى سميح الخفش[١٥٣]. على أن البلدية تراجعت عن قرارها لاحقاً؛ فقد كان رشدي الطاهر على رأس عمله كمفتش للحوم في العام (١٩٤٣م)[١٥٤].

بدا واضحاً من قراءة أرشيف مكتبة البلدية، أن هناك قصوراً لدى بعض موظفي المسلخ؛ ففي تقريره لرئيس البلدية، اشتكى مهندس البلدية من الحالة الصحية السيئة للمسلخ، وطالب بإعلام مفتش اللحوم رشدي الطاهر، وعامل المسلخ زكي حمد المصري، بضرورة الاعتناء بالمسلخ، وقد قام رئيس البلدية بتوجيه كتاب للاثنين طالبهما بالاعتناء بالمسلخ، وإلا سيتخذ الإجراءات القانونية بحقهما[١٥٥].

(١٥٠) س٤٦/٣/٢٣، ص ١-٢٩، ١-١٩٣٥/٤/٢٩م. س٤٦/٣/٢٣، ص ٥٣، ٢٦٥، ١٩٣٥/٥/١ - ١٩٣٦/٢/٢٨م.

(١٥١) س٤٧/٣/٢٣، ص ١٣،١٥، ٩-١٩٣٨/٧/٢١م.

(١٥٢) س٤٧/٣/٢٣، ص ٢٠، ١٩٣٨/٨/١٥م.

(١٥٣) س٤٧/٣/٢٣، ص ٢٢، ١٩٣٨/١١/٢٧م.

(١٥٤) س٤٨/٣/٢٣، ص ٧٦، ١٩٤٣/١٠/٩م.

(١٥٥) س٤٨/٣/٢٣، ص ٧٦-٧٨، ٩-١٩٤٣/١٠/٢٥م.

كان الدخول للمسلخ مسموحاً لمن له عمل رسمي فقط؛ وحمل كل شخص مخول له بالدخول رقم خاص به مكتوب على قطعة نحاسية، وقد بلغ عدد المسموح لهم بالدخول من القصابين والسلاخين (٤٢) شخصاً حتى تاريخ (٣ تموز ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)، وكان يتم التشديد على عدم دخول أي شخص لا يحمل نمرة نحاسية، وكان يتم مساءلة مفتش اللحوم عن أي شخص يدخل دون هذه النمرة[١٥٦].

حرب عام (١٩٤٨م) وعلاقة المسلخ بها

أثرت حرب عام (١٩٤٨م) في قطاعات كبيرة من الشعب الفلسطيني، وتركت آثارا ونتائج ما زالت ماثلة ليومنا هذا، وقد كُتب الكثير عنها؛ وما نستعرضه هنا – في ثلاثة محاور – هو جزء غير مرئي من الصورة الكاملة، ويوضح تفاصيل يومية ذات علاقة بحرب فلسطين من خلال الحديث عن المسلخ كأحد مؤسسات بلدية نابلس.

الجيش العراقي والأردني

يشير أرشيف مكتبة البلدية أن المسلخ لم يتوقف عن العمل خلال حرب عام (١٩٤٨م)، وبقي يقدم خدماته للقصابين والبلدية والمواطنين، وللجيشين العراقي والأردني. ففي تقرير رفعه مفتش اللحوم للبلدية اشتكى فيه من أن القصاب رفيق علي المصري، وهو متعهد اللحوم للجيش العراقي، يقوم بالذبح خارج المسلخ، وطلب اتخاذ اللازم، وقد تم إخطار القصاب المقصود خطياً في اليوم التالي بضرورة التقيد بالقانون، والا سيتخذ بحقه الاجراءات القانونية[١٥٧].

اقتضى تواجد الجيش العراقي في نابلس تغييرا على دوام عمال وموظفي المسلخ؛ فقد أرسل رئيس بلدية نابلس كتابا مستعجلا لمفتش اللحوم بضرورة فتح أبواب المسلخ ساعة أبكر عن الموعد المعتاد، وهو الساعة الرابعة صباحاً؛ من أجل ذبح ومعاينة وتسليم الذبائح للجيش[١٥٨].

كما زادت كمية الوقود المستهلكة لموتور المسلخ – وهو بقوة ثلاثة أحصنة – إذ رفع رئيس البلدية كتابا لحاكم لواء نابلس طلب فيها تصريحاً لتسلّم كمية كافية من "الكاز الأبيض" لإدارة موتور المسلخ، ذلك أن الموتور أصبح يعمل ساعات اطول بسبب كثرة ذبحيات الجيش العراقي[١٥٩].

(١٥٦) ٥٥/٣/٢٣، ص ١٩، ١٩٤٦/٧/٣م.

(١٥٧) س٥٥/٣/٢٣، ص ٨٤–٨٥، ١٩٤٨/٦/٩م.

(١٥٨) س٥٥/٣/٢٣، ص ٩٨، ١٩٤٨/٦/١٤م.

(١٥٩) س٥٥/٣/٢٣، ص ١٥٠، ١٩٤٨/١١/١٠م.

سعت البلدية للتخلي عن تحصيل رسوم الذبحية من خلال موظفيها، فطرحت تحصيل رسوم الذبحية لسنة (١٩٤٨ - ١٩٤٩م) بطريقة المزاد العلني يوم (٢٠ آذار ١٩٤٨م) وكان الحد الأدنى لمبلغ المزاد (٢٠٠٠) جنيه[١٦٠].

وقد حصل عزة شاهين على التعهد، وأعطى بدوره تعهد تحصيل الرسوم إلى عدد من المتعهدين الأصغر، وقد أدى توريد اللحوم إلى الجيش العراقي إلى خصامات ومشاحنات بين المتعهدين؛ فمثلا رفع عزة شاهين كتابا إلى رئيس البلدية طالبه فيه بالتدخل لدى قيادة الجيش العراقي للضغط على موردي اللحوم للجيش وهم؛ عبد الكريم وناصح شاهين، لدفع مبلغ (١٠٣٨) جنيهاً و(٢٥٥) مل هي قيمة الذبائح التي سلموها للجيش العراقي خلال الفترة من (١٦ تشرين اول ١٩٤٨م) إلى (١٧ آذار ١٩٤٩م)، وأردف عزة شاهين في كتابه؛ رغم أن القانون ينص على عدم إخراج اللحوم قبل الدفع إلا أنه تساهل بالأمر حتى لا تتأخر اللحوم على الجيش، وعطفاً على ذلك أرسل رئيس البلدية كتاباً إلى "معاون آمر خط مواصلات الجيش العراقي" بهذا الخصوص[١٦١].

كما أرسل رئيس البلدية كتابا آخر إلى موردي اللحوم المذكورين؛ بضرورة دفع المبلغ المذكور إلى عزة شاهين خلال ثلاثة أيام وإلا سيُتخذ الاجراءات القانونية بحقهما، ويظهر من الكتاب انه وصل إلى عبد الكريم وناصح شاهين؛ إذ وجدت ملاحظة بخط اليد مفادها "لا يوجد له هذا المبلغ ونحن مستعدون للمحاسبة" ثم توقيع عبد الكريم شاهين[١٦٢].

دفع إحالة تحصيل الرسوم إلى المتعهد عزة المصري، بطبيعة الحال، لقيامه بدور مراقب للقصابين لضمان حقوقه؛ فمثلاً اشتكى بكتاب خطي لرئيس البلدية أن أغلب القصابين يذبحون أغنامهم خارج المسلخ؛ الامر الذي يضر بالصحة العامة لعدم خضوعها للمعاينة الطبية، كما يحرمه ذلك من رسوم ذبحها بالمسلخ، ولا سيما أن بعض القصابين لا يقر بالعدد الصحيح لذبائحه[١٦٣].

ولكن ذلك لم يمنع البلدية من الحفاظ على الصحة العامة، والقيام بدورها بكل الاحوال؛ ففي تقرير مفتش الصحة لرئيس البلدية اشتكى المفتش من قيام القصاب علي المصري بذبح الأغنام خارج المسلخ، وبالقرب من سبيل الطاهر، وانه

(١٦٠) س٢٣/٣/٥٥، ص ٧٩، ٢٠/٣٠/١٩٤٨م.

(١٦١) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٦٩، ٢٧/٣/١٩٤٩م.

(١٦٢) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٧٢، ٢/٤/١٩٤٩م.

(١٦٣) س٢٣/٣/٥٥، ص ٨٨، ٧/٦/١٩٤٨م.

يترك أوساخ الأمعاء والكرش والدم في المكان أكثر من ساعة ريثما يصير تنظيفها بالماء الجاري؛ الأمر الذي أدى لتجمع الذباب والروائح الكريهة، وطلب المفتش عمل اللازم[١٦٤].

ومهما يكن من أمر، فقد حصل علي رفيق المصري لاحقاً على تعهد ذبحية الجيش الأردني، وكان التعهد يشمل التالي؛ يقدم المتعهد للجيش خرفاناً حية، ويذبحها في المسلخ، وأن يدفع مبلغ (٤٠٠) مل عن كل رأس، بالإضافة لرسوم الذبحية المقررة من البلدية؛ وذلك مقابل حصوله على الجلد والسَقَط (الرأس والكبد والأمعاء) ما عدا الكلى والخصيتين[١٦٥].

وقد شددت قيادة اللواء الثاني على ضرورة الذبح داخل المسلخ، وأرسلت كتاباً لمتعهد ذبحية لحوم قيادة اللواء الثاني بضرورة التقيد بالتالي؛ عرض الحيوانات على المفتش قبل الذبح وبعده، وختمها بختم البلدية، ودفع الرسوم القانونية[١٦٦]، ولم يأت هذا الكتاب من فراغ؛ ففي وقت سابق رفع مفتش اللحوم كتاباً لرئيس البلدية اشتكى فيه من أن متعهدي اللحوم للجيش قد خالفوا اوقات الدوام الرسمي المعتاد (وهو من الساعة ٤ صباحا حتى ١٠ صباحا)، وأنهم يذبحون ظهراً أو عصراً أو عند الغروب أو ليلاً، الأمر الذي يساعد على عدم التدقيق على اللحوم، والتأكد من صلاحيتها صحياً وتهريبها، وطلب من رئيس البلدية تحديد اوقات الدوام الرسمي لفتح واغلاق المسلخ[١٦٧].

اللاجئون

استقبلت نابلس، كغيرها من مدن فلسطين، عدداً كبيراً من المهجرين، وعلى خلفية ما نتج عن الحرب من فوضى، ومآسي رافقت التهجير، وإذ تلقى اللاجئين المساعدات؛ فقد سعى القادرون منهم للبحث عن عمل، وكان المسلخ عنواناً لبعضهم بحثوا فيه عن مصدر رزق لهم.

(١٦٤) س٢٣/٣/٥٥، ص ٨٩، ٨/٦/١٩٤٨م.

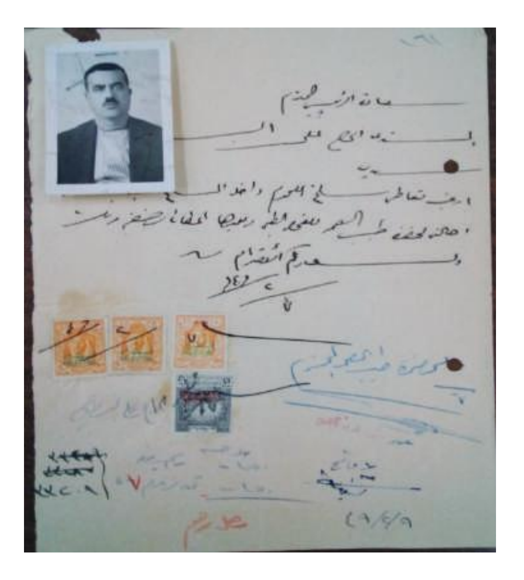
(١٦٥) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٧٥، ١٨/٤/١٩٤٩م.

(١٦٦) س٢٣/٣/٥٥، ص ٣/٥/١٩٤٩م.

(١٦٧) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٤٥، ٢٨/٨/١٩٤٨م.



إستدعاء حسن علي البنا للعمل في مسلخ نابلس



إستدعاء علي البسطامي للعمل في مسلخ نابلس

كان محمود علي البنا يزاول مهنة لحام في يافا قبل التهجير، وإذ قطن نابلس بعد التهجير فقد تقدم بطلب للبلدية للحصول على تصريح للدخول والعمل في المسلخ، وبعد شهر تقدم شقيقه حسن بنفس الطلب، وتم قبوله للعمل في المسلخ(١٦٨).

كما تقدم كل من؛ كمال عبد الرحمن شُقيدف النابلسي من يافا، وعلي البسطامي من الرملة للعمل في المسلخ، وقد تم قبولهما بعد اجتياز الفحص الطبي(١٦٩).

فقدان الأمن وفوضى

انعكست حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) على شتى مجالات الحياة عموماً، وعلى كافة القطاعات لدى الشعب الفلسطيني، وعلى نطاق مسلخ بلدية نابلس على نحو خاص، فقد سادت حالة من الفوضى بنفس الفترة، لم تقف البلدية مكتوفة الأيدي أمامها كما يشير أرشيف مكتبة البلدية، وقد أمكن تلمس حالة الفوضى من خلال عدة امور فمثلاً؛ استناداً لتقرير المفتش البيطري للبلدية رفع رئيس البلدية كتاباً إلى مدير شرطة اللواء؛ طلب منه تزويد المسلخ بنفرين من حرس الشرطة للقيام بالأمور التالية؛ تأمين النظام، وتنفيذ تعليمات مفتش اللحوم، ومراقبة القصابين(١٧٠).

(١٦٨) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٥٧، ١٩٤٩/١/٨م. س٢٣/٣/٥٥، ص ١٥٩، ١٩٤٩/٢/٣م.

(١٦٩) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٦٠، ١٩٤٩/٢/٣م. س٢٣/٣/٥٥، ص ١٦١، ١٩٤٩/٢/٧م.

(١٧٠) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٠٠، ١٩٤٨/٦/١٩م.

ويظهر أن شرطة اللواء أرسلت عنصرين من الشرطة فعلا، فقد رفع رئيس البلدية كتاباً بعد عشرة أيام يفيد أن أحد الشرطيين تخلف عن الحضور منذ أربعة أيام، وطلب رئيس البلدية تأمين بديل له في المسلخ، وقد تبين ان الشرطة أرسلت فعلا عنصرين(١٧١).

لم تكن حالة الفوضى داخل المسلخ فقط؛ ففي تقرير رفعه مفتش اللحوم سميح الخفش إلى رئيس البلدية موضوعه التفتيش على الحيوانات المذبوحة خارج المسلخ، طالب بتوفير حماية أثناء التفتيش، واستناداً لذلك رفع رئيس البلدية كتاباً إلى مركز شرطة نابلس طلب فيه توفير شرطي لمرافقة مفتش اللحوم بين الحين والآخر، وقد رد مدير الشرطة بإمكانية توفير عنصرين من الشرطة بدل واحد لمرافقة مفتش اللحوم(١٧٢).

لاحقاً ونظرا لاستمرار تأثيرات حرب عام (١٩٤٨م) قلصت الشرطة حرس المسلخ إلى نفر واحد، وذلك بسبب كثرة أعمال الشرطة مؤخرا؛ وفقاً للتعبير كما جاء في كتاب رفعه قائد منطقة شرطة نابلس إلى رئيس البلدية(١٧٣).

وكان هناك جانب آخر للفوضى ذو علاقة بالمسلخ، تمثل بالتزوير والتهريب؛ ففي تقرير رفعه مفتش اللحوم سميح الخفش إلى رئيس البلدية أفاد بالتالي؛ ضرورة التشديد على عدم ذبح الخراف الهزيلة في المسلخ، ذلك أن هناك بعض "المهجرين" يقومون بذبحها وتهريبها داخل سلال صغيرة ويتجولون بها في الحارات، كما عمد بعضهم إلى تزوير ختم البلدية بوساطة علبة معدنية مستديرة يضع عليها حبر أزرق يدمغ بها الذبيحة، وأن المفتش لا يستطيع تعقب هؤلاء خلال أوقات دوامه الرسمي، وطلب من البلدية عمل اللازم(١٧٤).

هدم المسلخ

في العام (١٩٤١م) قدم قصابو مدينة نابلس كتابا حمل تواقيعهم إلى رئيس البلدية يشتكون من ضيق المسلخ، وخاصة في أيام الشتاء، وطالبوا بتوسيعه، إذ يُضطر جميع القصابين والسلاخين للتواجد داخل المسلخ بذات الوقت هربا من مطر وبرد الشتاء، كما طالبوا بعمل رصيف للمسلخ، ذلك ان الساحات الخارجية

(١٧١) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٠٧، ١٩٤٨/٦/٣٠م.
(١٧٢) س٢٣/٣/٥٥، ص ١١٣، ١١٧، ٣-١٩٤٨/٧/٦م.
(١٧٣) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٧٩، ١٩٤٩/٥/٣م.
(١٧٤) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٩٣، ١٩٤٩/١٢/٨م.

للمسلخ ترابية وتتحول إلى أوحال في الشتاء وتصبح النظافة معها مفقودة[١٧٥].

وبكل الأحوال، فقد أدى تداخل الأعمال في المسلخ إلى صعوبة في تطبيق الشروط الصحية للذبح والذبائح؛ ففي صالون الذبح الرئيسي كانت تتم عمليه ذبح الحيوانات، وعملية تنظيف أحشائها وأمعائها، الأمر الذي تسبب ليس بانتشار الروائح الكريهة فقط؛ بل أخل ذلك بالشروط الصحية اللائقة للذبائح، وهو أمر نلحظه من كتاب أرسله رئيس البلدية إلى ثلاثة من آل فضة هم؛ صادق وعاهد وراشد، كان بحوزتهم تعهد تنظيف أمعاء وأحشاء الذبائح؛ حيث طلب منهم نقل أدواتهم وعملهم إلى خارج صالون الذبح الرئيسي؛ نظراً لضيق المسلخ، واستناداً لتقرير الطبيب البيطري بنابلس بضرورة فصل الأعمال اليومية بالمسلخ[١٧٦].

ونظراً لترابط الأعمال، فقد وافقت البلدية، وبعد موافقة كبير أطباء لواء السامرة على تأجير غرفة الدباغة في المسلخ لآل فضة، كما تقرر عليهم دفع مبلغ ثلاثة جنيهات شهرياً مقابل نقل مخلفات الامعاء والاحشاء[١٧٧].

على أن ذلك لم يكن سوى حل مؤقت لمشكلة ضيق المسلخ؛ فالمدينة تتوسع وازداد الطلب على اللحوم، ولم يعد المسلخ – بحالته تلك – كافياً لتوفير الذبائح بالشروط الصحية اللائقة، فسعت البلدية لبناء مسلخ آخر في مكان آخر، فقامت بهدمه في الفترة الواقعة بين (١٩٥٨م – ١٩٦٠م)، وعلى الاغلب بعد أن تم تجهيز المسلخ الجديد الواقع شرقي المدينة[١٧٨].

ولم يُعثر على تاريخ محدد لبناء المسلخ الحالي، في قسم الهندسة، في بلدية نابلس، وهو بالخدمة حالياً، فهو يقع في أراضي قرية بلاطة في القطعتين (٢) و(٣) من حوض رقم (١٢)، ويُعتقد انه بُني بين عامي (١٩٥٨م – ١٩٦٠م)[١٧٩]، وهو تقدير صحيح، ذلك أن أرض المسلخ لم تكن ضمن مخطط للبلدية حتى العام (١٩٦١م)، فاضطرت البلدية لشراء قطع الأراضي تلك لإقامة المسلخ عليها، ووُضعت مخططات لتوسعته في العام (١٩٨٧م) وشُرع بالبناء خلال سنتين لاحقاً[١٨٠].

(١٧٥) س٢٣/٣/٤٨، ص ٤٠، ١٨/٣/١٩٤١م.

(١٧٦) س٢٣/٣/٥٥، ص ٥٧، ١٩/١١/١٩٤٧م.

(١٧٧) س٢٣/٣/٥٥، ص ١٤٩، ٨/١١/١٩٤٨م.

(١٧٨) جولة ميدانية، مسلخ بلدية نابلس الحالي، ٢١/١/٢٠١٩م.

(١٧٩) مقابلة شخصية، سمير حمدي عبد الله مسعود البدوي، نابلس، ٦٨ سنة، ١٦/١/٢٠١٩م.

(١٨٠) مقابلة شخصية، أحمد شحادة محمد مسمار، ٦٠ سنة، نابلس، ١٧/١/٢٠١٩م. جولة ميدانية، مسلخ بلدية نابلس الحالي، ٢١/١/٢٠١٩م.

الخلاصة

خَلُص البحث إلى أن بلدية نابلس لعبت دورا كبيرا في مجال الحفاظ على الصحة العامة وكل ما يتعلق بها، وكانت أداة لتنفيذ الدستور والقانون العثماني، ثم القانون والأنظمة التي أقرتها بريطانيا خلال سنوات احتلالها لفلسطين، وقد جوبهت بعدم تقبل الناس والفئات ذات العلاقة لهذه القوانين، فتعاملت معهم وفقا للقانون وبالتسلسل الإجرائي؛ حتى ضمنت تطبيق القانون والوصول بالتالي إلى النتائج المطلوبة ما امكن ذلك، وساهمت بمرور الوقت بخلق ثقافة الالتزام بالقانون.

وعلى هذا، فقد عملت البلدية على العناية بالوقاية فيما يتعلق بصحة الناس والاغذية، وعملت على تنفيذ اللوائح الضامنة لذلك ما أمكن، فيما لجأت لجانب العلاج عند اللزوم. كما حافظت على الصحة العامة، والبيئة الطبيعية، وحاولت جاهدةً جعلها صحية لأبعد حد، فنراها رشت الماء بالطريق لمنع الغبار من التطاير، وتخفيف حدة الحرارة العالية، وألزمت أصحاب الافران على رفع المداخن لأبعاد الدخان عن البيوت والمحلات.

ورصد البحث دور البلدية عند وقوع الظواهر الطبيعية، كالزلزال، والفيضانات، وتتبع إجراءاتها لضمان الصحة العامة للمتضررين أولاً ثم لبقية الناس، والحفاظ على البيئة.

وبيّن البحث أيضاً أهمية ودور المسلخ كمؤسسة من مؤسسات بلدية نابلس، وكيفية أدائه لهذا الدور، فقد تعدى تنظيم، ورقابة ذبح الحيوانات، وفحصها ثم دمغها، ليقوم موظفو المسلخ بالرقابة على محلات بيع اللحوم، ومتابعة القصابين خارج المسلخ، ورفع تقارير للبلدية عن كل مخالفة.

كما كشف لنا البحث عملية بناء المسلخ، والأعمال التي رافقتها، وشملت عمليات التصليح الناتجة عن الخراب بسبب طبيعة العمل القاسية بالمسلخ، أو تلك الناتجة عن تخريب متعمد، وكشف عن كادره الوظيفي ومهامهم، وكيف عملت البلدية على ضمان قيامهم بعملهم، ومخالفتهم عند اللزوم، كما وضح البحث جانباً من جوانب الحياة اليومية للمسلخ خلال حرب فلسطين (١٩٤٨م) وبعدها، ووضح كيف وصلت تأثراتها لمسلخ بلدية نابلس من خلال استعراض بعض الأمثلة.

المصادر والمراجع

سجلات أرشيف مكتبة بلدية نابلس العثمانية:

١. ١/٢٧، ٤/٢٧، ٥/٢٧، ٦/٢٧، ٧/٢٧، ٨/٢٧، ٩/٢٧.

٢. ١/٣٧، ٧/٣٧، ٨/٣٧.

سجلات أرشيف مكتبة بلدية نابلس العهد البريطاني:

١. ٣/١/٢٣، ٤/١/٢٣، ٧/١/٢٣، ١٣/١/٢٣، ٢٠/١/٢٣.

٢. ٢٥/٢/٢٣، ٢٧/٢/٢٣.

٣. ٤٣/٣/٢٣، ٤٥/٣/٢٣، ٤٦/٣/٢٣، ٤٧/٣/٢٣، ٤٨/٣/٢٣، ٥١/٣/٢٣، ٥٣/٣/٢٣، ٥٥/٣/٢٣.

المصادر الأولية:

١. التميمي، محمد. الكاتب، محمد بهجت: ولاية بيروت. تحقيق زهير عبد اللطيف غنايم ومحمد عبد الكريم محافظة. عمان: الشركة الجديدة للطباعة والتجليد. ٢٠٠٠م.

٢. الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين. كفر قرع: دار الهدى م.ض. ٢٠٠٣م.

٣. النمر، إحسان: تاريخ جبل نابلس والبلقاء. ٤ أجزاء. ط ٢. نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤. نوفل، نوفل نعمة الله: الدستور، جزئين. المطبعة الادبية. ١٣٠١هـ.

المراجع:

١. الراميني، أكرم: نابلس في القرن التاسع عشر دراسة مستخلصة من سجلات المحكمة الشرعية بنابلس. عمان، الاردن: الجامعة الاردنية، مطابع دار الشعب. ١٩٧٦م.

٢. ابو عمشة، عادل محمد. ابو عمشة، رويد عادل محمد: الحاج توفيق حماد ١٨٦٨ - ١٩٣٤م، النشر بلدية نابلس، ط ١، ٢٠١٥م.

٣. أبحاث من وقائع مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، خزانة فلسطين التاريخية (١):

٤. ابو عمشة، عادل: المستشفى الوطني في كتابات المؤرخين النابلسيين، ص ٣٥٧.
٥. كلبونة، عبد الله: البيمارستانات في مدينة نابلس، ص ٣١٥.
٦. الشنار، عبد الرحمن: الطب في الخمسين عاماً الأخيرة في مدينة نابلس، ص ١٤٣.
٧. ابو صالح، وائل: زلزال سنة ١٩٢٧م وأثرة على مدينة نابلس، ص ٨٥.

رسائل الماجستير:

١. فارس، ضرغام غانم حلمي: مدينة نابلس وزلزال عام ١٩٢٧م من خلال الوثائق (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢. خاطر، إنصاف أسعد حسين: الأوضاع الصحية في نابلس إبان الانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣. علي، سعادة علي سعادة: بلدية نابلس إبان الانتداب البريطاني ١٩١٨ - ١٩٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

جولات ميدانية في مدينة نابلس:

١. موقع المعسكر العثماني سابقاً، ٢٠١٨/١١/١٤م.
٢. مجمع مواقف سيارات الأجرة الغربي، ٢٠١٨/١٢/١١م.
٣. مسلخ بلدية نابلس الحالي، ٢٠١٩/١/٢١م.

مقابلات شخصية:

١. حمدي محمد محمود الكوني، ٦٠ سنة، نابلس، ٢٠١٨/١٢/١١م.
٢. محمد عبد الحليم عبد الرحمن الاسمر، ٦٥ سنة، روجيب، ٢٠١٨/١٢/١٢م.
٣. سمير حمدي عبد الله مسعود البدوي، ٦٨ سنة، نابلس، ٢٠١٩/١/١٦م.
٤. أحمد شحادة محمد مسمار، ٦٠ سنة، نابلس، ٢٠١٩/١/١٧م.

الفراغات العامة في نابلس ودور البلدية في تخطيطها
حالة دراسية دوار الشهداء

د. زهراء زواوي[١]

أ. خالد زواوي[٢]

ملخص:

تمت إعادة تشكيل الساحات العامة في المدن الفلسطينية بشكل كبير، سواء على المستوى المادي (المورفولوجي)، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي. إن هذه الورقة تدرس تشكل الفراغات/الساحات العامة وتطورها في مدينة نابلس، من خلال التحقيق في فراغيين عامين، هما: ساحة النصر، والدوار من أجل التأمل في آثار صراعات القوة على الفراغات/الساحات العامة، سنقوم بتحليل تشكل هذه الفراغات العامة وتطورها وتأثير أشكال السلطة السياسية، وتطور التخطيط العمراني عليها، في حين ينتج المواطنون ساحات عامة من خلال الممارسات اليومية واستخداماتها، وفي حالتنا، أشكال صريحة من المقاومة.

لكي نتمكن من تحليل العلاقات المختلفة في الفراغ العام لساحة النصر والدوار، سيتم تتبع نشأة هذه الفارغات وتشكلها وتطورها عبر الفترات التاريخية التي مرت على مدينة نابلس، وكيف لعبت كل من البلدية وعملية التخطيط العمراني والقوى السياسية والمواطنون دورا كبيرا في تحولها وتطورها.

إن القوى التي مارست سلطتها على الفراغات العامة في نابلس، أنتجت تحولاً في التنظيم والمفهوم والإحساس بالفضاء العام. كما أنها ولدت أساليب مختلفة من المقاومة الفلسطينية. وأصبح الدوار، منذ نشأته وتشكله، الفراغ العام الرئيس للمدينة ومركزها التجاري والاجتماعي والسياسي وكذلك موقع نضال تم تخصيصه بشكل مؤقت ودائم من قبل المقاومة الفلسطينية وقوة الاحتلال العسكرية الإسرائيلية.

---

(١) محاضرة في جامعة النجاح الوطنية

(٢) طالب في مدرسة الدكتوراه في جامعة 9 افريل في تونس

الفضاء العام:

يُعرّف الفضاء العام بأنه مكان يحق لأي شخص استخدامه، دون استبعاده، بسبب الظروف الاقتصادية، أو الاجتماعية. ومن المتوقع أن يكون في متناول الجميع. إن الحق في الوصول إلى الفضاء العام مهم جدا لتفعيل الديمقراطية والمجتمع المدني (Mitchell)، (Madanipour 2003)، (Carr et al 1992؛ Staeheli 2006)، وبالتالي فإن الساحات العامة هي فراغات ناجحة إذا أمكن الوصول إليها ؛ ومع ذلك "الساحة أو (الفراغ) التي يتعذر الوصول إليها من الجمهور ليست عامة" (Brodin 2006: 10-11)، لطالما كانت للفراغات العامة في المدينة أهمية سياسية، وترمز إلى قوة الدولة أو الجماعات المهيمنة في المجتمع، لذلك فإن السيطرة على الفراغات العامة ضرورية لتوازن القوى في مجتمع معين (Madanipour 2003a).

يمكن إرجاع فكرة الحيز العام في المناطق الحضرية إلى ساحة "الأغورا" اليونانية (Agora)، وهي الساحة العامة الرئيسة، التي كانت بمثابة مكان الاجتماع للبلدة. وهي في المقام الأول سوق، لكنها كانت تعمل كمركز سياسي واقتصادي على حد سواء.

وسمحت الساحة، في الفترة الرومانية العامة، بالأنشطة التجارية، والدينية، والأنشطة السياسية، والمرافق الرياضية، والاجتماعات غير الرسمية.

كانت أماكن أسواق العصر الوسيط، وساحات النهضة، مماثلة للقرى والمنتديات اللتين استخدمتا للأهداف الاقتصادية والسياسية. على الرغم من أنه وجدت خلال فترة عصر النهضة ساحات كبيرة ومصممة بعناية، وكانت تختلف عن الأماكن العامة لمدن القرون الوسطى التي كانت تتطور بشكل طبيعي.

ووجدت طرق واسعة كأماكن عامة بحلول القرن السادس عشر، وكانت الأماكن الرئيسة مصممة بشكل رباعي ذات موقع مركزي حتى الثورة الصناعية.

ظهرت الحدائق، والملاعب، ومراكز التسوق في منتصف القرن التاسع عشر، وبدأت تعتبر ساحات عامة (Ilkay 2007).

الفضاء السياسي:

إن "الأجورا" اليونانية (Agora)، أصل الفضاء السياسي، كانت مكاناً متكاملاً للأنشطة الاقتصادية والسياسية والثقافية. ولعبت الأنشطة الجماعية لجماعات

العبادة، ومجموعات الأصدقاء، والفئات العمرية، وأنواع أخرى من التجمعات في المدينة، دوواً وسيطاً في تعزيز التماسك الاجتماعي في المدينة الدولة (Polis). ووفرت "الأجورا" مجالات للتواصل الاجتماعي، والتدريب المهني في الحياة السياسية والقيم المدنية، والأماكن التي يمكن التعبير عن النظام الاجتماعي فيها (Madanipour 2003a).

على الرغم من ذلك، لم تكن الأجورا اليونانية، والمنتديات الرومانية، والأماكن العامة المعاصرة أبداً أماكن للتفاعل الحر، بل كانت أيضاً، في كثير من الأحيان، أماكن "إقصاء". على الرغم من أن هذا الموقع كان ساحة عامة مفتوحة ويمكن الوصول إليها، إلا أنه كان مجرد مكان للإقصاء. فقد تم اختيار الناس الذين التقوا في هذا الفضاء العام، والذين كانوا متجانسين في تكوينهم. كانت المواطنة حقاً تم منحه للرجال الأحرار غير الأجانب، وحرم منه العبيد والنساء والأجانب، وبالرغم من السماح لهم بالعمل في هذه الأماكن، فقد تم استبعادهم من الأنشطة السياسية للجمهور" ولم يكن لديهم مكان هناك" (Mitchell 1995).

الفضاء السياسي الحديث:

يجادل كل من (Low and Smith 2006:3) بأن "الفضاء العام هو تقريباً، فراغ حضري، وفي العديد من المعالجات الحالية للساحات العامة يظل النطاق الحضري هو النطاق المميز للتحليل في المدن والمواقع المميزه". وتعد الأماكن العامة أحد المكونات الرئيسية لترسانة المخطِّط عندما يتعلق الأمر بصنع المكان (place-making). إن غالبية سيطرة وسلطة المخطِّطين هي على الساحات والفراغات العامة، ولهذا السبب، فإن الأماكن العامة لها دور مركزي، جسدياً، ووظيفياً في التخطيط العمراني والتنمية.

يتم تصنيف "الأماكن العامة" من قبل المخطِّطين على أنها مختلفة عن "الأماكن الخاصة" وتسيطر المناطق الخاصة على المجتمع، وتتدخل في اللوائح والتدوينات النوعية من خلال خطط التصميم الحضري واللوائح وتقسيم المناطق (Pasaogul-lari Doratli 2004)، (Stout 2008).

يجادل (Low and Smith 2006:3) بأن سياسات الفضاء العام تسلط الضوء على الظروف التاريخية للوصول والمشاركة والمساءلة. وتُعرّف "إمكانية الوصول": بأنها "حرية أو قدرة الناس على تحقيق احتياجاتهم الأساسية من أجل الحفاظ على نوعية حياتهم" (Lau Chiu 2003) المذكورة في (Pasaogullari Doratli 2004)

ويشير "Bertolin" إلى أن "الساحة العامة التي يمكن الوصول إليها هي التي يمكن أن يأتي إليها العديد من الأشخاص المختلفين، وهي أيضاً المكان الذي يمكن للعديد من الأشخاص المختلفين أن يفعلوا فيه أشياء مختلفة، وهي مكان حيوي يسهل الوصول إليه"

(Bertolini 1999, Bertolini; Djist 2003) cited in (Pasaogullari; Doratli 2004)

إن الحق في الوصول إلى الفضاء العام مهم جداً لتكريس الديمقراطية، والمجتمع المدني، فالفراغات العامة هي فراغات مفتوحة، وأماكن يمكن الوصول إليها بشكل عام حيث يذهب الناس لأنشطة جماعية، أو فردية. وتكون الأماكن العامة، عامة، لأن أي شخص يحق له أن يكون موجوداً جسدياً فيها.

لقد كان الفراغ العام موضع قلق خاصة فيما يتعلق بمسائل الوصول إليه، والإقصاء منه، وهيمنة القانون وممارسة القوة، والاحتجاج فية (,Carr et al 1992) (Mandanipour 2003), (Mitchell; Staeheli 2006)

وعلاوة على ذلك، يجادل برودين (Brodin 2006: 10-11)، بناء على أن "الساحة التي يتعذر الوصول إليها من الجمهور ليست عامةً". بأن هناك حاجة إلى الآتي: تعريف جديد للفضاء العام، وتحديد جديد لمن له الحق في الساحات "العامة"، وما إذا كانت تخص جميع مستخدميها، وينبغي أن تستند هذه إلى التطور والتغيرات التي تحدث في الساحات العامة، وتزايد الصراع ومنع الدخول إلى الساحات العامة (Mitchell, Staeheli 2006).

يمكن تحقيق منع الدخول للفراغات العامة من خلال الاستبعاد القائم على العرق، والجنس، والطبقة، والسن، والإعاقة، ودور القانون في هيكلة الساحات العامة وتحديدها، كما تم استكشافه من خلال الجغرافيا وغيرها من المجالات (-Mitch ell, Staeheli 2006)،وعلاوة على ذلك، يمكن تحقيق ذلك من خلال اللوائح المكانية، حيث الحدود المادية حول الفضاء أو/الحدود الرمزية حول من هو عضو في الجمهور، وكذلك العوائق التي تقرر من الذي له الحق في أن يكون في الفضاء العام (Brodin 2006).

إن من بين الأهداف الكثيرة، أو الواضحة للتخطيط العمراني، واللوائح المكانية، الحد من الصراعات والحدود، وفرض السيطرة على التفاعل المكاني (Dijkstra 2000).

يلعب التخطيط العمراني والعمارة دوراً مهماً في توفير الساحات العامة التي يتعذر الوصول إليها، أو يمكن الوصول إليها، ويجب النظر إلى الساحات العامة ومعالجتها على أنها أجزاء مهمة من التخطيط وعمليات التنمية الحضرية (Pasaogullari Doratli 2004). ومناقشة التخطيط الحضري، والأسلوب المعماري، هي مؤشرات مهمة على قدم المساواة للنضالات المحلية للسيطرة السياسية والاجتماعية (ومقاومة السيطرة) على الفضاء العام (Low; Lawrence-Zuniga 2003).

يجادل برودين (Brodin 2006) بأنه لا يمكن تصميم الأعمال السياسية في الفراغ، إلا أنه من الممكن تصميم ساحات تشجع الأعمال السياسية. فالساحة العامة المادية على الرغم من أنها ليست بحد ذاتها ضماناً لحيز عام مجازي يعمل بشكل جيد، والعكس صحيح. فالخطر يكمن عندما نخلط بين معنى المصطلح، هو أننا نميل إلى الفضاء وننسى القوة – تماما كما يحذرنا Lefebvre (١٩٩١) من أن يحدث في الفضاء المجرد.

كما أن التخطيط الحضري له صلة وثيقة بالحد من الإجرام. كان هذا واضحاً في عمل ميشيل فوكو (Foucault 1977) الذي وصف "الانتقال من نظام السجون الذي كان فيه التعذيب العام الرمزي العنصر الرئيس في نظام المراقبة. كان هذا التغيير في المراقبة والذي لا يقتصر على السجن.

كما كان لدى المخططين اعتقاد راسخ بأنه إذا كان كل نشاط سيحدث تحت أعين الناس، في العراء، وفي وضح النهار، فإن الأنشطة غير القانونية ستتوقف على الفور تقريباً، وإذا كانت جميع الأنشطة غير القانونية غير ملائمة تماماً، فإن ذلك لن يمثل مشكلة، غير أن العصيان المدني غالباً ما يكون غير قانوني، إضافة إلى أن بعض القوانين تحرم الفئات المختلفة في المجتمع بشكل غير متناسب، والتخطيط الذي يهدف إلى تعزيز هذه القوانين سيعزز حتماً الجوانب الاستبدادية والتمييزية للتنظيم القانوني "(Dijkstra 2000: 13).

الفضاء العام في فلسطين:

الفراغات العامة في فلسطين هي نتاج محيط ثقافي واقتصادي مستقل إلى حد كبير عن الدولة (غير الموجودة). هذا الفراغ العام متعلق بالجماعات المدنية والوطنية ولكنه لا يحاول معالجة القضايا السياسية الخاصة بالإنسانية والصالح العام (Bulle 2009).

لقد كانت الساحات "العامة" الفلسطينية عبارة عن أماكن سياسية، ومناطق الصراع منذ الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٢م وما زالت مستمرة حتى اليوم، وقد تجمَّع الفلسطينيون في الأماكن العامة للتظاهر والاحتجاج ضد الانتداب البريطاني (١٩٢٢م-١٩٤٨م)، والحكم الأردني (١٩٤٨م-١٩٦٧م)، والاحتلال الإسرائيلي (١٩٦٧م-١٩٩٣م)، والسلطة الوطنية الفلسطينية (١٩٩٣م-الآن)، والانتفاضة الثانية الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي (٢٠٠٢م-٢٠٠٥م).

لقد كان الصراع في الفراغات العامة الأكثر شيوعاً خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي، وخاصة خلال الانتفاضتين الأولى والثانية (١٩٨٧م-١٩٩٣م و ٢٠٠٠م-٢٠٠٥م).

ومع ذلك فقد الفلسطينيون حقهم في الاحتجاج والتظاهر في ساحاتهم العامة وفي أماكنهم العامة.

تطور الفضاءات العامة في مدينة نابلس:

نابلس مدينة يبلغ عدد سكانها ١٥٣،٠٠٠ (الاحصاء المركزي الفلسطيني ٢٠١٧م)، وهي ثاني أكبر مدينة في الضفة الغربية في فلسطين، والثانية بعد القدس في الأهمية، وتقع نابلس في منتصف الطريق بين نهر الأردن في الشرق وطولكرم في الغرب وتبعد حوالي ٥٠ كلم جنوب جنين، ٦٩ كلم شمال القدس، و ٤٢ كيلومتر شرق البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ خط العرض ٣٢:١٢ شمالاً، وخط طول ٣٥:١٦ شرق غرينتش (الخطة الرئيسية لبلدية نابلس ١٩٩٥م: ٣٦).

تتمتع نابلس بأهمية خاصة بين المدن الفلسطينية الأخرى، لكونها تشكل مركزاً إدارياً، وتعليمياً، وتجارياً، وصناعياً. مثل معظم المدن الفلسطينية، نشأت نابلس نتيجة تطورات تاريخية على مدى قرون عديدة، والتي تعكس بشكل رئيسي تأثير الفترة الإسلامية (الفترة العثمانية) والفتره البريطانية، ومن الواضح أن تأثير الفترة الإسلامية موجود في الجزء القديم من المدينة (البلدة القديمة)، في حين أن تأثير الفترة البريطانية واضح في الجزء الجديد الناتج عن التوسع خارج حدود المدينة القديمة (بيشاوي ٢٠٠٨). خلال الفترة الأردنية، وقد توسعت المدينة لأسباب سياسية تجاه الجهة الشرقية (نحو الأردن)، وخلال الاحتلال الإسرائيلي توسعت المدينة نحو الشمال الغربي والجنوب الشرقي. وأخيراً، توسعت المدينة في جميع الاتجاهات خلال فترة السلطة الفلسطينية.

كان لكل فترة سياسية تاريخية مرت على مدينة نابلس تأثير على التنمية الاجتماعية والاقتصادية والحضرية للمدينة، وتطور الفراغات والساحات العامة.

وحول نشأة الفراغات العامة وتغيرها في المدينة العامة، وبالذات الفراغ العام الرئيسي، الدوار، على وجه الخصوص، فإن أول فراغ عام رئيس في نابلس كان "المنتدى" الروماني (forum) الذي تم بناؤه عام ١٣٥م. أما الثاني كان "ساحة النصر"، الذي بني على بقايا المنتدى الروماني (forum) خلال العهد العثماني في عام ١٨٨٣. بعد ذلك تم بناء الدوار في عام ١٩٥٢ (خلال الفترة الأردنية) كساحة عامة رئيسة جديدة لتحل محل ساحة النصر.

ستناقش هذه الورقة تطور الدوار في سياق التنمية العمرانية في نابلس، ودور بلدية نابلس في تخطيط وتنفيذ مشروع إنشاء الدوار.

وستساعد نشأة الدوار، وتحليله التاريخي، في هذا البحث، على فهم عملية إنتاجه، وتحليل نشأته وتطوره.

الفترة الرومانية (٦٣-٣٢٤) والبيزنطية (٣٢٤- ٦٣٦):

إن أول فضاء عام/ ساحة عامة حصلت علية مدينة نابلس كان في الفترة الرومانية، وهو المنتدى الروماني الفورم (Forum) فيما بات يعرف اليوم بالساحة، وتم العمل في الفترة الرومانية على تنظيم الفورم وإغنائه وذلك بإنشاء المباني المهمة والرئيسة فيه، وكان الفورم يشكل روح المدينة شأنه في ذلك شأن الساحات العامة في المدن الرومانية. وقد استمرت الساحة بهذه الأهمية والمركزية في الفترة البيزنطية أيضاً، مع حصول بعض التغييرات فيها، والتي تمثلت في إضافة بعض المباني إليها وذلك في الناحية الشرقية منها (جوار البازيليكا) والذي أدى إلى تقليص مساحة الساحة (بيشاوي ١٩٩٩م).

الفترة الإسلامية الأولى (٦٣٦-١٥١٧): باستثناء الفترة من (١٠٩٩-١١٨٧) وهي الفترة الصليبية

كانت الحضارة الإسلامية وقيمها تختلف عن الحضارة البيزنطية، في الفترة الإسلامية الأولى، وكان لا بد من أن ينعكس ذلك على التكوينات العمرانية لمدينة نابلس، وذلك بعد دخول المسلمين إليها، وقد تمثل ذلك في تغيير ملامح المظهر التخطيطي للمدينة، وذلك بسبب التطورات الجذرية في العلاقات الإنسانية والقيم

الحضارية التي غرستها الحضارة الإسلامية، وقد انعكس ذلك، بشكل واضح، على كل من الطرقات والأحياء السكنية. ومن الطبيعي أن عدد سكان مدينة نابلس كان قد اخذ بالازدياد المتتابع بعد الفتح الإسلامي لها، وبالتالي شغلت مساحات الفضاء جميعا وامتدت المباني لتضيق الشوارع الرئيسة والثانوية التي تعد ملكية عامة، ولذلك لم توضع لها علامات أو حدود واضحة.

في هذه الفترة (الإسلامية الأولى) تم إضفاء الطابع الإسلامي على منطقة المنتدى الروماني–الفورم وذلك من خلال تحويل الكنيسة البيزنطية غربي الفورم إلى المسجد الجامع في المدينة، إضافة إلى إجراء بعض التعديلات على الملامح التخطيطية والعمرانية للمدينة. أما التغيير الكبير الذي طرأ على الفورم فقد كان خلال الفترة الإسلامية المتأخرة، وخاصة أيام المماليك والعثمانيين، وقد تمثل ذلك في ناحيتين: (بيشاوي، ١٩٩٩م: ١٦).

الأولى: اختلاف المناسيب في مستوى أرضية الفورم بحيث لم تعد مستوية كما كانت في الفترتين الرومانية والبيزنطية.

الثانية: اختلاف مساحة وحدود الفورم الأصلية نتيجة لإضافة العديد من الأبنية إليها، ولكن ذلك لم يفقد الساحة أهميتها ومركزيتها بالنسبة للمدينة.

كانت الوظيفة الرئيسة للساحات العامة للمدن، على مر العصور، هي ممارسة الأنشطة الجماعية للجماهير، سواء كانت دينية، أو اجتماعية، أو سياسية، أما في المدينة الإسلامية القديمة، فكادت تتلاشى وظيفة الساحة في صدر الإسلام، وذلك لقيام الفناء المكشوف داخل المسجد الجامع بهذه الوظيفة.

الفترة العثمانية (١٥١٧م-١٩١٧م)

كانت الفترة العثمانية (١٥١٧م–١٩١٧م) من أطول الفترات الزمنية السياسية في تاريخ نابلس، واستمرت حوالي (٤٠١) عاماً، وفي عام (١٥١٧م) أصبحت نابلس عاصمة لمنطقة (سنجق)، تحت سيطرة حاكم محلي، وكانت جزءاً من محافظة دمشق. (Qamheih1992: 33)

حققت المدينة نهضة اقتصادية وصناعية خلال هذه الفترة، تحت حكم الأمير يوسف النمر، وحفيده عمر أغا النمر، كما تم ضمان الأمن وسلامة السكان. وبنى عمر أغا بشكل خاص العديد من المباني العامة، وأكمل العديد من المشاريع المفيدة

للمدينة، وأصبحت نابلس مركزاً تعليمياً مهماً، وذهب طلاب من جميع أنحاء البلاد للدراسة هناك، وازدهرت المدينة وعاشت أيامها الذهبية (Qamheih1992: 35).

الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كان ازدهار نابلس يعتمد على التجارة والتصنيع، وظلت المركز الأكثر أهمية في فلسطين للتجارة المحلية، والإقليمية، ولصناعة الصابون والزيت والسلع القطنية. كانت المدينة قريبة من المناطق التي كانت الأكثر نشاطاً اقتصادياً في البلاد حتى عام ١٨٧٠ (Qamheih1992: 18).

"نابلس بكونها مركز منطقة غنية، وكما كانت قديما، بوابة التجارة بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من البلاد، وكذلك بين يافا وبيروت من ناحية، ومنطقة عابر (عبر) الأردن على الناحية الأخرى، أصبحت، بالضرورة، سوق حركة نشطة، الأمر الذي نتج عنه تمتع السكان بقدر أعظم في وسائل الراحة من تلك الموجودة في أي مدينة أخرى في فلسطين".

" Mills, 1864: 89-90) citied in (Qamheih1992:18)).

التطور العمراني والفيزيائي للمدينة:

حدث أول تطور حضري لمدينة نابلس بعد عام ١٨٦٨م، في الفترة العثمانية، عندما تم انتخاب مجلس بلدية نابلس لأول مرة، وأصبح السيد محمد رفعت تفاحة الحسيني، نقيب الأشراف في المدينة، أول رئيس لبلدية نابلس. منذ ذلك الحين توسعت المدينة في كل اتجاه تقريبا، وقبل ذلك كانت أسوار المدينة تتألف من صفوف من البيوت المحصّنة المنفصلة ولم يكن يجرؤ أحد من السكان على البناء خارج هذه الأسوار بسبب انعدام الأمن (Qamheih1992: 41).

بدأ التوسع في المدينة خلال أواخر القرن التاسع عشر (Feidi 2000: 59)، وفي عام ١٨٧٥م تم بناء مبنى القشله (مبنى المحافظة) من قبل الحكام الأتراك في الجانب الشرقي من المدينة في أضيق نقطة من الوادي كثكنة عسكرية للجيش التركي. وفي ذات الفترة، تم بناء دير اللاتين، وكنيسة صغيرة، ومدرسة. (مكان الدوار حالياً).

الفراغ العام "ساحة النصر"

لم يكن هناك ساحة عامة في المدينة تاريخياً بين عامي ١٢٥٦م و١٨٨٣م، وذلك بسبب زراعة كل الأراضي المفتوحة، ولم يتبق أي مكان لساحة عامة، ولكن تغير الوضع عندما اشترى المتصرف جزءاً من حديقة مقابل مسجد النصر من عائلة طوقان، وحولها إلى الساحة الرئيسية للمدينة والتي سميت ساحة النصر. فيما بعد كانت ساحة النصر مكاناً للمؤسسات الحكومية العثمانية، مثل مبنى السرايا (مقر الحكومة العثمانية)، والخان والمقاهي والمطاعم (بيشاوي ١٩٩٩ : ١٠٨)، وهذا يرجع لكون مفهوم الساحة في المدينة الإسلامية مختلفاً عنه في الفترة الرومانية، إذ لم يكن هناك حاجة إلى ميادين عامة كتلك الموجودة عند الرومان، وأصبحت الساحة مرتبطة بالمسجد الذي يشكل عنصرا مركزيا ورئيسيا في التخطيط العمراني الإسلامي.

شكلت ساحة النصر، كفراغ عام، قيمة أثرية وعمرانية مهمة بالنسبة لمدينة نابلس، كما شكلت الساحة فراغا عاما ومركزيا في المدينة على مر العصور، ابتداء بالفترة الرومانية، التي انشئت فيها، مروراً بالفترات الإسلامية المختلفة وحتى الوقت الحالي، ويظهر ذلك جليا في مخططات المدينة خلال هذه الفترات. كما أنها أثرت بشكل واضح في نمو المدينة وتخطيطها العام، وتأثرت بطبوغرافية المدينة التي لعبت أيضا دوراً كبيراً في شكل المدينة وامتدادها، في الاتجاهين الشرقي والغربي، الأمر الذي انعكس على شكل الساحة وأعطاها الشكل المستطيل تقريباً (بيشاوي ١٩٩٩م).

فترة الانتداب البريطاني (١٩١٨م-١٩٤٨م)

دخل البريطانيون نابلس في ٢١ سبتمبر ١٩١٨م، وشكلوا لجنة من القادة البريطانيين، وبلدية نابلس لإدارة المدينة التي أصبحت عاصمة إقليم السامرة. لم يدم الاحتلال العسكري لفترة طويلة، حيث اتخذ الحكم العسكري شكلاً آخر وأصبح تفويضاً (انتداب) في عام ١٩٢٣م، وأصبح السير هربرت صموئيل أول مفوض سام، وخلال هذه الفترة، تحول مسار التجارة وأصيبت الصناعية الأساسية "الصابون" في نابلس بضربة قوية (Qamheih1992: 43).

الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

في ١١ يوليو ١٩٢٧م، عانت المنطقة من زلزال كبير، وتضررت نابلس بشدة، فقد هدم ما يقرب من ستمائة منزل، وقتل ما يقرب من ٥٠ شخصاً، وأصبح الآلاف من الناس بلا مأوى، وبعد هذا الزلزال ضربت المنطقة مجاعة، وتم تدمير المنتجات الزراعية، وإفلاس العديد من المزارعين (نمر، ١٩٧٥)، (Qamheih1992: 43).

هذا الانكماش الاقتصادي، إضافة إلى أضرار الزلزال، قاد الناس إلى البناء خارج المدينة القديمة على أطراف الجبال، وكان واحداً من الأسباب الرئيسية لتوسع المدينة خارج حدود المدينة القديمة (Abdelhamid 2009)م .

التطور العمراني والفيزيائي للمدينة:

تدخلت الحكومة البريطانية في تخطيط المدينة، وقامت بالتنظيم والتخطيط الحضري لها تحت غطاءات قانونية وضعتها لتغطية أهدافها، ففي عام ١٩٢٣ قامت حكومة الانتداب بتشكيل لجنة تخطيط للمدن المحلية، ولم تستند في مجمل قراراتها على مصلحة السكان المحليين، بل قامت بفرض الهيمنة والنفوذ من اجل السير قدما في المخطط البريطاني اليهودي في المنطقة. واعدت المخططات العامة في ظل الانتداب من قبل سلطة دائرة التنظيم المركزية دون مراعاة للزيادة السكانية المتوقعة، ودون تنظيم أمثل للخدمات العامة واستخدامات الأراضي.

في شهر ٩/ أيلول عام ١٩٢٦م زار جوسن (Antonin Jaussen) مدينة نابلس ورسم أول مخطط لها للوضع القائم. وخلال فترة الانتداب البريطاني تم التوسع الأول للمدينة باتجاه الجنوب، وصولاً إلى المنحدرات العالية لجبل جرزيم، والتي لم تكن بعيدة جداً.

بدأ التوسع الثاني نحو الشمال، حتى واجه المنحدرات العالية لجبل عيبال. أما التوسعات الحقيقية والواسعة للمدينة فكانت في اتجاه الشرق والغرب على أراضٍ مريحة ومنحدرة (Khayyat ١٩٨٥م)، وفي عام ١٩٤٦م توسعت البلدة القديمة إلى الغرب والجنوب، حيث كان الوادي الخصب والمليء بالحدائق، ولم يحدث أي تطور بعده (شكل).

أول مخطط شامل للمدينة كان في أوائل عام ١٩٤٨م، حيث صادقت سلطات التخطيط البريطانية على خطة شاملة لمدينة نابلس، وحددت حدود أراضي البلدية (بلدية نابلس ١٩٨٧م).

لـم يكـن دور بلديـة نابلـس في هـذه الفتـرة قويـاً جـداً في التخطيـط، حيـث سـنت حكومـة الانتـداب البريطانـي العديـد مـن القوانـين وفرضـت القيـود الصارمـة على بلديـة نابلس مـن خـلال تحجيـم صلاحياتهـا الإداريـة، وإضعـاف ميزانياتهـا، وخاصـة بعـد قيـام حكومـة الانتـداب بإلغـاء قانـون البلديـات العثمانـي الـذي كان يمنـح البلديـات صلاحيـات واسـعة، وإحـلال قانـون جديـد محلـة يلغـي جميـع صلاحيـات هـذه المجالـس، ويضعهـا تحـت السـلطة المباشـرة لحـكام الألويـة الإنجليـز. وبذلـك كان التخطيـط بيـد الانتـداب الـذي وضـع المخططـات الهيكليـة التـي تميـزت بالتوسـع المحـدود. ورغـم أن رئيـس بلديـة نابلـس في تلـك الفتـرة في تاريـخ ١٩٤٠/٠٨/٢٨م طلـب مـن قائـم مقـام نابلـس توسـيع حـدود المدينـة، إلا أن بعـض التعديـلات التـي صـدرت لا تلبـي الحـد الأدنـى مـن متطلبـات التوسـع. (عمـران ٢٠٠٨م).



الشكل نابلس: صورة لمنطقة دير اللاتين- الدوار حاليا- تقريبا ١٩٢٦

ساحة النصر:

اسـتمرت سـاحة النصـر في العمـل كمركـز للمؤسسـات الحكوميـة، والأنشـطة التجاريـة، خـلال الانتـداب البريطانـي (١٩١٧م-١٩٤٨م)، بالإضافـة إلـى مـكان لتنفيـذ أحـكام الإعـدام للسـكان الذيـن عارضـوا سياسـات الانتـداب. لـم تتغيـر مسـاحة هـذا الموقـع وشـكله ومحتوياتـه منـذ إعـادة بنائـه في عـام ١٨٨٣م. لقـد ارتبطـت سـاحة النصـر بتاريـخ مدينـة نابلـس وتطورهـا (بيشـاوي ١٩٩٩م).

الفترة الأردنية (١٩٤٨م-١٩٦٧م):

قسمت الأمم المتحدة فلسطين بين العرب واليهود في عام ١٩٤٧م، وإثره سحب البريطانيون قواتهم من فلسطين في ١٤/مايو/١٩٤٨م، واندلعت الحرب نتيجة إعلان اليوم التالي للدولة اليهودية إسرائيل. وفي النهاية تم الاتفاق على وقف لإطلاق النار في عام ١٩٤٩م. وفي ذلك الوقت سيطر الصهاينة على (٧٧٪) من أراضي فلسطين، واضطر حوالي (٩٠٠٠٠٠) فلسطيني إلى مغادرة منازلهم (نمر، ١٩٧٥م)، بقيت الأجزاء الباقية من فلسطين غير المحتلة تحت الحكم العربي.

انضمت الضفة الغربية إلى الأردن نتيجة لمؤتمر أريحا ،وتم إعلان المملكة الأردنية الهاشمية في عام ١٩٥٠. (Qamheih1992: 47)

الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

إن الوضع الاقتصادي للضفة الغربية، بشكل عام، ونابلس على وجه الخصوص، لم يكن مؤهلاً لعدم الاستقرار السياسي في فلسطين في نهاية فترة الانتداب. لقد واجه السكان وضعا اقتصاديا واجتماعيا جديداً. مع الانقطاع عن الاقتصاد اليهودي، وتدفق عشرات الآلاف من اللاجئين بعد حرب عام ١٩٤٨م، ودخلت الضفة الغربية في أزمة اقتصادية حادة (Gilbar 1989:61).

وفي بداية الحكم الأردني، استنُزف اقتصاد الضفة الغربية بسبب الأعداد الكبيرة من اللاجئين الذين جاءوا من الأجزاء المحتلة من فلسطين.

كانت سياسة الحكومة الأردنية، في ذلك الوقت، تركّز على الارتقاء بالظروف الاقتصادية في الضفة الشرقية، من أجل اللحاق بركب الضفة الغربية، التي تطورت نسبياً. وقد أعاقت هذه السياسة اقتصاد الضفة الغربية، وجعلته، يعتمد بالكامل على الضفة الشرقية.

ومع توافر فرص العمل في الدول المنتجة للنفط، فُتح الطريق أمام استرخاء اقتصادي جديد. (Qamheih 1992: 18).

التطور العمراني والفيزيائي للمدينة:

خلال هذه الفترة الناجمة عن الانفصال بين الضفة الغربية، والأجزاء الفلسطينية المحتلة، في حرب عام ١٩٤٨م، انتقلت توسعة المدينة (نابلس) نحو الجهة الشرقية (عابر الأردن)، وأنشئت علاقات جديدة.

وفي عام ١٩٦١، تم تطوير مخطط شامل (هيكلي) لاستخدام الأراضي للمدينة من قبل البلدية، وفي عام ١٩٦٣م، تم توسيع حدود مدينة نابلس إلى (١٨٠٤٠) دونم (١ دونم = ٠,١ هكتار) (Qamheih1992: 50)).

تأثر الامتداد العمراني في مدينة نابلس، خلال الفترة الأردنية، بمختلف الإجراءات والقوانين بين عامي ١٩٥٠-١٩٦٧، وكان لبعضها أثر في الحد من الامتداد العمراني، في حين أسهم بعضها الآخر في تنشيط الحركة العمرانية وامتدادها، كما تأثر الامتداد العمراني في المدينة بمختلف الأحداث السياسية في فلسطين، والتي تزامنت مع هذه الفترة، ومن أهم تلك الإجراءات، التي عملت على تنشيط الحركة العمرانية، محاولة الحكومة الأردنية تطبيق قوانين تنظيم المدينة، وكذلك إعداد المخططات الهيكلية للمدينة، إضافة إلى توسيع المخطط الهيكلي للمدينة مرتين متتابعتين، حيث تم التوسع عام ١٩٦٣م من جهة الغرب والشرق، ليشمل مخيمات المدينة، وبعض القرى، وكذلك توسع عام ١٩٦٤م من الناحية الغربية، إضافة إلى وضع قانون لتنظيم استعمالات الأراضي (عمران ٢٠٠٨م).

إلا أن هذه الفترة قد شهدت في الوقت نفسه، بعض العوامل التي حدت من النشاط العمراني للمدينة، ومنها التداخل الكبير بين مسؤوليات السلطات المختلفة، والإجراءات المعقدة للحصول على تراخيص البناء والعقوبات التي تلحق بالمخالفين من خلال الهدم والغرامات المرتفعة. كما ان خطط توسع حدود المدينة تميزت بعدم كفايتها لحاجة المدينة وقت إعدادها، وكذلك عدم النظر المباشر والمعجل في طلبات لجنة بلدية المدينة، وتحجيم دور تلك اللجنة، وكان حوالي (٢٦٪) من أراضي المدينة ضمن المخطط الهيكلي الأردني مملوكاً للدولة، ومعظم أراضي التوسع كانت منحدرات حادة (عمران ٢٠٠٨م).

نشأة الدوار:

لعبت ساحة النصر لفترة طويلة، دوراً مهما في الحياة السياسية والاجتماعية للمدينة، لكونها الفراغ العام الوحيد منذ نشأتها وحتى بعد بناء/إنشاء الدوار عام ١٩٥٢م، فاستمر النشاط الاجتماعي والسياسي والديني في منطقة "ساحة النصر"، ولم ينتقل إلى الدوار قبل الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م، فمعظم سكان نابلس ما زالوا يعيشون في البلدة القديمة، حيث كان الناس يعرفون بعضهم بعضاً بشكل جيد

للغاية، وكان من الأسهل عليهم التعرف إلى الغرباء والأجانب، وخاصة خلال هذه النشاطات السياسية عندما شعروا بحاجتهم إلى إجراءات أمنية مشددة.

ويرى السيد زهير الدبعي إن ساحة النصر كانت مكاناً جيداً للاجتماع، لأنها بعيدة عن الجيش، وكان من الصعب على الجيش الوصول إليه، وكانت الساحة العامة الرئيسة لفترة طويلة، ولم يتعامل سكان نابلس مع الدوار كساحة عامة رئيسة إلا بعد عام ١٩٦٧م.

لقد تغير مفهوم "الفراغ العام" ومكانته في نابلس عبر العصور، وما زالت ساحة النصر والدوار مكان جدل كبير منذ نشأتهما، وكيف لعبت السلطة وأهل المدينة دوراً كبيراً في إنتاج وتشكيل وتطوير هذين الفضائين العاميين وإعطاء الهوية لهما، وقد لعبت الساحات العامة في نابلس دوراً سياسياً واجتماعياً، ومارست السلطات قوتها وسيطرتها عليها كنوع من السيادة باعتبار أن السيطرة على الفراغات العامة هي سيطرة على الشعب.

بدأت مدينة نابلس بالتوسع خارج حدودها القديمة خلال الفترة المتأخرة من الانتداب البريطاني، ولم تكن المدينة القديمة قادرةً على إيواء مزيد من الناس، ولم يسمح قانون التخطيط الانتدابي البريطاني للناس بالبناء داخل أسوار المدينة، لذلك كانت هناك حاجة لتوسيع المدينة خارج حدودها القديمة.

وخلال الفترة الأردنية، ظلت ساحة النصر المكان الرئيس العام حتى أوائل عام ١٩٥٢م، ففي ١/مارس/ ١٩٥٢م، وضعت بلدية نابلس مخططاً تفصيلياً يقترح ساحة عامة رئيسة جديدة للمدينة على طول الحدود الشمالية للبلدة القديمة، واتخذ رئيس بلدية نابلس نعيم عبد الهادي قراراً ببناء الساحة الجديدة خارج المدينة القديمة في موقع دير اللاتين (مقابلة مع فتحي ناصر، ٢٠٠٩م).

إن نشأة الدوار كساحة عامة للمدينة في الفترة الأردنية يعود الفضل فيها إلى رئيس بلدية نابلس في عام ١٩٥٢م وهو المهندس "نعيم عبد الهادي"، الذي كان صاحب رؤية تخطيطية للمدينة ولاتجاهات توسعها خارج حدود البلدة القديمة، وكانت سلطة بلدية نابلس، في تلك الفترة، مميزة جداً على المستوى التخطيطي، حيث تم التفكير بعمل مشروع تنظيم مفصل لتعديل جزء من خريطة تنظيم مدينة نابلس الهيكلي المعد زمن الانتداب البريطاني (عام١٩٤٧م)، حيث ناقش المهندس نعيم عبد الهادي وجادل بأن هذا المشروع يتضمن إزالة الكلية الوطنية، (بناية دير اللاتين سابقاً) في نابلس بغية توسيع الشوارع المتاخمة لها.

واستند المهندس نعيم عبد الهادي، في نقاشه، إلى أن مدينة نابلس عندما كان عدد سكانها أقل من (٦٠,٠٠٠) نسمة بكثير (عام١٩٤٧م)، كانت هناك حاجة قصوى يتطلبها الأمن العام، وتتطلبها الرأفة والرحمة بأهالي المدينة الذين يمرون بالشارع الضيق الممتد أمام بناء الكلية الوطنية (دير اللاتين)؛ هذا الشارع الذي لا يزيد عرضه على أربعة أمتار، وذهب ضحيته عدداً من القتلى من بين سكان المدينة نتيجة لسحقهم فيما بين حائطه، وبين السيارات العابرة منه، هذا بالإضافة إلى أهمية البعد الجمالي وتنظيم المدينة، الأمر الذي يتطلب إزالة بناء الكلية الوطنية (دير اللاتين)، وتوسيع الشارع المتاخم لها. فكيف والآن عدد سكان مدينة نابلس يزيدون على (٦٠،٠٠٠) نسمة، والمنطقة من أكثر مواقع نابلس اكتظاظاً. (أرشيف مكتبة بلدية نابلس)

وقد تمت الموافقة على هذا المشروع (مشروع تنظيم مفصل لتعديل جزء من خارطة تنظيم مدينة نابلس الهيكلي المعد زمن الانتداب البريطاني (١٩٤٧م)) بالإجماع، من قبل لجنة تنظيم المدن والبناء المركزية برئاسة عطوفة إحسان بك هاشم في لواء نابلس بتاريخ ١٩٥٢/٠١/١٣م، بناء على توصية لجنة تنظيم المدن والبناء المحلية بنابلس، وتم الطلب من دولة وزير الخارجية التكرم بالإيعاز لمن يلزم بنشر الإعلان في الجريدة الرسمية، الأمر الذي تم تنفيذه ونشر بالجريدة الرسمية (جريدة فلسطين) عدد ٥٧٠-٨٠٧٥ بتاريخ ١٩٥٢/٠٢/٠٧م، وفقاً لأحكام الفقرة الأولى من المادة السادسة عشرة من قانون تنظيم المدن لسنة ١٩٣٦م.

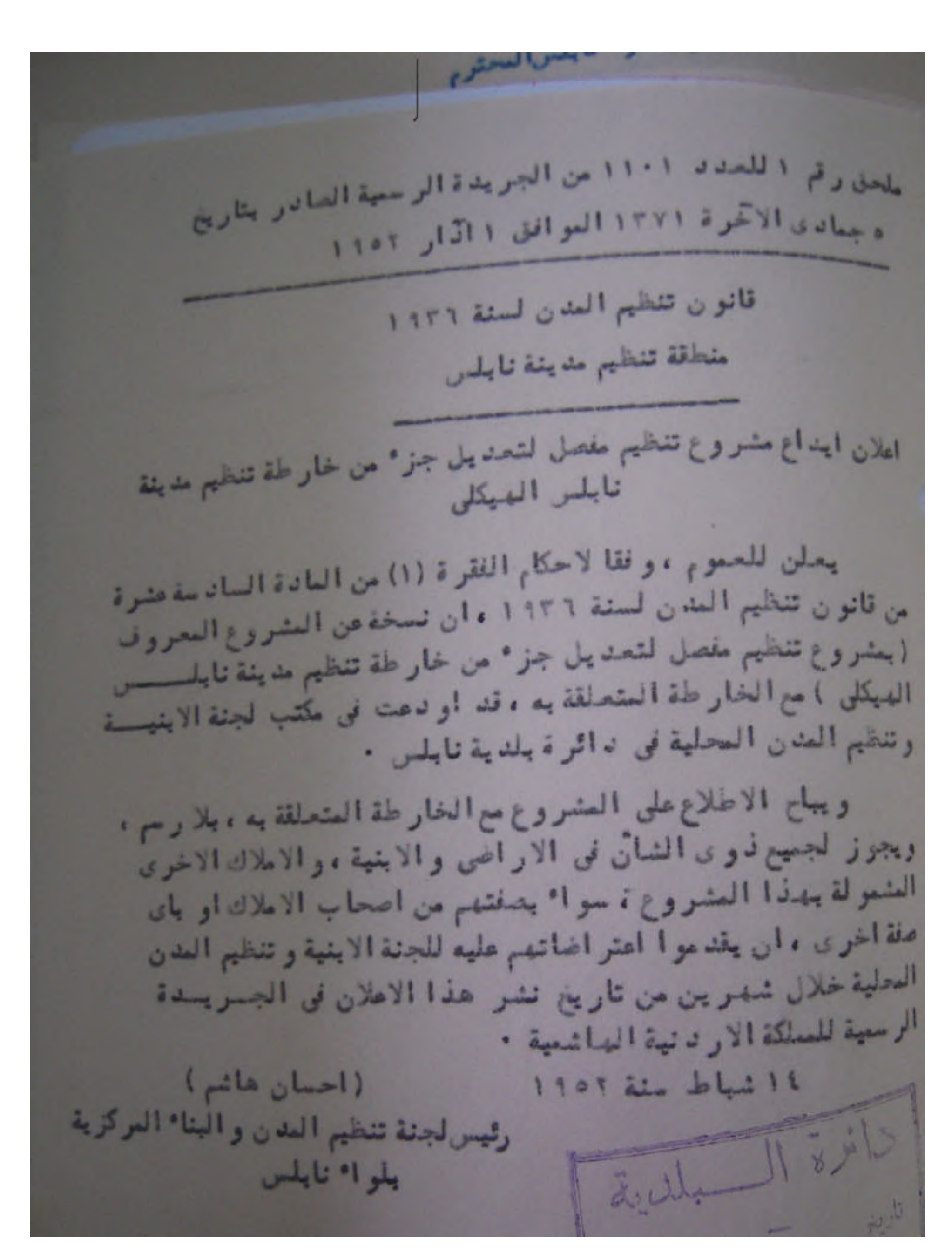
لقد تم إيداع المشروع مرفقاً مع المخطط التفصيلي، وتفاصيل المشروع في الجريدة الرسمية، على أن تقدم الناس اعتراضاتها للجنة الأبنية، وتنظيم المدن المحلية، خلال شهرين من تاريخ نشر الإعلان في الجريدة الرسمية، وأرسلت صورة عن الإعلان لغبطة بطريرك اللاتين وفقا للفقرة (٢) من للمادة (١٦) من قانون تنظيم المدن لسنة ١٩٣٦م بتاريخ ١٩٥٢/٠٣/٢٣م.

وفي كتابه المرسل إلى متصرف لواء نابلس (التاريخ غير ظاهر ولكن قبل ١٩٥٢/٠٣/٥م)، أشار المهندس نعيم عبد الهادي إلى أنه اجتمع مع غبطة بطريريك اللاتين في القدس، بحضور سعادة إحسان بك هاشم، والنائب المحترم حكمت المصري، وكان الاجتماع لبحث أمر الاتفاق على إزالة بناء الكلية الوطنية في نابلس بغية توسيع الشوارع المتاخمة له، وفعلاً استجاب له غبطته، وتقدم المهندس عبد

الهادي باقتراحين للتعويض عن قيمة البناء، يتلخص أولهما بتعيين لجنة لتقدير قيمة الملك يكون قوامها مندوب عن غبطته ومندوب عن البلدية، وفي حالة اختلاف وجهات النظر ينتخب عضو ثالث كمرجع، والاقتراح الثاني يتلخص بان تقوم البلدية بشراء أرض وإقامة بناء عليها يكفي حاجة مدرسة كالمدرسة التي يستوعبها البناء الحالي، علماً أن البطريرك وافق على الاقتراح الأول فتقدم سعادة إحسان بك واقترح أن يكون المرجع مهندس لواء نابلس فوافق على ذلك، وقد وعد غبطته في إرسال مندوبة خلال أيام من الاجتماع.

تم تقديم اعتراض من البطريركية اللاتينية على هذه الخطة التفصيلية التي اقترحت هدم مجمع الدير اللاتيني، واستبدالها بساحة عامة في تاريخ ١٩٥٢/٠٢/١٥م، وأرسل البطريرك إشعاراً إلى نائب الرئيس الأردني يعبر فيه عن مدى أهمية هذا الدير ومجمعه بالنسبة للطائفة المسيحية في نابلس، وجادل بأن المخطط الشامل (الهيكلي) المعد زمن الانتداب البريطاني لعام ١٩٤٧م، والذي أعده خبراء لا تقل خبرتهم عن من أعد هذا المخطط التفصيلي لم يقترح حل مشكلة الشارع بهدم البناء، إلا أن متصرف لواء نابلس السيد إحسان بك هاشم ابلغهم بأنه إذا لم يتم الاتفاق مع بلدية نابلس على استملاك المبنى، فلهم استعمال حقهم القانوني بالاعتراض على المشروع لدى لجنة تنظيم المدن المحلية خلال شهرين من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية بموجب القانون، وبذلك قدمت البطريركية اللاتينية التي يمثلها البطريرك ألبرت غوري اعتراضاً رسمياً إلى لجنة الأبنية وتنظيم المدن المحلية، في مدينة نابلس بتاريخ ١٩٥٢/٠٤/٢م، وقام رئيس لجنة التنظيم والبناء المحلية المهندس نعيم عبد الهادي بالرد على هذا الاعتراض بتاريخ ١٩٥٢/٠٥/٢٦م، بناء على جلسة اللجنة بتاريخ ١٩٥٢/٠٥/٢١م، والتي قررت الإبقاء على المشروع بشكله المقرر، وعدم إدخال أية تعديلات عليه لأهمية المشروع للمدينة والتي شرحت سابقاً.

أدى رفض البطريركية اللاتينية إلى تأخير عملية البناء في الفضاء العام الجديد لمدة (١٠) أشهر، ولم توقف (٨) أشهر من المراسلات بين البطريركية اللاتينية، ووزير الداخلية الأردني، وبلدية نابلس البلدية عن مواصلة التخطيط فتم إعداد الخطة التفصيلية والموافقة عليها من قبل لجنة التخطيط المحلية في نابلس في (٣١) يناير(١٩٥٢)، ثم في ١/ مارس/١٩٥٢م، وتم نشرها في الجريدة الرسمية (فلسطين- فلسطين).


ملحق رقم ١ للعدد ١١٠١ من الجريدة الرسمية الصادر بتاريخ ٥ جمادى الآخرة ١٣٧١ الموافق ١ آذار ١٩٥٢

قانون تنظيم المدن لسنة ١٩٣٦

منطقة تنظيم مدينة نابلس

اعلان ايداع مشروع تنظيم مفصل لتعديل جزء من خارطة تنظيم مدينة نابلس الهيكلي

يعلن للعموم، وفقا لاحكام الفقرة (١) من المادة السادسة عشرة من قانون تنظيم المدن لسنة ١٩٣٦، ان نسخة عن المشروع المعروف (بمشروع تنظيم مفصل لتعديل جزء من خارطة تنظيم مدينة نابلس الهيكلي) مع الخارطة المتعلقة به، قد اودعت في مكتب لجنة الابنية وتنظيم المدن المحلية في دائرة بلدية نابلس.

ويباح الاطلاع على المشروع مع الخارطة المتعلقة به، بلا رسم، ويجوز لجميع ذوي الشأن في الاراضي والابنية، والاملاك الاخرى المشمولة بهذا المشروع، سواء بصفتهم من اصحاب الاملاك او باي صفة اخرى، ان يقدموا اعتراضاتهم عليه للجنة الابنية وتنظيم المدن المحلية خلال شهرين من تاريخ نشر هذا الاعلان في الجريدة الرسمية للمملكة الاردنية الهاشمية.

١٤ شباط سنة ١٩٥٢

(احسان هاشم)
رئيس لجنة تنظيم المدن والبناء المركزية
بلواء نابلس

الشكل: إيداع مشروع تنظيم تفصيلي لبناء الدوار في الجريدة الرسمية ١٩٥٢

(المصدر: أرشيف بلدية نابلس)

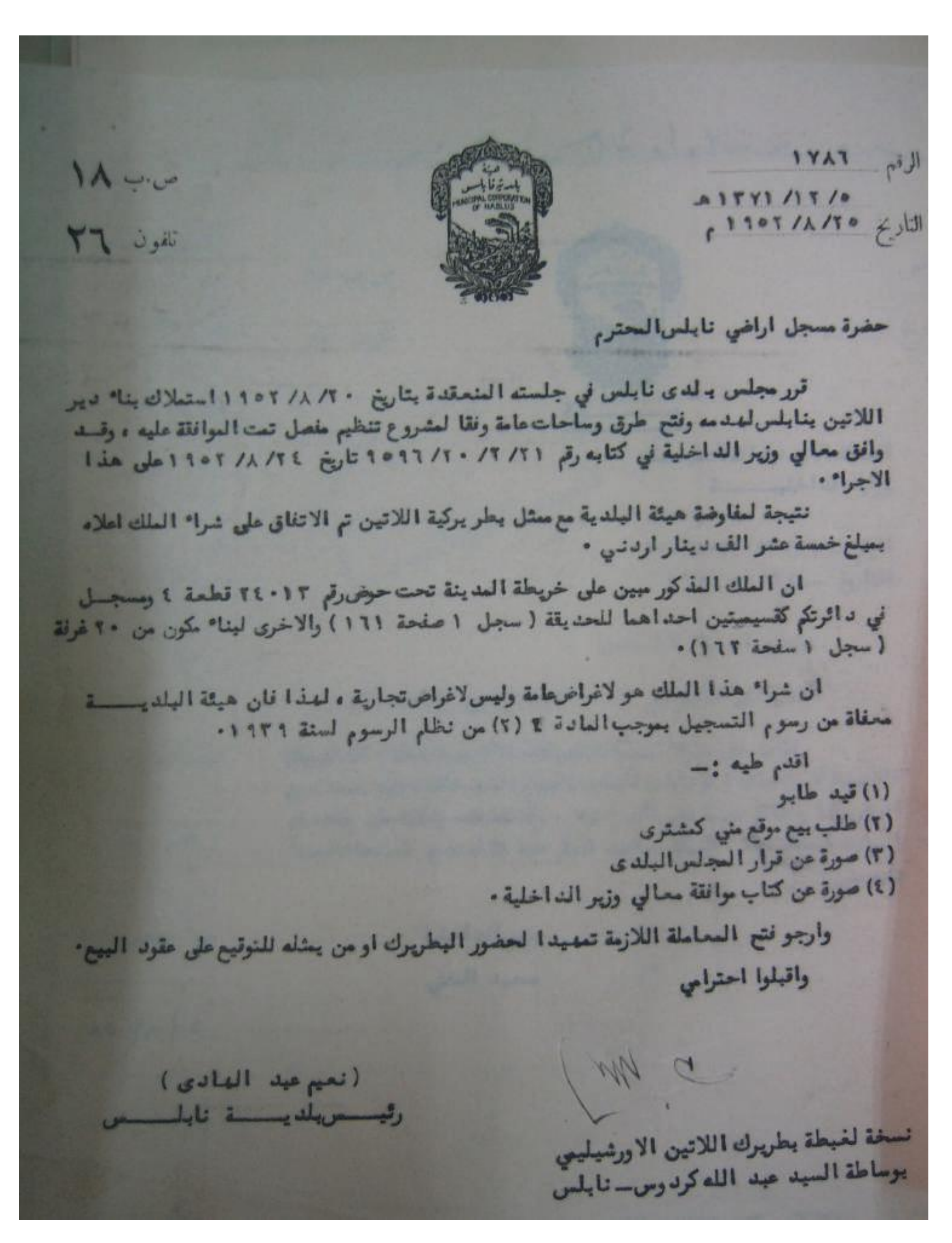
وافقت لجنة تخطيط المدن المركزية، في منطقة نابلس، على تنفيذ الخطة التفصيلية دون أي تعديلات في ٢١/ مايو١٩٥٢م، وتم حل النزاع على الدير دون تفسير وبعث البطريرك برسالة إلى الحكومة الأردنية في ١٨/أغسطس/١٩٥٢م، وافق فيها على قبول (١٥٠٠٠) دينار أردني كثمن لملكية البطريركية اللاتينية وقرر المجلس البلدي الموافقة على استملاك أرض الدير قرار رقم (١) بجلسته بتاريخ ٢٠/٠٨/١٩٥٢م، وتم شراء الدير رسمياً في ٢٧/٨/١٩٥٢م.

تم هدم مبنى الكلية الوطنية (الدير) في أكتوبر١٩٥٢م، وبدأت بلدية نابلس عملية إنشاء وبناء الفضاء العام الجديد للمدينة، الذي أصبح الفضاء العام، ومركز المدينة الرئيسي حتى هذا اليوم.

بعد إنشاء الدوار، اتفق الجميع على أهمية الدوار، على أن هناك حاجة إلى الفضاء العام الرئيسي الجديد لتطوير وتوسيع المدينة، وقال فتحي ناصر في مقابلة معه إن الأنشطة الاجتماعية والتجارية كانت تتركز في ساحة النصر قبل عام ١٩٥٢م، إلا أن المدينة القديمة لم تكن كبيرة بما يكفي ولم تكن مناسبة لاستيعاب الناس والأنشطة المرتبطة بها.

لقد كانت هناك حاجة لنقل الفضاء العام المركزي خارج حدود المدينة القديمة، ومجمع دير اللاتين يقع في المدخل الرئيسي للمدينة القديمة، ويمنع المدينة القديمة من التوسع خارج حدودها (مقابلة مع زهير الدبعي)، وبموجب القانون يحق للبلدية وضع خطط مفصلة للمدينة وتحويل بعض المناطق إلى أماكن عامة بشرط تعويض أصحابها، وهذا ما فعلته بلدية نابلس بمنطقة الدير.

إن دور البلدية، في الفترة الأردنية، في اتخاذ القرار في تخطيط المدينة واحضار المهندس المصري د."سيد كريم"، لإعداد مخطط تفصيلي للمدينة، واتخاذ القرار بتوسعة المدينة، وانشاء مركز رئيس للمدينة بديل عن ساحة النصر يعبر عن دور البلدية، واستخدامها التخطيط كأداه في انتاج الفراغات/الساحات العامة، وكيف أن عملية التصميم التي هدفت لهدم مبنى الكلية الوطنية (دير اللاتين) كانت بحاجة لقوة السلطة (البلدية في هذه الحالة)، لتتمكن من خلال عملية التخطيط التفصيلي هدم مبنى الكلية الوطنية، وهذه القوة تم ممارستها على إنشاء الفراغ وتشكيله.



الرقم ١٧٨٦

التاريخ ١٣٧١/١٢/٥ هـ
١٩٥٢/٨/٢٥ م

ص.ب ١٨

تلفون ٢٦

حضرة مسجل اراضي نابلس المحترم

قرر مجلس بلدى نابلس في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٥٢/٨/٢٠ استملاك بناء دير اللاتين بنابلس لهدمه وفتح طرق وساحات عامة وفقا لمشروع تنظيم مفصل تمت الموافقة عليه ، وقد وافق معالي وزير الداخلية في كتابه رقم ٥٠٩٦/٢٠/٢/٢١ تاريخ ١٩٥٢/٨/٢٤ على هذا الاجراء.

نتيجة لمفاوضة هيئة البلدية مع ممثل بطريركية اللاتين تم الاتفاق على شراء الملك اعلاه بمبلغ خمسة عشر الف دينار اردني .

ان الملك المذكور مبين على خريطة المدينة تحت حوض رقم ٢٤٠١٣ قطعة ٤ ومسجل في دائرتكم كقسيمتين احداهما للحديقة (سجل ١ صفحة ١٦١) والاخرى لبناء مكون من ٢٠ غرفة (سجل ١ سفحة ١٦٢).

ان شراء هذا الملك هو لاغراض عامة وليس لاغراض تجارية ، لهذا فان هيئة البلديــة معفاة من رسوم التسجيل بموجب المادة ٤ (٢) من نظام الرسوم لسنة ١٩٣٩.

اقدم طيه :-

(١) قيد طابو
(٢) طلب بيع موقع مني كمشترى
(٣) صورة عن قرار المجلس البلدى
(٤) صورة عن كتاب موافقة معالي وزير الداخلية .

وأرجو فتح المعاملة اللازمة تمهيدا لحضور البطريرك او من يمثله للتوقيع على عقود البيع.

واقبلوا احترامي

(نعيم عبد الهادى)
رئيـس بلديـة نابلـس

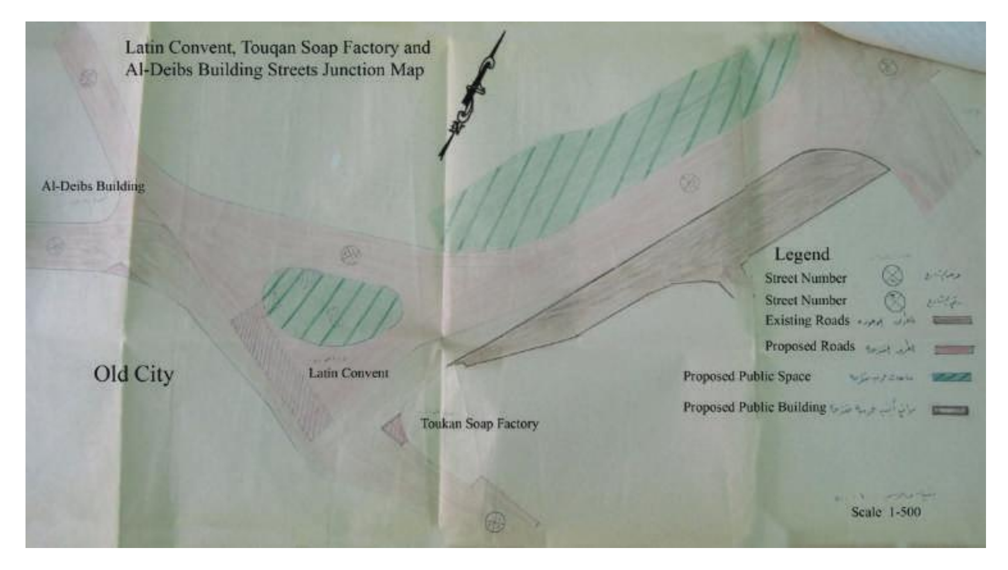
نسخة لغبطة بطريرك اللاتين الاورشيليمي
بوساطة السيد عبد الله كردوس ـ نابلس

الشكل نابلس: قرار المجلس البلدي في مدينة نابلس لاستملاك بناء الدير ١٩٥٢

(المصدر: أرشيف بلدية نابلس)

يوضح المخطط التفصيلي للساحة العامة الرئيسة الجديدة (كما هو موضح في الشكل) دير اللاتين (المستطيلات المهشره)، كما هو مخطط لهدمه للسماح بتوسعة المدينة القديمة، وإيجاد مركز مدينة جديد، والسماح بمساحة خضراء مقترحة (القطع الناقص الأخضر)، التي تأخذ مكان الدير، تم بناء الشكل البيضاوي الأخضر على شكل دائري، والذي كان يدعى دوار، سمي مركز المدينة الجديد دوار الحسين، في إشارة إلى الضفة الشرقية، والملك حسين.

يتذكر فتحي ناصر (٢٠٠٩م) التصميم الأول للدائرة المليئة بالتربة والمحاطة بحافة مبنية والتي لم يستمر التصميم الأصلي لها لفترة طويلة، لكن السيد ناصر لا يعرف متى تنفذ هذا التصميم .



الشكل نابلس: مخطط تفصيلي للفضاء العام الجديد ١٩٥٢
(المصدر: أرشيف بلدية نابلس)

الاحتلال الإسرائيلي (١٩٦٧م-١٩٩٣م):

في عام ١٩٦٧م شنت إسرائيل حرب الأيام الستة ضد العرب، واستولت على الضفة الغربية وقطاع غزة، ومرتفعات الجولان السورية، وشبه جزيرة سيناء المصرية، وفي حزيران ١٩٦٧م دخل الجنود والمركبات الإسرائيلية نابلس من الشرق، وهم يحملون أعلام الأمة العربية، الأمر الذي أدى لحسن الحظ إلى تقليص الهجرة

من المدينة، ومع ذلك، انخفض عدد سكان نابلس (باستثناء القرى المرفقة) من (٥٣٠٠٠) شخص في عام (١٩٦٦م) إلى (٤٤٠٠٠) بعد الاحتلال، نتيجة للهجرة، ومنع الإسرائيليون النابلسيين الذين كانوا يعملون خارج البلاد من العودة (Qamheih1992: 51).

وفي عام١٩٨٠م، أصدر القادة الإقليميون للجيش الإسرائيلي (IDF) في قطاع غزة، والضفة الغربية أمراً عسكرياً بإنشاء إدارة مدنية ذات قواعد في كل موقع من أجل إدارة الحياة المدنية للفلسطينيين في الأرض الفلسطينية المحتلة.

الحالة الاجتماعية والاقتصادية: في عام ١٩٦٧م، أجرى الاحتلال الإسرائيلي تعداداً إحصائياً بعد "حرب الأيام الستة"، وكان عدد السكان ٦١،١٤٣ نسمة، في عام ١٩٧٢م، بلغ عدد سكان مدينة نابلس (باستثناء القرى المرفقة ومخيمات اللاجئين) ٥٠١٠٠ نسمة (Qamheih1992: 15-16).

وبحلول أواخر الستينيات، بدأ اقتصاد المدينة يعاني من الاعتماد على الاقتصاد الإسرائيلي الذي كان يعاني من معدل تضخم سنوي قدره (٤٠٠٪)، وأدى إلى خفض سريع للقيمة النقدية، ويحظر القانون الإسرائيلي على أي فلسطيني استيراد أو تصدير البضائع، إلا من خلال وكيل إسرائيلي (Qamheih1992: 18).

وعلاوة على ذلك كان هناك نموذج ناشئ أظهر أن الصناعيين الإسرائيليين يستغلون العمالة ذات الأجور المتدنية المتوافرة في الضفة الغربية، ويقومون بعمليات فرعية لمصانعهم الإسرائيلية هناك، وتم فتح الباب لرأس المال الإسرائيلي لاختراق الصناعة في الضفة الغربية (Ryan 1974:14) .

التطور العمراني والفيزيائي للمدينة:

مع حرب عام ١٩٦٧م، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، واجهت نابلس العديد من المشاكل فيما يتعلق بمصادرة الأراضي، وفرض قيود معينة على البناء، والتوسع الفيزيائي، ووضعت سلطات التخطيط الإسرائيلية قيوداً على البناء خارج حدود بلدية نابلس، وكانت هناك ندرة في الأراضي السهلية المريحة داخل الحدود، ونتيجة لذلك، بنى السكان على الأراضي شديدة الانحدار المتاحة.

تمتد المنطقة المبنية لنحو ٦،٥كم على طول الوادي و٢،٥-٣كم أعلى من المنحدرات الجبلية، وتوسعت الحدود البلدية من (١٨٠٤٠) دونماً عام ١٩٦٣م

إلى (٢٦٥٠٠) دونماً في عام١٩٨٧م (بلدية نابلس ١٩٨٧م) (انظر الشكل) (Qa-mheih1992: 51)، وعلى الرغم من التغيرات في الظروف السياسية مع بداية الانتفاضة الأولى (١٩٨٧م-١٩٩٣م)، استمرت المدينة في توسعها في جميع الاتجاهات تقريباً (انظر الشكل) (Abdelhamid 2009).

وفي هذه الفترة، وبحكم القانون الدولي، فإن تنظيم المدن في الضفة الغربية المحتلة يجب أن يكون منظماً بقانون تنظيم المدن الأردني رقم (٧٩) لعام ١٩٦٦م، وفي هذه الفترة لوحظ قلة التوسع العمراني للمدينة، حيث تمت عملية التوسعة لمرة واحدة فقط، ففي العام ١٩٨٦م تم عمل توسعة في حدود المدينة من الناحية الشمالية الشرقية ليشمل أجزاء من أراضي قرية عصيرة الشمالية، وكذلك تم التوسع من الجهة الشرقية باتجاه شارع القدس، ومن الجهة الشمالية الغربية ليشمل منطقة شارع حيفا ومنطقة إسكان المهندسين.

لقد عمل الاحتلال على تحجيم التجمعات العربية، ومنها مدينة نابلس، وقد أدى ذلك إلى اكتظاظ أحياء مدينة نابلس، ونقص في الخدمات، ومارس الاحتلال إرهاباً ضد المجالس البلدية والمحلية، وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٨٥م-١٩٨٧م أقالت قوات الاحتلال رئيس بلدية نابلس، وعينت بدلاً عنه، رئيس بلدية إسرائيلي، وفي بعض الفترات كانت بلدية نابلس دون رئيس، وتتبع مباشرة لسلطة ضابط الإدارة المدنية.

إنتاج وتطور الدوار:

بعد أربعة عشر (١٤) عاماً من البناء، لم يتغير تصميم الدوار، إلا أنه نما من حيث الأهمية السياسية، فخلال هذه الفترة أصبح ساحة عامة، وفراغاً عاماً، للنزاع بين الاحتلال العسكري الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية، فعلى سبيل المثال، نظمت حركة الطلاب مظاهرات قبل انتفاضة عام ١٩٧٦م وأثنائها، وفي خلال إحدى هذه الاحتجاجات والتظاهرات في شوارع نابلس، تم إطلاق النار على الناشطة الطالبة لينا النابلسي، التي أصبحت رمزاً لانتفاضة عام ١٩٧٦م، في الفولكلور السياسي الفلسطيني (Doumani 1987:18)، وردت السلطات العسكرية على الاحتجاجات والمظاهرات، التي هي الحق الطبيعي في التعبير عن الذات، من خلال تكثيف هذه الإجراءات التعسفية، وخاصة في الساحات العامة (Jabara Shaqaa 1978).

كان الفضاء العام للدوار يشكل موقعاً للتعبير عن الاحتجاج والنزاع، وعلى الرغم من ذلك، لم تتأثر الوظيفة، أو التخطيط العمراني للدوار بشكل كبير، وهذا يشير إلى اختلاف بين حجم الفضاء العام للدوار، والمقاييس الأوسع للمدينة والأراضي الوطنية التي أصبحت الحياة الفلسطينية فيها شديدة التحكم من قبل الاحتلال الإسرائيلي بصفة خاصة بعد إنشاء الإدارة المدنية الإسرائيلية في عام ١٩٨١م، حيث تدخلت على نطاق واسع، في جميع جوانب الحياة العامة والخاصة للفلسطينيين.

وفي الانتفاضة الأولى(١٩٨٧م-١٩٩٣م)، كانت المقاومة نتيجة للإجراءات التعسفية لسلطة الاحتلال الإسرائيلية، وأدى ذلك إلى الإضرابات والمظاهرات، التي عبرت عن مشاعر احتجاج الناس، وعلى الرغم من أن السبب الأول للانتفاضة كان محلياً للغاية، إلا أن الانتفاضة الأولى أصبحت واضحة في سياق التحولات الأوسع في الأراضي الفلسطينية من قبل دولة الاحتلال الإسرائيلية.

عبرت المقاومة الشعبية الفلسطينية عن رفضها للممارسات الإسرائيلية، التي أدت إلى الثورة، واحتلال الفراغات العامة، والمقاومة الشعبية، التي غالباً ما أدت إلى مواجهات بين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي.

ومع توقيع اتفاقيات أوسلو في عام ١٩٩٣م، انتهت الانتفاضة الأولى، وتم تنفيذ إعادة انتشار القوات العسكرية الإسرائيلية خارج المدن الفلسطينية وفقاً للاتفاقات.

لعب الدوار مرة أخرى دوره الطبيعي كمركز للمدينة، ومركز حيوي للمواصلات في مدينة نابضة بالحياة، في الانتفاضة الثانية.

وخلال الانتفاضة الأولى، نظم الاحتلال العسكري الإسرائيلي الدوار كمكان للسيطرة، وقد تم ذلك عن طريق تنفيذ تقسيم مكاني صارم، وإغلاق لمداخل البلدة القديمة عن طريق البوابات والبؤر العسكرية.

وكانت البوابات واحدة من أكثر التقنيات الإسرائيلية الدائمة، إلا أن هذه البوابات لم توقف الشباب عن المقاومة والحجارة، بل على النقيض من ذلك، فقد اعتاد الشباب على اختراق النقاط والحاجز الأمني الفاصل بينهم وبين الجيش الإسرائيلي، حيث كانوا يرمون الحجارة من الخلف، لقد تحولت تقنية البوابات إلى واجهة للمواجهة، وكان الهدف منها هو تقسيم الدوار إلى مناطق خاضعة للسيطرة، وفرض قيود على حركة شباب الانتفاضة.

وهناك أسلوب آخر للعقاب استخدمته القوات الإسرائيلية، وقد تمثل في النقاط العسكرية للمراقبة التي تعتبر آليات للمراقبة والرصد، وحددت هذه النقاط العلاقة وموازين القوى بين المقاومة الفلسطينية في منطقة الدوار، وبين جيش الاحتلال الإسرائيلي في مواقع استراتيجيه على أسطح البنايات، رغم أن المباني في منطقة الدوار لم تكن عالية كفاية لاستخدامها كمراكز ونقاط عسكرية، باستثناء "عمارة العنبتاوي"، التي كانت موقعاً جيداً للمراقبة والإشراف على الدوار والمدينة القديمة، لقد تم استخدام المبنى من قبل القناصة الذين قتلوا العديد من الفلسطينيين من هذه النقطة.

مع وجود هذه النقاط العسكرية، كان الدوار مراقباً وتحت السيطرة في كل نقطة، وتم الإشراف على أدنى تحركات للمقاومة، وتم تسجيل جميع الأحداث، كل ذلك شكل نموذجاً مدمجاً للآلية التأديبية لمراقبة وإيقاف المقاومة حسب ما أشار ميشيل فوكوه (Foucault 1977).

كما استخدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي سلطتهم السيادية، وذلك من خلال فرض حظر للتجوال من أجل تنظيم الفضاء العام للدوار ولأنشطة الفلسطينيين وسلوكياتهم، من خلال فرض جداول زمنية صارمة يسمح فيها للمرء بالتواجد في الشوارع، لقد أنكر الجيش الإسرائيلي بفعله هذا حق الفلسطينيين في الدخول إلى أماكنهم العامة واستخدامها.

يتعامل الحق في الفضاء العام مع العلاقات الاجتماعية، والقيود، والعزل في بنية السلطة المهيمنة في ضبط وتنظيم إمكانية الوصول إلى الأماكن العامة ووظائفها (Stout 2008)، ويشدد على الحاجة إلى إعادة هيكلة علاقات القوة التي تكمن وراء بنية السلطة المسيطرة والفصل بينها في التحكم في إمكانية الوصول إلى الأماكن العامة ووظائفه (Stout 2008)، كما يشدد على الحاجة إلى إعادة هيكلة علاقات القوة التي تكمن وراء إنتاج الفضاء الحضري، وتحويل السيطرة بشكل أساسي بعيداً عن رأس المال والدولة، ونحو سكان المناطق الحضرية، الحق في المدينة يمكّن سكان المناطق الحضرية ويدور حول إنتاج الفضاء الحضري.

هؤلاء هم الذين يعيشون في المدينة هم الذين يمكنهم المطالبة بحقهم في المدينة (Lefebvre 1996; Purcell 2002). أصبح حظر التجول هو الأسلوب الأكثر فعالية للسيطرة العسكرية. وهو في الواقع، يضمن، بشكل عام، السيطرة العسكرية الكاملة (Johnson et al. 1988).

السلطة الوطنية الفلسطينية (١٩٩٣م- وحتى الآن):

في عام ١٩٩٣م، اعترفت إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية، وأعطتها حرية محدودة في الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وغزة مقابل السلام، ووافقت منظمة التحرير الفلسطينية بدورها على إنهاء الانتفاضة الأولى (١٩٨٧م-١٩٩٣م) وتولي المسؤولية في الضفة الغربية وغزة، والتخلي عن مطالبتها للأراضي الإسرائيلية، وهذه الاتفاقات، إلى جانب إعلان الجانبين لإنهاء الصراع، أصبح يعرف باسم عملية أوسلو للسلام (اتفاق أوسلو ١) (Hafez 2003:17)، في هذه الفترة كان للفلسطينيين الحق في إدارة سياسية خاصة بهم على شكل السلطة الفلسطينية.

في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية، حسّنت نابلس من موقفها، وحاولت حل المشاكل العديدة التي سببها الاحتلال الإسرائيلي، وخلال هذه الفترة توسعت المدينة في جميع الاتجاهات، لا سيما في اتجاه الشرق والغرب على أرضٍ مريحةٍ من سفوح الجبال المحيطة بها، وبالإضافة إلى ذلك، تم ضم عدد من القرى إلى حدود بلدية نابلس ((Abdel Hadi 2004:70) cited in (Bishawi 2008))، وفي عام ١٩٩٥م أعادت إدارة التخطيط في بلدية نابلس تحديد حدود المدينة لتشمل مساحة إجمالية قدرها (٢٦٨٠٠) دونماً. وتم إعداد مخطط هيكلي واعتماده من قبل مجلس التنظيم العلى في عام ١٩٩٦م.

تطور الدوار:

لقد دعت اتفاقات أوسلو إلى فترة انتقالية مدتها خمس سنوات، حيث ينبغي أن تؤدي المفاوضات السياسية إلى إعلان قيام دولة فلسطينية بحلول أيار/ مايو/١٩٩٩م (Hafez 2003)، وخلال فترة اتفاق السلام هذه، لم يلعب الدوار دوره السياسي الذي لعبه خلال الاحتلال الإسرائيلي، ورغم حدوث بعض المظاهرات والاحتجاجات هناك، إلا أنها كانت سلمية تجمع ضد الممارسات الإسرائيلية على الفلسطينيين، بيد أن الفلسطينيين انتهى بهم المطاف مطالبين بدولتهم رداً على المصادرات السريعة للأراضي التي يقوم بها الإسرائيليون، الأمر الذي جعل الحكم الذاتي الفلسطيني ونهاية ناجحة للمفاوضات يزداد صعوبة، هذا هو السياق والأساس الذي يجب أن نفهم فيه الانتفاضة الثانية، رغم أن كثيرين يشيرون إلى الزيارة المشينة التي قام بها أرييل شارون للمسجد الأقصى كسبب مباشر.

وعلى الرغم من أن الانتفاضة الثانية تشبه إلى حد ما الانتفاضة الأولى، إلا أنها كانت أكثر عنفاً وشهدت استخداماً أوسع للقوة من قبل الجيش الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية.

وخلال الانتفاضة الثانية تأثر الدوار بمجموعة مفروضة من التدابير للسيطرة على الأراضي الفلسطينية، وحاصرت نقاط التفتيش عند مداخل نابلس حركة الناس، والبضائع من وإلى المدينة، تم تقويض مكانة الدوار النابض بالحياة بشكل كبير، وأدى تصاعد النزاع إلى مقاومة شبه مسلّحة من قبل المقاومة الفلسطينية، وكانت في معظمها، حضرية في نطاقها، ونتيجة لذلك، اجتاح الجيش الإسرائيلي نابلس مساء الأربعاء ٣/أبريل/ ٢٠٠٢م، واحتل المدينة حتى الأحد ٢١/ أبريل (Abujidi; Verschure 2006)، وكان الهدف هو كسر المقاومة التي كانت تتمركز في مدينة نابلس القديمة.

كان كل من مدينة نابلس، والدوار يخضعان لحظر تجوال صارم طوال فترة الاجتياح، مما يدل على التأثير الهيكلي للسلطة السيادية بشكل أقوى مما كان عليه أثناء الانتفاضة الأولى، وقد تم فرض حظر التجوال على مدار ٢٤ ساعة على نابلس (بالإضافة إلى مدن فلسطينية أخرى) لفترات طويلة، وسجن الناس في منازلهم، ووضع حد لمشاركة الجماهير العامة في الشوارع التي ميزت الانتفاضة الأولى، وتحت حظر التجوال، ظل الناس في منازلهم تحت تهديد القتل إذا شوهدوا على نوافذهم أو شرفاتهم، وقد حُرموا من الحق في التواجد في أماكنهم العامة، ولا سيما في الدوار، لقد تم استخدام حظر التجوال كتقنية وإستراتيجية خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية المختلفة، وفي هذه الفترة، مارس الاحتلال العسكري الإسرائيلي سلطته على الدوار عندما كانوا هناك مع أجهزتهم العسكرية سيطروا على الدوار بالقوة والقمع بالإضافة إلى قتل الناس.

يقع الدوار على حواف البلدة القديمة، ويعمل كمدخل إليها (Hammami 2002)، وقد احتلت الدبابات والدوريات الإسرائيلية الدوار، وحاول الجيش التحرك داخل المدينة التاريخية، على الرغم من الدمار الهائل الذي تسببت به هذه العملية بسبب النسيج الحضري المعقد والأزقة الضيقة، ومن أجل تنفيذ هذه الخطة، تم استخدام الدوار كثكنات عسكرية، ومكان لتخزين الدبابات، وبعد انتهاء هذا الاحتلال المباشر للموقع، قام الجيش الإسرائيلي بنقل قواته إلى القواعد

العسكرية المحيطة به، وترك الدوار مدمراً ومهجراً، كما تركت مراكز الشرطة الفلسطينية مدمرة وفارغة، وتحطمت المقاومة تقريباً نتيجة للهجوم العنيف للجيش الإسرائيلي، لقد كانت لحظة فوضى، وفقد للنظام نتيجة لتقويض الإسرائيليين للسلطة السياسية الفلسطينية القائمة.

بالنسبة للفلسطينيين، فإن الدوار هو رمز لهويتهم وقوتهم، وهكذا يصبح الأمر بالنسبة للاحتلال العسكري الإسرائيلي أداة لقمع ومراقبة الهوية الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، لقد فقد الدوار، خلال فترات الاجتياح العسكري، أهميته كفضاء عام، واكتسب معاني ووظائف جديدة للفلسطينيين الذين لم يعد لهم الحق في استخدام الفضاء العام أو مدينتهم.

تحول وإنتاج الفراغات العامة في نابلس- الدوار:

تعكس سلسلة التحولات التي مر بها الدوار منذ ١٩٥٢م التغيرات العديدة في منطقة نابلس، سواء كانت سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، على الرغم من الهويات المختلفة لمجموعات القوى الرئيسية الفاعلة في المنطقة، فإن كلاً منها وجد في الدوار مركزاً يخدم احتياجاتها ومصالحها، في الواقع لم تسع أي من هذه المجموعات لإنشاء مركز جديد أو فريد، وقد أجريت جميع التغييرات على سطح الدائرة والمساحة المحيطة بها عن طريق بناء أو تفكيك أو إعادة بناء، بدلاً من إجراء تغييرات على الساحة نفسها، منذ أن شيد الدوار كساحة عامة رئيسية في نابلس، توسعت المدينة في جميع الاتجاهات، وتزامن هذا التوسع مع التنمية الحضرية والاجتماعية الاقتصادية، وتحول الدوار على المستويات العمرانية والفيزيائية والاجتماعية الاقتصادية خلال ثلاث فترات سياسية (أردنية وإسرائيلية وفلسطينية) نتيجة لعلاقات القوة.

يعمل تخطيط الفضاء العام كحاضن مكاني للعديد من الفعاليات التي تجري وتتفاعل في الفضاء العام، ومن الأهمية، عند تحليل تحوّل الفراغات العامة مثل حالة الدوار، حيث أن معظم التقنيات المتبعة في الفراغات العامة تستفيد من خصائص التصميم الحضري لتلك المساحة العامة للسيطرة عليها، وممارسة تقنياتها، إن دراسة التصميم المادي، تعطي صورة واضحة عن المساحة، ومكوناتها، ورموزها. وهكذا، يسهل فهم أفعال الناس والجهات الفاعلة الأخرى التي هي في السلطة ودورها في تطور الفراغات العامة في حالتنا (الدوار).

كانت علاقات القوة واضحة جداً في عملية تطور الدوار، وكنتيجة لعلاقات القوة هذه، تم إنشاء/بناء الدوار وكذلك تطوره كفراغٍ عام عن طريق تخطيطه، وتصميمه، وفرض تقنيات أنتجت بدورها تصورات ومقاوماتٍ مختلفة، أوضح الدوار كيف أن التغيير في علاقات القوة وتقنياتها الخاصة بالصلاحيات قد أدى إلى تغيير النظرة إلى الفضاء والمقاومة العامة.

References

1. Abdelhamid, Ali (2009). Urban planning study for Nablus (in Arabic). Power Point Presentation presented for the seminar "renovation of the historical old cities". Nablus-Palestine
2. Abujidi, Nurhan; Verschure, Han (2006). Military Occupation as Urbicide by "Construction and Destruction": The Case of Nablus, Palestine. The Arab World Geographer/Le Géographe du monde arabe, Volume 224–195 :(4) 8
3. Bishawi, Manal (1999). Nablus old city center (Sahet An-Nasr): archeological and architectural study (in Arabic). Masters research submitted to the High Institute for Islamic Archeology at al Qods University, Jerusalem-Palestine
4. Brodin, Jonas (2006). The structure of public space. Prepared for delivery at the 2006 Annual Meeting of the Midwest Political Science Association, April 23–20.
5. Bulle, Sylvaine (2009). "We Only Want to Live": From Israeli Domination Towards Palestinian Decency in Shu'fat and Other Confined Jerusalem Neighborhoods. Jerusalem quarterly, Volume (34-24 :(38
6. Carr, Stephen; Francis, Mark; Rivlin, Leanne and Stone, Andrew (1992). Public space. Environmental and behavior Series. Daniel Stokols and Irwin Altman (eds) Cambridge University Press.
7. Doumani, Beshara (1987). "We are Here to Stay". MERIP Middle East Report, No. 146, Twenty Years After (May - Jun., 1-15 :(1987
8. Dijkstra, Lewis W. (2000). Public spaces: a common discussion of the criteria for public space. Research in Urban Sociology, Volume 22-5:1
9. Feidi, Sireen (2000). The historical and morphological transformation of the urban spaces in old Nablus. Masters research submitted to the Faculty of Graduate studies at University of Jordan, Amman-Jordan
10. Gilbar, Gad G. (1989). The Economy of Nablus and the Hashem-

ites: The Early Years, 56-1949. Middle Eastern Studies, Volume 63-51 :(1) 25

11. Hafez, Mohammed (2003). The Palestinian Uprising – the Intifada I (1994-1987). How has the Palestinian uprising brought greater international attention and aid to the Palestinians?. Research paper-University of Missouri – Kansas City- Political Science 380H
12. Hammami, Rema (2002). Palestine after Operation Defensive Shield. Middle East Report, 27-18 :223
13. Ilkay, Yasemin (2007). The political struggle on and at public space: the case of Kizilay square. Master thesis submitted for Middle East Technical University.
14. Jabara, Abdeen; Shaqaa, Bassam (1978). West Bank Protests against Israeli Repression. MERIP Reports, 22-16 :70
15. Johnson, Penny; O'Brien, Lee; Hiltermann, Joost (1988). The West Bank Rises Up. Middle East Report, 12-4 :152
16. Khayat Shlomo. (1985), Ramallah and Al-Beireh Outline Plan 1985. Final Report, Jerusalem, (unpublished report),((In Hebrew)
17. Lau, Joseph C. Y.; Chiu, Chiu C. H. (2003). Accessibility of low-income workers in Hong Kong. Cities, 204–197 :(3)20.
18. Lefebvre, Henri (1991). The production of space. Oxford: Blackwell.
19. Low, Setha; Lawrence-Zuniga, Denise (2003). The anthropology of space and place: locating culture. Blackwell publishing
20. Low, Setha; Smith, Neil (2006). The politics of public space. Routledge
21. Madanipour, Ali (2003). Public and Private spaces of the city. Routledge
22. Madanipour, Ali (2003a). What are the design and development of public spaces significant for cities?. In Cuthbert Alexander R (ed.) Designing cities: critical readings in urban design. Black-

well publishing
23. Mills, Sara (2003). Michel Foucault. Routledge Taylor and Francis Group, New York, United States of America
24. Mitchell, Don (1995). The End of Public Space? People's Park, Definitions of the Public, and Democracy. Annals of the Association of American Geographers, Volume 133-108 :(1) 85.
25. Mitchell, Don; Staeheli, Lynn A. (2006). Clean and safe? Property redevelopment, public space, and homeless in downtown San Diego. In Setha Low, Neil Smith (2006) The politics of public space. Routledge
26. Nimir, Ihsan (1975). Tarikh Jabal Nablus wa al-Balqa (History of Jabal Nablus and al-Balqa). Volume 4.
27. Pasaogullari, Nil; Doratli, Naciye (2004). Measuring accessibility and utilization of public spaces in Famagusta. Cities, Volume 21 232–225 :(3)
28. Purcell, Mark (2002). Excavating Lefebvre: The right to the city and its urban politics of the inhabitant. GeoJournal, Volume :58 2002 ,108–99.
29. Stout, Michael (2008). Place/ Participation and contested space: local practices of place making in over-the- Rhine. Masters of Community Planning in the School of Planning of The College of Design, Art, Architecture, and Planning
30. Qamheih, Khaled (1992). Saving the old town of Nablus. PhD Thesis submitted to University of Glasgow, UK

٣١. بيشاوي، منال (١٩٩٩). مركز البلدة القديمة في مدينة نابلس (ساحة النصر) دراسة أثرية ومعمارية. رسالة ماجستير. جامعة القدس-المعهد العالي للآثار الإسلامية

٣٢. عمران، عادل (٢٠٠٨). الامتداد العمراني لمدينة نابلس والعوامل المؤثرة فيه. رسالة ماجستير- جامعة النجاح الوطنية

٣٣. النمر، إحسان (١٩٧٥). تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس- ج ٤

إعادة الإعمار في أثناء التخريب والحصار

"نابلس"

م. نصير رحمي عرفات[1]

ملخص البحث

يتركز البحث حول مشروع إعادة إعمار البلدة القديمة في مدينة نابلس، ويشمل عرضاً لأعمال الهدم والتخريب التي قام بها الاحتلال الإسرائيلي للبلدة القديمة في الفترة بين نيسان ٢٠٠٢م، وحتى اليوم، وما واكبها من أعمال ترميم وإعادة بناء لما تم هدمه من قبل قوات الاحتلال. ويتضمن تفصيلاً لأعمال الترميم التي تم انجازها في اثناء أعمال الهدم والتخريب وبعدها، الجهات التي تقوم بتنفيذها.

وفيه كذلك تفصيل الحديث عن أعمال الترميم من وجهة نظر علمية نقدية، لما تم إجراؤه من أعمال، وذلك من الناحية الفنية المتعلقة بمواد البناء المستخدمة، وآليات العمل، والشؤون الاجتماعية المتعلقة بآلية اختيار المباني التي تم ترميمها، وكذلك المحددات الاجتماعية والسياسية، وتأثيراتها على آلية العمل ومهنيته.

كما يتطرق البحث إلى عرض إيجابيات هذا المشروع من حيث تأمين المسكن، وإعادة الحياة للبلدة القديمة، وسلبياته من ناحية بعده عن تحقيق التنمية المستدامة من خلال أعمال الترميم التي ينظر إلى تأثيرها السلبي على المباني القديمة نفسها، وعلى السكان مستقبلاً والتي يمكن رؤيتها بعيدة عن تحقيق المسعى التنموي المستدام في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وذلك من وجهة نظر نقدية.

(١) مدير عام اللجنة الأهلية لمحافظة نابلس

مقدمة

مدينة نابلس

تقع مدينة نابلس في الجزء الشمالي من فلسطين، وتبعد حوالي ٦٥كم عن مدينة القدس، ويقع الجزء القديم من المدينة في الوادي الذي يحيطه جبلا عيبال في الجهة الشمالية (٩٢٠م فوق سطح البحر) وجرزيم في الجهة الجنوبية (٨٥٠م فوق سطح البحر)، وتتراوح ارتفاعات أراضي البلدة القديمة بين ٢٨٠-٥٠٠م فوق سطح البحر[٢].

وبحسب دائرة الإحصاءات المركزية، بلغ عدد سكان المدينة حوالي ١١٤٢١٠ نسمة، يعيش ما يقارب ١٢٣٠٠ نسمة منهم في البلدة القديمة، والتي تبلغ مساحتها ٢٨٠ دونماً، فيما تبلغ مساحة المدينة كاملة ٢٨٨٠٠ دونماً، وبلغ عدد اللاجئين ما يقارب ٢٦٦٤٧ نسمة يسكنون أربعة مخيمات تقع ضمن حدود المدينة (إحصاء عام ٢٠٠٠م).

تاريخ نشأة المدينة

نابلس مدينة كنعانية أنشئت في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان اسمها حينذاك شكيم[٣] (كلبونة، ١٩٩٢،١٣م)، وقد تهدمت معظم أجزائها، ولم يتبقَ سوى بعض الآثار، وأساسات البيوت القديمة العائدة إلى تلك الفترة، أما الرومان فقد قاموا ببناء المدينة الحالية في العام ٧١م. وأسماها الرومان فلافيا نيوبولس[٤] (المدينة الجديدة) والتي حرفت إلى اسمها الحالي نابلس (أنظر الفني، ١٩٩٩، ٤٢-٤٨، وكلبونة ١٩٩٢، ١٨-٢٣) .

أعلنت نابلس في القرن الرابع الميلادي مركز أسقفية، وكان نتيجة ذلك بناء عدد كبير من الكنائس البيزنطية التي لا يزال عدد منها قائماً إلى اليوم، وتعود معظم الأبنية القائمة اليوم في البلدة القديمة إلى الفترة العثمانية، حيث تهدمت المدينة عدة مرات نتيجة الزلازل التي ضربتها على فترات متباينة، وكانت المدينة القديمة محط إعجاب عدد من الرحالة، ونذكر من أوصافهم لها ما قاله شيخ الربوة الدمشقي (ت١٣٢٧م): "وهي كأنها قصر في بستان...ويسمونها دمشق الصغرى"

(٢) صور عامة للمدينة والبلدة القديمة.

(٣) صور لآثار مدينة شكيم.

(٤) صور لآثار المدينة الرومانية.

(الدومينيكاني، ١٩٤٨، ٢٢٧، نقلاً عن كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر).

وتعدُّ البنية الهيكلية للبلدة القديمة مثالاً رائعاً تتجسد من خلاله، ميزات المدينة الإسلامية الشرقية، ويعدُّ تقسيم الوظائف في أسواقها، وتحديد طبيعة الاشتغال، والنشاط الإقتصادي ذا بعد تنظيمي تفصل فيه المناطق السكنية عن العامة، وتحدد مناطق الحرف والمنتجات المحلية بما يوفر الحياة الهادئة للسكان بعيداً عن الضوضاء، وفي وسطها سوق القماش الذي تعلو سقفه القمريات التي ينُفُذ من خلالها ضوء النهار، وتوفر سبل المياه الستة عشر مصدراً للشرب من ينابيعها الأربعة.

وتشكل الأبنية القائمة فيها عناصر تراثها الثقافي العريق، ومنها الحمامات التركية، التي يبلغ عددها عشرة حمامات، ومصانع الصابون الثلاثون، كما يبلغ عدد الوحدات السكنية، في داخل البلدة القديمة، ما يقارب ١٥٦٠ وحدة سكنية، ومنها ثلاثة قصور كانت تخص الحكام المحليين في الفترة العثمانية، وهي تعبير رائع عن فن العمارة التقليدية في المدينة، ويضاف إلى هذه عدد من البيوت التي كانت تخص كبار رجال الدين، والعلم، وأشراف المدينة، ويصل عدد هذه المساكن إلى عشرين داراً وتضم كل واحدة منها، إلى جانب المسكن، ديواناً خصص للقاء صاحب البيت مع أشراف المدينة ولاستقبال زائريه(٥).

الاجتياح الإسرائيلي لمدينة نابلس

تعرضت مدينة نابلس إلى عدة هجمات من قبل القوات الإسرائيلية، وكان أول هجوم قد استهدف مخيم بلاطة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٨م واستمر أربعة أيام، وتلا ذلك هجوم موسع ومركزي استهدف مدينة نابلس، وتحديداً البلدة القديمة، وكان ذلك بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٣م، واستمر خمسة عشر يوماً، وتبع ذلك هجوم ثانٍ بتاريخ ٢٠٠٢/٦/١م، وثالث بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٢١م، أعقبه منع تجول استمر أربعة أشهر متواصلة، ثم قامت القوات الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠٢/٨/٧م باجتياح البلدة القديمة مرة اخرى، وتلا ذلك هجوم آخر بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/١م، وكان موسعاً، واستمرت القوات الإسرائيلية بتناوب هجماتها المركزة على مناطق جغرافية محددة من المدينة حتى نهاية شهر كانون الأول، ثم تبع ذلك استراتيجية ربما تكون مدلولاتها مفجعة، تمثلت باعتقال جميع من هم فوق الرابعة عشرة من العمر، وكان ذلك من خلال

(٥) عرض خريطة المواقع الهامة للبلدة القديمة، وصور لنماذج من الأبنية المذكورة، وكذلك الحمامات والمصابن والأبنية السكنية.

عدة هجمات فاق عددها تسع مرات، واستهدفت البلدة القديمة تحديداً، واستمرت القوات الإسرائيلية بتنفيذ هجماتها على البلدة القديمة، وأحياء متفرقة من المدينة بين الحين والآخر، ونتج عن ذلك تخريب متعمد لعدد من الأبنية، إضافة إلى ما سببه ذلك من إرهاب منظم ضد السكان المحليين (محافظة نابلس).

نتائج الاجتياحات الإسرائيلية

بعيداً عن الحديث عن الخسائر البشرية، والشهداء والجرحى... فقد أدت أعمال الهدم والتخريب التي واكبت إعادة احتلال المدينة عدة مرات، والهجمة الإسرائيلية الشرسة والمتكررة على البلدة القديمة تحديداً، أدت إلى هدم٢٠ بيتاً بالكامل، وكذلك إحداث أضرار متنوعة بالمباني القديمة التي اعتبرت، على إثرها، غير صالحة للسكن، وعددها يفوق ٢٢٠ بيتاً. أما المنازل السكنية التي أصيبت بالضرر على اختلاف مستوياته بين الخفيف والمتوسط، فقد بلغ عددها ما يزيد عن ٢٠٠٠ منزل.

ويضاف إلى ذلك كله المحال التجارية التي تم تخريب بواباتها، وتكسير أو حرق محتوياتها (قسم الترميم، بلدية نابلس)، أما فيما يخص محافظة نابلس، فإن عدد المباني المهدمة بالكامل وصل إلى ٤٠٠ منزل، وما يقارب من ٤٠٠٠ منزل ومنشأة متضررة بنسب متفاوتة، ومنها ما تضرر أكثر من مرة (وزارة الأشغال العامة، نابلس)[٦]. ويضاف الى كل ما سبق تخريب النسبة العظمى من البنى التحتية المتمثلة بشبكات الطرق، والمياه، والكهرباء، والهواتف وهذه خارج إطار التفصيل في هذا المبحث.

ونتيجة هذه الهجمة المبرمجة، التي هدفت بالأساس إلى تهجير سكان البلدة القديمة، فقد تم تشكيل اللجنة الأهلية لدعم صمود انتفاضة الأقصى المباركة في المحافظة باشتراك ١٥ مؤسسة أهلية في المدينة، وتمكنت اللجنة من الحصول على دعم كريم من عدد من الدول الإسلامية والعربية، ومن المؤسسات الداعمة؛ البنك الإسلامي للتنمية، والحكومة العراقية، وجمعية الهلال الأحمر الإماراتية، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت.

وقامت وزارة الأشغال بالإشراف على أعمال الترميم وصرف هذه الأموال (وزارة الأشغال العامة، نابلس).

(٦) صور لعدد من المواقع التي تم هدمها

أما بلدية نابلس فقد حصلت على دعم من الحكومة النرويجية، واشترطت المنحة أن تكون آلية الصرف بنسبة ٧٠٪ لتشغيل الأيدي العاملة، و٣٠٪ لدفع أثمان مواد بناء لإعادة الإعمار،وحصلت البلدية كذلك على منحة من الحكومة اليابانية، ولكن آلية الدفع لم تكن مشروطة بآلية صرف محددة سوى أن المدة الممنوحة للصرف كانت تسعة أشهر، ومثلها المنحة من جمعية الهلال الاحمر في دبي، وتم صرفها في أثناء ثلاثة أشهر (قسم الترميم/ بلدية نابلس).

ومن الجدير ذكره، أن المنح السابقة جميعها صرفت لتنفيذ أعمال ترميم، وإعمار للمباني المتضررة جزئياً، والخفيفة الضرر، ولم يتم إعادة بناء أي من الأبنية التي هدمت بالكامل في داخل البلدة القديمة، وتم من خلال ذلك العمل على إصلاح ما يقارب ٦٥٠ منزلاً من خلال المنحة النرويجية، و٤٠٠ منزلاً من خلال المنحة اليابانية، أما المنحة المقدمة من دبي فقد تم تخصيصها لدراسة آلية منهجية لإعادة إعمار ثلاثة منازل متهدمة بالكامل.

وصف آلية العمل وملاحظات حولها

أولاً عمل وزارة الأشغال العامة

كان عمل وزارة الأشغال العامة متقدماً في توقيت بدئه على بلدية نابلس. وبالتالي، فقد بدأت الوزارة أعمال الإصلاح والترميم في البلدة القديمة من خلال أرباب العمل أنفسهم، وبإشراف هندسي محدود القدرات والعدد، حيث لم يكن بالإمكان تقدير حجم العمل الكبير والمفاجئ، وتوفير مستلزماته.

وحيث أتاحت الوزارة للمنتفعين "المفترضين" تقديم طلبات الحاجة إلى الإعمار، فقد تقدمت أعداد كبيرة جداً من المواطنين، وكان عدد منهم مدّعين التضرر بشكل مباشر من الهجمة الإسرائيلية، مما استوجب عمل تقييم للطلبات من قبل لجنة مختصة، قامت الوزارة في البداية بأعمال إصلاح للبوابات والمداخل التي تم تفجيرها من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وكذلك أشرفت على أعمال إصلاح للنوافذ، والشبابيك المتكسرة، وخاصة أن الجو كان بارداً والحاجة إلى الدفء شديدة. وكان الهدف المباشر من أعمال الإصلاح السريعة هو تأمين المساكن التي خسرت أبوابها.

وتبع ذلك أعمال ترميم محدودة لعدد من المنازل، والمحال التجارية بلغ عددها حتى تاريخ ٢٠٠٣/١/١م ما يقارب ٢٨٠٠ [٧]مبنى (وزارة الأشغال العامة، نابلس).

ملاحظات حول آلية العمل لدى الوزارة

يتضح، من تقييم العمل، الذي نفذته الوزارة، ونتائجه، أن إشكاليات عديدة قد واجهت عملية التنفيذ لأعمال إصلاح البيوت المتضررة من الاجتياح الإسرائيلي، وأهمها:

١. كان عدد المتقدمين لطلبات التعمير كبيرة، وتفوق قدرات تحمل كادر الوزارة.

٢. لم يلاحظ وجود خطة عمل واضحة لتنفيذ المشاريع ذات الأولوية، وربما تكون موجودة ولكنها غير معلنة.

٣. لم يكن هناك تنسيق مع بلدية نابلس على صعيد الإشراف على تنفيذ الأعمال.

٤. لم يكن لدى الوزارة كادر متخصص بأعمال الترميم، مما أدى إلى إخراج الأعمال وفق رؤى هندسية تخالف في كثير من الأحيان، مبادئ الترميم، ومن ذلك استبدال الأبواب الخشبية بأبواب من الحديد الخفيف، واستبدال النوافذ الخشبية القديمة بأخرى من الألمنيوم، واستعمال الإسمنت بدلاً من الشيد في أعمال الكحلة والقصارة للأبنية القديمة.

النواحي الإيجابية

١. أمكن توفير الاحتياجات الأساسية المستجدة، مثل؛ الأمان لأصحاب البيوت الذين فقدوا أبواب منازلهم، وإحساسهم أن الباب الحديدي آمن أكثر من الباب الخشبي القديم.

٢. أمكن توفير دفء للمنازل من خلال تركيب النوافذ الزجاجية المكسرة.

٣. أعادت هذه الأعمال بعض الشعور بالاستقرار للسكان الذين فقدوه، نتيجة الهجمات المتكررة للجيش الإسرائيلي.

(٧) يلاحظ أن مجموع أعداد المباني المذكور عددها يفوق عدد ما ذكر أنه تم تخريبها والسبب في ذلك عائد إلى أن تكرار الإجتياحات الإسرائيلية للمدينة قد أدى إلى تخريب عدد من المنازل أكثر من مرة واحدة.

ثانياً: مشاريع الترميم التي نفذتها بلدية نابلس

كانت قوات الإحتلال تقوم بالتدمير عن طريق التفجير الداخلي وزرع القنابل، بالإضافة للقصف بالطائرات، واستعمال الجرافات على الأرض، مما احتاج، في كثير من الأحيان، استعانة بلدية نابلس بالفرق الهندسية والعسكرية للبحث والتنقيب عن عبوات تم زرعها من قبل قوات الاحتلال، أو سقوطها دون أن تتفجر حتى تتمكن الطواقم المختلفة من العمل بحرية وأمان، وقدمت بلدية نابلس جميع طاقتها من الآليات الخفيفة والثقيلة، وأحياناً كانت أعمال تعزيل الأنقاض تتم يدوياً مع وجود الفرق الهندسية لتدعيم المباني أثناء تعزيل الدمار، وتم تشغيل مجموعات كبيرة من المواطنين بأجور بالإضافة لفرق المتطوعين، وتسخير كل الامكانات لإنجاز المهمة الصعبة والمعقدة، وحصلت بلدية نابلس على عدد من المنح التي تم تخصيص كل واحدةٍ منها لأهداف محددة، وتمثلت بالآتي:-

١. منحة بكدار، وخصصت لإصلاح مجموعة كبيرة من الجدران الإستنادية في جميع أنحاء المدينة وقدرت بِ ٢٠٠٠٠٠ دولار تقريباً .

٢. المنحة النرويجية الأولى، والتي خصصت لتعزيل أنقاض الإجتياحات لبعض المباني .

٣. المنحة النرويجية الثانية، وقدرت ب ١,٥ مليون دولار وهي منحة تشغيلية، تم إصلاح ٢٠٠ منزل تقريباً، وكان هدفها مساعدة الكوادر، والعمال، وأصحاب المهن لإيجاد بعض فرص العمل، وتخفيض وطأة الحصار الإسرائيلي، وقد تم توفير مواد بناء، وتشغيل ٦٠ مهندساً بكافة التخصصات المطلوبة، بالإضافة لعمال مهنيين، وغير مهنيين، واعتماد مصادر لمواد البناء، وأحياناً تم تشغيل أصحاب المنازل المدمرة، وهذا يُعد من الإيجابيات لكيفية إصلاح الأضرار بهذه الطريقة، ومن السلبيات التي سجلت أثناء الترميم: هو صعوبة وصول مواد البناء؛ بسبب تدمير الطرق أحياناً، والارتفاعات الشاهقة للمنازل المدمرة أدى إلى زيادة تكلفة الإصلاح .

٤. المنحة اليابانية، التي قدرت بِ ٢ مليون دولار، وكانت على شكل عطاءات لمقاولين، وهدفت لإصلاح وإعادة بناء المباني التي هدمت بشكل كلي، وتم توظيف ٣٥ موظف بكافة التخصصات، بالإضافة لتشغيل مقاولين وبعض الشركات الهندسية وتم إصلاح أكثر من ٢٥٠ منزل تقريباً .

٥. المنحة النرويجية الثالثة، والتي كانت مشابهة للمنحة النرويجية الثانية من ناحية تشغيل العمال والمهندسين وتوريد المواد، حيث تم توظيف ٤٠ مهندساً تقريباً بالإضافة الى أكثر من ١٠٠٠ عامل مهني وغير مهني تقريباً، وقدرت الميزانية المخصصة لها بِ ٢ مليون دولار، وتم إصلاح أكثر من ٤٠٠ منزل تقريباً.

٦. المنحة الإماراتية، تم من خلالها، إصلاح أضرار مختلفة خصص منها إصلاح بعض الأضرار الخفيفة أثناء الاقتحامات المتكررة للمدينة .

٧. صندوق البلدية الخاص، حيث خصص لإصلاح بعض الأضرار الطارئة، بسبب عدم وجود تمويل مالي مباشر يلبي الحاجة الملحة للسكان .

٨. صندوق الطوارئ، الذي تم تخصيصه لإصلاح بعض الأضرار التي حصلت أثناء اقتحامات القوات الإسرائيلية المتكررة للمدينة، والبلدة القديمة، والمخيمات، وأحياناً بعض القرى، وكانت بلدية نابلس شريكة مع المحافظة ودائرة الأشغال العامة، والشؤون الاجتماعية، واللجنة الأهلية منذ بدء إنشاء الصندوق، واستمر لأكثر من ٧ سنوات تقريباً .

٩. منحة كوبي، وهي منحة مقدمة من مؤسسة إيطالية، وخصصت لإصلاح وإعادة تأهيل واجهات وقناطر وطرق وساحات عامة داخل البلدة القديمة، وتميزت هذه المنحة بالشراكة مع بلدية نابلس، بتقديم مواد بناء، وأدوات، وخدمات من مياه وغيرها، من قبل البلدية على أن تقوم إدارة المنحة بصرف رواتب للعمال الذين قاموا بتنفيذ الأعمال التي ذكرت .

١٠. منحة البنك الإسلامي، وتقدر بقيمة مليون دولار تقريباً، علماً بأنه تم تخصيص المبالغ حسب الحاجة الملحة لبعض الأضرار التي لم تتم معالجتها من آثار الإجتياحات والاقتحامات الإسرائيلية، وكانت في الفترة بين ٢٠٠٩م-٢٠١٠م، وتم تخصيصها كالتالي :-

أ. إعادة تأهيل ستة سُبل في أماكن متفرقة من البلدة القديمة بما فيها عين نبع القريون.

ب. إعادة تأهيل الواجهات الخارجية المطلة على الطرق العامة، وفي أماكن مختلفة في البلدة القديمة .

ت. إعادة تأهيل وترميم جامع البيك .

ث. إعادة تبليط بعض الساحات العامة داخل البلدة القديمة (مثل ساحة عبد الهادي، وأجزاء من ساحة النصر) .

ج. إعادة تأهيل مجموعة من الحمامات العامة داخل وخارج البلدة القديمة.

١. المنحة النرويجية

بلغت قيمة المنح النرويجية ما مجموعه حوالي ٤٨٥٠٠٠٠ $ دولار أمريكي، حيث اشترطت الدولة المانحة صرف ٧٠٪ من قيمتها لتشغيل الأيدي العاملة، فقد اتبعت بلدية نابلس أسلوب العمل الذي يعتمد صرف أتعاب العمل عن طريق أجور مياومة، وتم تشغيل أعداد كبيرة منهم للعمل في مواقع محددة بإشراف مباشر من مهندس موقع تم تعيينه لمتابعة العمل، وحيث إن عدد الفنيين المطلوب يفوق حجم العمل فقد تم تشغيل عدد من غير المتخصصين بالترميم، ولم يتم تجهيز عطاءات عمل محددة وملزمة للمشرف والفني، كما لم يتم تجهيز خطة عمل ومنهجية تنفيذية لكل موقع، وربما يكون مرجع ذلك وسببه ضيق الوقت، وكبر حجم العمل المطلوب!

ومن الملاحظات على أسلوب العمل بهذه الطريقة نجد ما يلي:

١. ترك أمر تحديد حجم العمل المطلوب تنفيذه لكل موقع للمهندس المشرف، ونتج عن ذلك سوء تقدير لحجم العمل المطلوب وتكاليف تنفيذه، وقد أدى ذلك إلى نقص ميزانية المشروع عما تم تنفيذه من أعمال، مما أدى إلى توقف العمل في عدد من المشاريع.

٢. لم يتم وضع برنامج ارشادي اجتماعي لتوعية السكان المستفيدين من المشروع بخصوصية منازلهم وآلية التعامل معها، وضرورة أن لا يكون لهم تدخل في مجريات أعمال الترميم[٨]. وحيث لم يتم إلزامهم بأمر كهذا قبل البدء بأعمال الترميم، فقد قام عدد كبير من المواطنين بالتدخل السافر بأعمال الترميم، وكان لهم رأيهم الذي كانوا يقومون بالمشاكسة في أثناء تنفيذه مما كان له الأثر الكبير في تأخير تنفيذ عدد كبير من المشاريع، وإحداث إشكاليات في تنفيذ العمل بها.

٣. يؤخذ على المشروع أنه، من الناحية الفنية، لم يكن هناك التزام مقبول بنوعية مواد البناء المستخدمة في أعمال الترميم، ويشكل استخدام الإسمنت أحد أهم

(٨) من طريف ما يؤلم أن أحد المتضررين من جراء القصف الإسرائيلي لمنزله والذي أدى إلى إحداث فجوة في سقف المنزل قد قام باستكمال هدم السقف لأنه عبارة عن قبة وحيث أن البلدية سوف تقوم بإصلاحه فإن الناتج سوف يكون سقفاً مستوياً وهذا سوف يوفر على زوجته عناء نشر الغسيل من خلال النافذة ويمكنه من استغلال السطح أيضاً.

الإشكاليات الفنية في أعمال القصارة، وكحلة الحجر، ولوحظ من آثار ذلك أن الرطوبة الداخلية، والملوحة قد زاد ظهورهما على الحوائط الداخلية.

٤. كان يتم الاتفاق على إجراء أعمال ترميم لموقع، وبعد استكماله كان عدد من السكان أصحاب العقار يرتأون استخدامه بشكل مغاير لما كان عليه أصل الاستخدام وطبيعته بعد الترميم، وقد أدى ذلك إلى قيام أصحاب عدد من المنازل بإجراء تغييرات على طبيعة الإستخدام بما كان يؤثر سلباً على ما تم إنجازه من أعمال من قبل المرممين، ومن ذلك خلع القصارة بهدف عمل تمديدات صحية للماء، أو للكهرباء وكان يتم في عدد من الحالات كسر حجر الواجهة الداخلية للمبنى لتركيب هذه التمديدات.

٢. المنحة اليابانية

بلغت قيمة المنحة اليابانية ما مجموعه ١،٣٥٠،٠٠٠ $ دولار أمريكي، ولم تكن آلية الدفع مشروطة بآلية صرف محددة، أو أسلوب عمل مقيد، ولكن الفترة الزمنية الممنوحة للتنفيذ كانت تسعة أشهر كحد أقصى.

وحيث لم يكن شرطاً لدى الجهة المانحة أن يتم التنفيذ من خلال الأيدي العاملة مباشرة، فقد كان أثر ذلك إيجابياً في سهولة التعامل مع مقاولين محليين لتنفيذ الأعمال، كما أصبح من السهولة بمكان تحديد حجم الصرف المالي، وتقييد المنفذين بتقديم ناتج أعمالهم وفق أسس مضبوطة ببنود عطاءات محددة.

ملاحظات حول أسلوب العمل

يعدُّ العمل وفق قواعد وأسس أنظمة العطاءات ذا فائدة قصوى في برمجة العمل، وتقييد المنفذ بشروط وأحكام تضمن حسن الأداء ودقة الإنتاج (في كثير من الأحيان)، وحيث أن بنود العطاءات ملزمة للمقاول فليس بإمكان صاحب المنزل المشتغل به أن يتدخل بمجريات العمل، وبالتالي لم تطرأ تغييرات تذكر على مجرى سير العمل في أي من المشاريع نتيجة تدخلات أصحاب المنازل.

ثالثاً: مشاريع جمعية اللجنة الاهلية

نبذة عن الجمعية وأهم مشاريعها

جمعية اللجنة الاهلية؛ جمعية خيرية غير ربحية، تأسست في العام ٢٠٠٠م، مع انطلاقة الانتفاضة الثانية لدعم صمود أهالي المحافظة ضد الهجمة الصهيونية، وشارك في تأسيس الجمعية نخبة من المؤسسات الحكومية وأبناء نابلس، ونفذت الجمعية عدة مشاريع؛ أهمها:

١. مشروع إعمار البيوت التي تهدمت من الاجتياحات الإسرائيلية.

٢. برنامج الإيواء، وهو توفير السكن للعائلات التي هدمت منازلها، أو تضررت بشكلٍ كبير من الاجتياحات الإسرائيلية.

٣. مشروع دعم الأسر التي فقدت مُعيلها، أو أحد أبنائها، أو أسره في السجون الإسرائيلية.

٤. مشروع إعمار بيوت الفقراء، وذوي الاحتياجات الخاصة .

٥. مشروع دعم وتعويض التجار الذين هدمت محلاتهم، أو تضررت نتيجة الاجتياحات.

٦. تقديم المعونات الغذائية، والصحية من خلال آليات عمل، تضمن وصول المعونات لمستحقيها.

٧. إنشاء عيادات الطوارئ المتنقلة في الأزمات، وتنظيم أيام العمل الطبية المجانية، وفي هذا المجال قامت الجمعية بترميم عيادة طبية لسكان البلدة القديمة، وتزويد المستشفى الوطني بأجهزة وكراسي غسيل الكلى، مما خفف المعاناة عن المرضى في المحافظة ومناطق الشمال.

والجمعية هي نتاج للشراكة المجتمعية والعمل الجماعي، بين القطاعات الخاصة والعامة والجمعيات الخيرية، ولعل أهم ميزة لعمل الجمعية، هو تكامل العمل المجتمعي بما يخدم تعويض النقص، واستكمال المطلوب لجميع المشاريع التي تم تنفيذها من خلال المؤسسات الرسمية السابقة،

ولعل أهم ميزة لعملها هو سرعة الاستجابة للوضع الطارئ الناجم عن الاجتياحات، وبالتالي أسهمت بتخفيف العبء المادي، والضغط الاجتماعي، وتقليل تزايد الخسائر، خاصة في مشروع التدعيم لما قد يسقط من أبنية، بسبب عدم ترميمها بشكل مباشر.

ملاحظات حول أسلوب العمل

اتسم عمل اللجنة الأهلية بالشراكة، إذ أن اعتماد العمل المشترك بين بلدية نابلس، ووزارة الأشغال، وإدارة اللجنة الأهلية، كان له الأثر الإيجابي في تحقيق التواصل الذي كان غائباً في معظم الأحيان عن العمل المؤسسي المنفرد.

وكان عمل اللجنة الأهلية للإعمار من خلال اتجاهين، تمثل الأول بدعم صندوق الطوارئ بالمال اللازم للاستجابات الطارئة التي تتطلبها الأوضاع الميدانية، ومن ناحية أخرى تنفيذ عدد من الأعمال الإغاثية، وفي الوقت نفسه تدخل مناسب، حيثما يلزم لأعمال الإعمار وفق آلية مختلفة تمثلت بتقديم المال اللازم للإعمار، للمستفيدين بشكل مباشر، وبشكل دفعات مالية مبرمجة بحسب الإنجاز الذي يتم تحديد بنوده من خلال مهندسين من بلدية نابلس، وكان يتم توصيف الأعمال وتحديدها، وتزويد المستفيد بها، بحيث يقوم بالعمل من خلال جهوده الشخصية، وبمساعدة من أقرباء أو مهنيين مدفوعي الأجر من المنحة نفسها.

واعتبرت هذه الآلية في التعامل مع المستفيدين مختلفة عما سبق، حيث مكنت صاحب المنزل المتضرر من العمل بحرية حسب احتياجه وفق معايير محددة، وفي الوقت نفسه مكنته من العمل بيده بشكل مباشر، فوفر من خلاله بعض المال لاحتياجات أخرى.

ومن الجدير ذكره أن الجمعية، ومن خلال المؤسسات الشريكة، في هيأتها الإدارية، قد تمكنت من تجنيد جميع العاملين في المؤسسات دون تحمل أعباء إدارية، وتشغيلية، وصرف مالي على التوظيف، وبالتالي تم صرف المنح المقدمة بشكل مباشر للمستفيدين، وفي الوقت نفسه تم تمكين المؤسسات الشريكة من أداء دورها الإيجابي بشكل كامل للمستفيدين، وتمكنت الجمعية من إدارة وصرف ما يقارب ١٥ مليون دولار لأعمال الأغاثة، والإعمار في فترة الاجتياحات وما تلاها.

الاستنتاج

يستدل، مما سبق، أن مشروع إعادة إعمار نابلس القديمة قد بدا صعب المُنال في بدايته، واستمر العمل فيه مثل ما قد يبدو جهاداً ضد ثقافة لا تقدر التراث الثقافي وأهميته في حياة الشعوب،

وقد أثمرت الأعمال الأولى التي نفذتها بلدية نابلس، خيراً طيباً في رفع مستوى الفكر المحلي بأهمية وفائدة التراث الثقافي، وضرورة حمايته من الهدم والتخريب، وخاصة مع تحسس المواطن العادي لعدد من الفوائد التي تجسدت من خلال مشاريع تبليط الشوارع، وسقفها، وترميم القناطر وغير ذلك.

وإذ أدت الانتفاضة الثانية، والإجتياحات الإسرائيلية، إلى تهدم العدد الكبير من الأبنية التراثية والتاريخية في المدينة، فإن أعمال الترميم المتواصلة التي تقوم بها بلدية نابلس بشكل رئيس وغيرها من المؤسسات العاملة في هذا المجال، قد أدت إلى رفع مستوى ثقافة المواطن العادي، وصاحب البيت القديم، تحديداً بأهمية الحفاظ عليه، وإمكانية الإستفادة من الأبنية القديمة وترميمها والعيش فيها، مهما كانت نسبة الضرر الحاصلة، وزاد في تعميق الشعور الوطني بأهمية التراث الثقافي ما قامت به القوات الإسرائيلية من استهداف متعمد للأبنية التاريخية، ومحاولة جعل البلدة القديمة مهجورة السكان وتخريبها.

ومن الناحية الفكرية الخاصة بتأثير هذه الأعمال على تحقيق التنمية المستدامة للبلدة القديمة، فإن الموضوع شائك ومعقد، ولم يلاحظ أي اهتمام بتحقيق هذا الجانب المهم في حياة المواطنين من خلال نظرة شمولية، وتنفيذ الأعمال التي قد تؤدي إلى تحقيقه من خلال منطلق فكري متقدم.

فمن الناحية الإجتماعية وعلى الرغم من التأثير الإيجابي العالي لأعمال الترميم على حياة المواطنين، لم يرافق أعمال الترميم أي اهتمام برفع مستوى الثقافة العامة حول ماهية أعمال الترميم، وإمكانات الاستفادة منها للمجتمع بشكل عام، واقتصرت الأعمال على ترميم معماري وإنشائي فقط، ويستثنى من ذلك مشروع يعمل على تنفيذه مركز تنمية موارد المجتمع، وهو هيئة غير حكومية تابعة لليونسكو، وبإدارة البلدية والمشروع هو عبارة عن سلسلة من الأنشطة المجتمعية التي تهدف إلى توعية المواطنين بتراثهم الثقافي، وأهمية المحافظة عليه، ولا بد من

ذكر أن جمعية الحفاظ على البلدة القديمة قد نفذت عدة أنشطة، وفعاليات؛ بهدف توعية المواطنين بهذا الجانب التراثي الهام، وتأثيره على الحياة الإجتماعية للسكان، إلا أن ذلك كله لا يغني عن التواصل المباشر مع المستفيد المباشر من أعمال الترميم، والذي كان من الأجدى استهدافه مع بدء أعمال الترميم، حتى يشكل عنصراً فاعلاً لدعم أعمال الترميم المقامة في مكان سكنه.

ومن الناحية الإقتصادية فإن طبيعة المشاريع التي حصلت البلدية على دعم لتنفيذها، تندرج في إطار تشغيل الأيدي العاملة، ولم يكن فيها دعم لتدريب عاملين بحيث يتمكنون من رفع مستوى كفاءتهم المهنية بما يخدم اكتسابهم لخبرة فنية متميزة، تكون رافداً لهم لرفع مستوى معيشتهم الإقتصادية الشخصية، وهناك العديد من الحرف المرتبطة بأعمال الترميم والتي لم يتم مراعاة الإستفادة منها في دعم برنامج لإعادة خلق مهن متخصصة بالترميم تكون رافداً لأعمال مستقبلية، ومن ذلك إعادة بناء العقود في الأسقف والقصارة الجيرية، وتلميع البلاط الأرضي، وإعادة تركيب البلاط السلطاني وتكحيله، وصناعة الأبواب، والنوافذ الخشبية، وغير ذلك من الأعمال التي استبدلت بمنتجات حديثة، وفي بعض الأحيان مستوردة، والتي كان بالإمكان من خلالها تشغيل المهنيين العاطلين عن العمل، ورفد السوق المحلي بمهنيين جدد، وإحياء مهن مهددة بالإندثار، فمثلاً استبدل الشُباك الخشبي القديم بآخر من الألمنيوم، وهو من مواد خام مستوردة، وكان الأجدى إعادة إحياء صناعة النجارة التي يعاني عدد كبير من أصحابها من توقف أعمالهم، وكان بالإمكان تشغيل عدد من العاملين لتلميع البلاط الأرضي الملون بدلاً من خلعه، وتكسيره، واستبداله بالبلاط المستورد، أو المصنع محلياً.

أما من الناحية البيئية ولكونها العنصر الثالث والأساسي من عناصر تحقيق التنمية المستدامة، فإن أعمال الترميم، وعلى الرغم من أهميتها في دعم الحفاظ على البيئة من خلال إعادة استخدام عدد من مواد البناء كالحجر، إلا أن المشكلة الكامنة في فكر التجديد كمنهج لتنفيذ أعمال الترميم يعتبر مأخذاً سلبياً كبيراً على أعمال الترميم التي نفذتها كلتا المؤسستين، ومن الأمثلة الصارخة على ذلك، إعادة قصارة الواجهات الداخلية جميعها بعد خلع القصارة الجيرية الأصلية واستبدالها بقصارة اسمنتية حديثة، ولم تكن فكرة "ترقيع" القصارة، أو إعادة تثبيت ما تفكك منها متبعةً، في كثير من الحالات، وهذا من شأنه زيادة الردم الناتج، وارتفاع تكاليف العمل، وكذلك عدم مهنية واضحة تؤدي إلى تأثير سلبي على البيئة بدلاً من أن تكون رافداً لتحسينها.

وعلى هذا يتبين، مما سبق، أنه على الرغم من ضخامة العمل المنجز، والجهود الكبيرة التي بذلت وتبذل من أجل تنفيذه، فإن ما هو مطلوب من مهنية عالية، والتي يحتاجها تنفيذ مشروع شمولي، لإعادة إعمار مدينة نابلس هو كبير، وتجدر الإستفادة من خبرات أخرى لتنفيذه لكي يخرج بالشكل الأنسب، والذي يلبي احتياجات السكان المحليين بالاستقرار في بيئة نظيفة وعالية الجودة.

المراجع

١. دائـرة الإحصـاءات المركزيـة (٢٠٠٠م). تقاريـر إحصـاءات السـكان، دائـرة الإحصـاءات المركزيـة.

٢. الدومينيكانـي (١٩٤٨م). ٢٢٧، نقـلاً عـن كتـاب نخبـة الدهـر في عجائـب البـر والبحـر.

٣. الفنـي، ابراهيـم (١٩٩٩م). نابلـس في الحضارتـين اليونانيـة والرومانيـة، بلديـة نابلـس.

٤. كلبونة، عبدالله (١٩٩٢م). تاريخ مدينة نابلس، مطبعة النصر.

٥. قسـم الترميـم، بلديـة نابلـس. المهنـدس سـامح عبـدو، مديـر مشـروعات البلـدة القديمـة.

٦. محافظة نابلس.

٧. وزارة الأشغال العامة، نابلس.



تمديدات خطوط المياه قديما



شريان الحياة - ٢٠١٩







صبانة طوقان



صبانة كنعان





افتتاح محطة التنقية – نابلس



نابلس تروي تاريخها



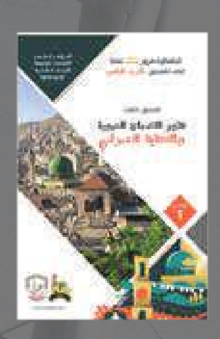

سلسلة رقم
1



بلدية نابلس 1869 2019

150 عاماً من العطاء





نابلس - فلسطين
نيسان 2019